وزارة التعليـم العـالـي والبحـث العلمـي

جـــامعـــة بـــاجـــي مختـــار عنـــابـــة

Badji Mokhtar University
Annaba

Université Badji Mokhtar
Annaba

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

مطبوعة بيداغوجية في مقياس التحليل التداولي للخطاب

ماستر 2: تخصص لسانيات عامة

إعداد الدكتورة وفاء صبحي

الموسم الجامعي: 2022/2021

السداسي الثالث

الوحدة الأساسية الأولى

اسم المقياس: التحليل التداولي للخطاب – الرصيد 4 / المعامل 2

أهداف المقياس
– التمكن من استعمال مصطلحية التداولية – تكوين حصيلة معرفية نظرية في التداولية – الممارسة التطبيقية للتحليل التداولي للخطاب

المعارف المسبقة المطلوبة: مؤهلات ومكتسبات قبلية في اللسانيات العامة ومناهج تحليل الخطاب

محتوى المقياس:

المحاضرة الأولى	التداولية: المفهوم والموضوع
المحاضرة الثانية	التداولية وعلاقتها بغيرها من العلوم
المحاضرة الثالثة	التداولية واللسانيات
المحاضرة الرابعة	التداولية وفلسفة اللغة
المحاضرة الخامسة	التداولية والبلاغة والشعرية
المحاضرة السادسة	التحليل التداولي للخطاب
المحاضرة السابعة	نظرية أفعال الكلام
المحاضرة الثامنة	نظرية المقاصد
المحاضرة التاسعة	نظرية المقام
المحاضرة العاشرة	نظرية الحجاج
المحاضرة الحادية عشرة	تحليل المحادثة
المحاضرة الثانية عشرة	الأنثروبولوجيا والتحليل الإثنوميتودولوجي للغة
المحاضرة الثالثة عشرة	ممارسات تطبيقية: الخطاب السياسي
المحاضرة الرابعة عشرة	ممارسات تطبيقية: الخطاب الإشهاري
المحاضرة الخامسة عشرة	ممارسات تطبيقية: الخطاب الديني

المحاضرة	عنوانها	الصفحة
	مقرر المادة والكفايات المستهدفة من المقياس	02
	الفهرس	03
	تقديم	04
	القسم النظري	
01	التداولية: المفهوم والموضوع	07-05
02	التداولية وعلاقتها بالعلوم الأخرى	09-08
03	التداولية واللسانيات	11-10
04	التداولية وفلسفة اللغة	14-12
05	التداولية والبلاغة والشعرية	16-15
06	التحليل التداولي للخطاب	22-17
07	نظرية أفعال الكلام	39-23
08	نظرية المقاصد	44-40
09	نظرية المقام	51-45
10	النظرية الحجاجية	65-52
11	تحليل المحادثة	68-66
12	الأنثروبولوجيا والتحليل الإثنوميتودولوجي للغة	71-69
	القسم التطبيقي	
13	التحليل التداولي للخطاب الإشهاري-نماذج مختارة	77-72
14	التحليل التداولي لخطاب الصورة – الخطاب الكاريكاتوري	95-78
15	التحليل التداولي للخطاب التعليمي – دراسة ميدانية	116-96
	قائمة المصادر والمراجع	120-117

تقديم

درج المشتغلون باللسانيات وتحليل الخطاب على تعريف التداولية بأنها ملتقى علوم، تنهل من مجالات معرفية شتى ما يؤسس مرجعها النظري، كما تستعير بعض إجراءاتها التحليلية من مقاربات منهجية شتى تمكّنها من معاينة الظاهرة اللغوية بالانطلاق من بنيتها ووصولا إلى وظيفتها وأبعادها التأثيرية، ولا شكّ أنّ اشتغالها على الخطاب وأحوال المتخاطبين ومقام التخاطب منحها أهمية قصوى بين التوجهات اللسانية الحديثة، فالتداولية تدرس اللغة أثناء تحقّقها الفعلي في واقع التواصل، وتهتم بالبعد التأثيري في الخطاب وبدراسة سبل الحجاج وآليات الإقناع أثناء سعي المتكلم إلى تبليغ مقاصده إلى المتلقي وإقناعه بها.

يختص مقياس التحليل التداولي للخطاب بتقديم خلفية نظرية تتمحور حول ماهية التداولية وظروف نشـــأتها وأهم أعلامها ثم الإحاطة بأهم مرتكزات التحليل التداولي، كدراســـة أحوال المتخاطبين، والبحث في الظروف المقامية التي أنتج ضـــمنها الخطاب وكذا دراسة البعد الحجاجي وأفعال الكلام للوقوف، على المقاصد التي يتضمنها الخطاب سواء كانت معلنة أو مضمرة.

يُقدّم مقياس التحليل التداولي للخطاب إلى طلبة السنة الثانية ماستر تخصص لسانيات عامة في حصتين أسبوعيا، تمتد كل حصة على ساعة ونصف، ويجمع بين صنفين من المعرفة: **نظرية**؛ ترصد المفاهيم القاعدية في هذا الحقل المعرفي الناشئ وترصد تعالقها بغيرها من المصطلحات المتداخلة معها، وكذا تتبع التطور الكرونولوجي للمفهوم، والبحث في تمظهراته في الدرس الغربي والعربي **وتطبيقية**؛ تشرح طريقة مقاربة الخطابات الحجاجية التي تنطوي على بعد تداولي أصيل، ومن ثم تطبيق هذه إجراءات التحليل على عيّنة من الخطابات التأثيرية؛ شأن الخطاب السياسي والخطاب الإشهاري والخطاب الديني... وغيرها من الخطابات الحجاجية التي تستوجب مقاربة تداولية مختصة تستجلي مقاصدها الصريحة والضمنية، وتحتكم إلى مقولات السياق وأحوال المتخاطبين وتجليات نظرية الأفعال الكلامية ووظيفتها الحجاجية في تلك الخطابات.

تقرّر برمجة مقياس التحليل التداولي للخطاب في السنة الثانية ماستر، لأنّ تحصيله يستوجب امتلاك الطالب حصيلة معرفية محترمة في الدراسات اللغوية عامة بروافدها الحديثة والتراثية، واللسانية خاصة؛ كاللسانيات النظرية والمدارس اللسانية والفروع الحديثة للسانيات: كاللسانيات الوظيفية ولسانيات النص والخطاب والعرفانية... دون أن نغفل أهمية امتلاك حنكة تحليلية يوفرها التحكّم الجيد في مناهج تحليل الخطاب ؛ كالأسلوبية والسيميائية... وهي معارف متنوعة يتلقاها الطالب ضمن مقاييس متعددة خلال مرحلة التدرّج.

من الأهداف الرئيسية التي يروم هذا المقياس تحقيقها وتسعى هذه المطبوعة البيداغوجية إلى تجسيدها؛ تمكين الطالب من مقاربة الخطابات الحجاجية مقاربة تداولية تمكّنه من الظفر بالمقاصد القابعة ضمنها، والاشتغال على تحليل الخطاب وفق آليات جديدة لم يتعرّف عليها في المقاربات المنهجية السابقة، ومن ذلك نذكر: الاستلزام الحواري، ومتضمنات القول، وقانون التعاون والافتراض المسبق، والأقوال المضمرة ... وغيرها من المفاهيم التي تسعى هذه المطبوعة البيداغوجية إلى تقديمها بأسلوب تعليمي واضح يضمن فهمها والاستفادة منها نظريا وتطبيقيا.

المحاضرة الأولى : التداولية : المفهوم والموضوع

تمهيد:

بات معروفاً للمشتغلين بحقول التّداولية أنّ رسم الحدود الواضحة لهذا المفهوم المنتشر في قطاعات معرفية شتّى هو أمر مستعصٍ ومنفلت ، وذلك نتيجة اتّساع مجالها، وتَغَذّيها من مرجعيات متباينة: لسانية وفلسفية وبلاغية... وهذا أدّى إلى صعوبة بلورة مفهوم مُوَحَّد للتّداولية، وكذا صعوبة تصنيفها في مجال معرفي بعينه ممّا أخصب تعريفات عِدّة لمفهوم مضطرب وغير مستقر، سبّبه اتّساع المنظومة المعرفية التي نشأ فيها وانحدر منها، ورغم ذلك تُجمع جُلُّ تعريفات التّداولية على جعل الخطاب موضوعاً للدّراسة اللّسانية، بعدما تقلّبت ردحاً من الزمن مع دراسة الكلمة ثم الجملة ثم النص، لتستقرّ – في إطار اللّسانيات التداولية – على دراسة مقام الخطاب وقوانين التّخاطب وأحوال المتخاطبين... وغيرها من المباحث الهامّة، التي أولت الأبعاد التواصلية والتّفاعلية أهمّية قصوى في دراسة اللّغة ، باعتبارها كينونة اجتماعية تواصلية ذات طابع خطابي.

1. التعريف اللغوي :

ورد في معجم أساس البلاغة للزمخشري في مادة "دول": دَالَت له الدَّولَة ، ودَالَت الأَيَّامُ ، وأَدَالَ اللهُ بَنِي فُلَان عَلَى عَدُوهم ، جعل الكثرة لهم عليه ، وأديل المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأديل المشركون على المسلمين يوم أحد...والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم. وتداولوا الشيء بينهم، والماشي يداول بين قدميه، يراوح بينهما "[1] ، وجاء في لسان العرب لابن منظور: " تداولنا الأمر، أخذناه بالدول وقالوا دواليك أي مداولة على الأمر ودالت الأيام أي دارت، والله يداولها بين الناس، وتداولته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة "[2] .

فالملاحظ على معاجم العربية أنها لا تكاد تخرج في دلالاتها للجذر "دَ، وَ، لَ" على معاني: التحول والتبدل والانتقال سواء من مكان إلى آخر أم من حال إلى أخرى، مما يقتضي وجود أكثر من طرف واحد يشترك في فعل التحول والتغير والتبدل والتناقل وتلك حال اللغة متحولة من حال لدى المتكلم، إلى حال أخرى لدى السامع، ولا شك أن هذا المعنى اللغوي يتداخل بعمق مع المعنى الاصطلاحي الذي يضبط مجال اشتغالها ومفاهيمها وأبرز مباحثها .

2. التعريف الاصطلاحي :

أود تنبيه المتلقي قبل الشروع في ضبط المفهوم الاصطلاحي إلى ضرورة التفريق بين المصطلحين pragmatique وpragmatisme؛ لأن الأول يستخدم بكثرة في المجال اللغوي، ويستخدم الثاني بكثرة في مجال الفلسفة والثقافة الأمريكية خصوصا، ويترجم الأول إلى العربية بالتداولية، ويترجم الثاني بالذرائعية أو النفعية.

يضاف إلى ذلك كثرة المقابلات العربية التي اقترحت للتعبير عن مفهومها ترجمة أو تعريبا كالتداولية، والتداوليات والمقاماتية والمقامية ، وعلم المقاصد، والسياقية، والوظيفية والبراغماتية والذرائعية والنفعية ...إلخ لكن المصطلح الأشهر في الاستعمال هو التداولية؛ لأنه مصطلح شائع بين الدارسين في ميدان اللغة واللسانيات من جهة؛ ولأنه يحيل على التفاعل والحوار والتخاطب والتواصل والتداول

---

1 : تحقيق محمد باسل عيون السود، الجزء 1 ، دار الكتب العلمية، ط 1 / 1998 ، مادة مادة (دَ، وَ، لَ)

2 : دار صادر ، بيروت– لبنان ، 1414هـ ، مادة (دَ، وَ، لَ)

بين الأطراف المتلفظة من جهة أخرى. أما مفهوم الذرائعية فيدل على مدرسة فلسفية ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية في القرن التاسع عشر مع جون ديوي ووليام جيمس اللذين يريان بأن الحقيقة تكمن في طابعها المنفعي والمصلحي.

" أمّا الدكتور أحمد المتوكل في كتابه:" اللسانيات الوظيفية"، فيستعمل الوظيفية والتداولية بمفهوم واحد، في حين يستخدم الدكتور سعد البازعي والدكتور ميجان الرويلي مصطلحي:"الذرائعية" كما في كتابهما:" دليل الناقد الفني"، وإذا انتقلنا إلى الدكتور محمد محمد يونس علي فنجده يفضل استعمال مصطلح علم التخاطب وفي هذا الصدد يقول : " أفضل ترجمة مصطلح (Pragmatics)بعلم التخاطب وليس بالتداولية أو النفعية أو الذرائعية كما يفعل عدد من اللسانيين العرب" [1] .

– في نظر مؤسس التداولية الأول (تداولية أفعال الكلام) كما يحلو للبعض تسميتها "جون أوستين" أن وظيفة اللغة لا تقتصر على نقل وإيصال المعلومات وإرسالها ، أو التعبير عما يجول في خواطرنا من أفكار وما يجيش في صدورنا من مشاعر وإظهارها . وإنما يجب أن تضطلع اللغة – وهو أمر موافق لطبيعتها– بتحويل ما يبدر من أقوال في إطار ظروف سياقية إلى أفعال ذات سمات اجتماعية .

– " يعود الفضل إلى إدخال مصطلح Pragmatique في معجم اللسانيات الحديثة إلى شارل موريس Charles Morris في سنة 1938 في كتابه أسس نظرية العلامات، حيث حدد ماهيتها كجزء من السيميائية وأحد مكوناتها، تهتم بدراسة العلاقة بين العلامات وبين مستعمليها أي مفسريها وتحديد ما يترتب عن هذه العلامات... أي دراسة اللغة أثناء ممارستها إحدى وظائفها الإنجازية والحوارية والتواصلية. وقد عدّها جزءا من السيميائيات" [2] ، وذلك لما أقرّ بأن للسيميائيات ثلاثة فروع هي :

. التركيب النحوي : ويُعنى بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات .

. الدلالة وهي دراسة علاقات العلامات فيما بينها وبين الأشياء ، أي ارتباطها بالمعنى .

. التداولية : وهي دراسة ارتباط العلامات بمؤوليها أي بمستعمليها

– ويعرفها فرانسوا ريكاناتي François Recanati بأنها بحث يهتم بدراسة استعمال اللغة داخل الخطاب وإبراز السمات التي تميزه، وتهتم ببعض الأشكال اللسانية التي لا يتحدد معناها إلا من خلال استخدامها.

– ويقدم الدكتور "مسعود صحراوي" تعريفا واضحا للتداولية في كتابه القيم "التداولية عند العلماء العرب" فيقول :" التداولية مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه ، وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح ، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها "الخطاب" ، والبحث عن العوامل التي تجعل من "الخطاب "رسالة تواصلية "واضحة" و"ناجحة"، والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية"[3] ...

1: ينظر جميل حمداوي، التداوليات بين النظرية والتطبيق، دار الريف للنشر والتوزيع، تطوان، المغرب، ط1 / 2019

2 : ينظر محمود الزهيري، التداولية كمدخل للتأويلية، مقال في مجلة الحوار المتمدن (مجلة إلكترونية)، العدد 572، 2017/7/5 ، 04:40

3 : دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى، تموز (يوليو) 2005

وعليه فالمقاربة التداولية هي تلك المنهجية التي تدرس الجانب الوظيفي والتداولي والسياقي في النص أو الخطاب وتدرس مجمل العلاقات الموجودة بين المتكلم والمخاطب، مع التركيز على البعد الحجاجي والإقناعي وأفعال الكلام داخل النص ، وتهتم التداولية أيضا بالمرجع والإحالة التي تم إقصاؤها من فرديناند دوسوسير ، الذي حصر العلامة في الدال والمدلول .

" فضلا عن ذلك تدرس المقاربة التداولية اللغة العادية واللغة اللاعادية (اللغة الشعرية، اللغة الروائية، واللغة الدرامية..)، وحضور الأنا والأنت، والسياق التواصلي، والوظيفة المقامية والمقالية، والانتقال من الحرفي إلى الإنجازي، ودراسة الحجاج في النصوص والخطابات التي يكون هدفها هو الإقناع الذهني، والتأثير العاطفي الوجداني، وأيضا دراسة السرد الإقناعي كما عند غريماس" [1] ، زد على ذلك فللغة ثلاثة مظاهر: مظهر خطابي ومظهر تواصلي، ومظهر اجتماعي. لذا فالمقاربة التداولية هي التي تركز على الجانب التواصلي في اللغة الطبيعية وتستند المقاربة التداولية كذلك إلى تخصصات عدة ، فهناك– مثلا– تداولية تحليلية، وتداولية تلفظية، وتداولية نفسية– اجتماعية، وتداولية نصية، وتداولية سوسيولغوية..

3. هل التداولية علم أم منهج أم مقاربة ؟ :

التداولية نظرية نقدية لما يكتمل بناؤها بعد ، استمدت قوتها من ميدان اهتمامها ، حيث اهتمّت بدراسة أفعال النطق التي ظلت ردحا من الزمن مغيبة عن الدراسة والتحليل، وبالنظر إلى شساعة دائرة اهتمامات التداولية صارت نظرية صعبة التقنين وعصية الضبط ، فلا يمكن النظر إليها على أنها مذهب نقدي مختص بأتم معنى الكلمة ، خاصة إذا ما علمنا أنها تخضع لهيمنة طائفة من التيارات العلمية المختلفة ، وفي ذلك يقول د/حسن يوسفي : " إن التداولية حقل لساني ملتبس ...(وتبدو) التباساته بحيث يصعب على المتتبع لتطور اللسانيات المعاصرة أن يعرف الحدود الفاصلة بين المجالات اللسانية المعروفة وبين التداولية"[2] ، ومن جهتها تعترف الباحثة "كاترين أوركيوني"· بهذا الغموض الذي يعتري حدود التداولية بقولها : هل يمكن القول أنّ التداولية هي تخصص أو ملتقى تخصصات مختلفة[3] ، وعلى شاكلتها يقر "دو مانجينو" بصعوبة تحديد ماهية التداولية في كتابه "التداولية والخطاب الأدبي[4] .

---

1 : ينظر جميل حمداوي، المقاربة التداولية في الأدب والنقد، مقال منشور في منتدى ديوان العرب بتاريخ يناير 2012 https://www.diwanalarab.com / تاريخ الزيارة 2021/05/30.

للاستزادة حول هذه المسألة ينظر المراجع الاتية:

2 : حسن يوسفي ، المسرح والتداولية ، مقال من موقع http://aslimnet.free.fr/ress/h_youssefi، تمت زيارة الموقع بتاريخ 2021/04/22، بتوقيت 16:30.

3 : كاترين كيربرات أوركيوني، المضمر، ترجمة ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت– لبنان ، ط1/ كانون الأول– ديسمبر 2008 ، ص 11

4 : Armengaud Françoise , La pragmatique que – sais – je ? puf / 1985 , p 09 .

المحاضرة الثانية : علاقة التداولية بغيرها من العلوم

تمهيد:

تعد التداولية حقلا معرفيا خصبا انبثق حديثا من مجالات الدراسات اللسانية ، ولا يزال السؤال يطرح حول علاقتها بغيرها من العلوم التي تتداخل معها ، وقد نتج عن هذا إشكاليات معقدة ، من مثل : ما هي حدود وفرضيات وأدوات التداولية ؟ ويأتي الجواب من " فرانسواز أرمينكو" التي ترى " بأنّ الإجماع لم يتحقق بعد بين الباحثين فيما يخصّ تحديد فرضياتها ، ولا حتى فيما يخصّ مصطلحاتها ، وسبب ذلك تداخل مباحثها مع موضوعات علوم أخرى كاللسانيات والمنطق والسيميائية والفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع"[1] ، وعلى الرغم مما يسجل من تداخلات والتباسات ناجمة عن علاقة التداولية بشتى العلوم ، فقد أمكن تعيين مجموعة من القضايا اللغوية التي هي محل اهتمام التداولية ، وتدخل في نطاق تخصصها . كما تم أيضا معرفة جملة من المسائل التي تشكل موضوعا لها . ومن ذلك محاولة التداولية إيجاد الإجابة للأسئلة التي كانت محل قلق وإزعاج للمباحث اللسانية السابقة . ومن هنا تبدو قيمة البحث التداولي في كونه يسعى إلى الإجابة عن بعض القضايا الجوهرية من قبيل من يقول ؟ – ماذا يقول ؟ – لمن يقول ؟ – كيف يقول ؟ وبأي تأثير ؟ – ما هي مقاصده أثناء الكلام ؟ . كيف يتكلم بشيء ، ويسعى لقول شيء آخر ؟ – ماذا عليه فعله حتى يتجنب الغموض في عملية التواصل تسعى التداولية إلى الإجابة عن هذه الأسئلة ، وغيرها بمنهجية مبتكرة تجعلها تتميز عن غيرها من العلوم التي تتقاطع معها .

1.علاقة التداولية بالسيميائية :

يرتبط اتجاه السيمياء التداولية بالتقليد العلمي والفلسفي الذي أرساه شارل سندرس بيرس وبلوره شارل موريس فيما بعد؛ كما يتعالق هذا الاتجاه أيضا مع تصورات المناطقة وفلاسفة اللغة، روسل وكارناب وفريج وفيتغينشتاين وغيرهم ، وتتميزت السيمياء التداولية بتصورها الشمولي والدينامي للعلامة، إذ تعتبرها كيانا ثلاثيا تتفاعل داخله العناصر التركيبية والدلالية والتداولية في إطار سيرورة دائمة تسمى السيميوزيس.

تحدث تودوروف بشكل مفصل عن ولادة السيميائية الغربية في كتابه : (Theories of the symbol) ، وبيَن أنَ مسيرة السيميائية ممتدة زمنياً ، ولا يمكن اختصارها ، فمعطياتها متشابكة ، وطرحها الفلسفي والنقدي يلفّ العالم أجمعه ، ويطمح إلى رسم فهم للوجود من خلال تفسير العلامات وتحليلها ، وبيان وظائفها وفاعليتها ومساهمتها في إنشاء التواصل بين مختلف الموجودات .

توسعت مباحث السيميائية وشملت مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بل وحتى النفسية ، ودخلت بشكل كبير ومباشر إلى المعطيات النقدية لما بعد البنيوية ، حتى عُدت ركناً مهماً من أركان التحليل النقدي لما بعد البنيوية ، وقد اتسمت مسيرة السيميائية بالتطور المتنامي المتسارع ، لأنَها شكلت الأداة والمنهجية الدقيقة في تفسير سلوك العلامات وبيان وظائف علاقاتها ، وهذه العلاقات تتسم بقدرتها على التوالد والاستمرار والصيرورة ، إذ بلغت السيميائية مكاناً متميزاً بين المناهج

[1] : ؤ

الفلسفية والنقدية العالمية المختلفة ، لقد ابتدأت من تحليل العلامة فقدمت تفسيراً للموجودات ، وفهماً لحركة العالم ، وشرحاً لأنظمة الكون ، وصيغاً لا نهائية لمشاريع مستقبلية تتخذ من سلطان العلامة إطاراً موسوعياً لإبداع رؤى جديدة .

إنَ التحليل السيميائي عند بيرس وسوسير هو : عبارة عن بيان شبكة من العلاقات تستهدف دراسة أوجه النشاطات والفعاليات الإنسانية في مظاهرها الدالة ، ودلالاتها الممكنة ماضياً وحاضراً ومستقبلاً ، ويستهدف معرفة كيفية عمل الأنظمة الدلالية : (اللسانية وغير اللسانية) ، لذلك استخدمت المجاميع والمدارس النقدية المختلفة طرائق متباينة لاستعمال التحليل السيميائي ما بين تحليل سيميائي للتواصل ، وآخر للدلالة وللثقافة وهنا يتداخل مجالها بمجال التداولية بعمق .

2. علاقة التداولية بعلم الدلالة:

تبحث كل من التداولية وعلم الدلالة في دراسة المعنى في اللغة ويجعل بعض الدارسين التداولية امتدادا للدرس الدلالي ، فيصنف علم الدلالة ضمن القدرة على معرفة اللغة، أما التداولية فتصنف ضمن الأداء والإنجاز واستخدام اللغة. كما أن "السيمانتيكية البراجماتية اللغوية تتولى المعنى ضمن إطار المقام المحدد المعالم والمقاصد" وهذا يعني أن أحدهما يكمل الآخر.

3. علاقة التداولية باللسانيات النفسية:

تعتمد التداولية في درسها على مقولات اللسانيات النفسية، فسرعة البديهة، وحدة الانتباه، وقوة الذاكرة والذكاء... كلها عناصر تشرح ملكة التبليغ الحاصلة في الموقف الكلامي.

4. علاقة التداولية باللسانيات الاجتماعية

تتداخل التداولية واللسانيات الاجتماعية تداخلا كبيرا في بيان أثر العلاقات الاجتماعية بين المشاركين في الحديث على موضوعه، وبيان مراتبهم وأجناسهم وأثر السياق غير اللغوي في كلامهم.

5. علاقة التداولية باللسانيات التعليمية

تستند التعليمية في الوقت الحاضر إلى مقولات البحوث التداولية التي أسهمت في مراجعة مناهج التعليم ونماذج الاختبارات والتمارين، وعدّت البعد التداولي للغة أحد أهداف العملية التعليمية، كما انتقدت طرق تدريس اللغات الأجنبية التي تتعامل مع لغات مثالية وأناس مثاليين في مواقف مثالية... بعيدا عن أي سياق اجتماعي ودعت إلى تجاوز تدريس أنماط الترميز إلى تدريس أنماط التأطير.

6. علاقة التداولية باللسانيات النصية وتحليل الخطاب:

يتجاوز مجال اللسانيات النصية دراسة الخطاب بعدّه نصا إلى عدّه نشاطا فعليا يعتمد المعارف المقامية والسياقية، وذلك من المجالات الثرية للدرس التداولي.

إن التداولية تعنى بدراسة الكيفية التي يسلكها الناس لفهم الفعل الكلامي، وكيفية إنتاجهم له، فهي حقل واسع جدا يشمل كل جوانب اللغة إذ تعن بتتبع أثر القواعد المتعارف عليها من خلال العبارات الملفوظة وتأويلها، وتهتم بتحليل الشروط التي تجعل العبارات جائزة ومقبولة في موقف معين بالنسبة للمتكلمين بتلك اللغة، و تسعى التداولية لأن تجد مبادئ تشتمل على اتجاهات مجاري فعل الكلام المتشابك الإنجاز الذي يجب أن يوجد عند إنجاز العبارة كي تصير ناجحة ومفهومة، و تحاول التداولية أيضا البحث في كيفية تماسك ظروف نجاح العبارة كفعل إنجازي ، وأن تصوغ الشروط التي تعين أيَّ العبارات تكون ناجحة في موقف ما.

المحاضرة الثالثة : التداولية واللسانيات

تمهيد:

أقر اللسانيون أهمية النظريات اللسانية في دراسة نظام اللغة وطرق تفسير ارتباط شكل اللغة بعناها ، غير أنهم لم يضبطوا مجال التداولية مقارنة بالعلوم الأخرى للسانيات ، فهي تتجاوز (الشكل و المعنى) إلى مجالات أخرى مثل نظرية التلفظ ومظاهر الاستدلال في اللغة وغيرها ، وفي هذا السياق أكد فرانسوا لاترافارس F.Latraverse في كتابه (البراغماتية : تاريخ ونقد) صعوبة التمييز بين هذين العلمين ، فاللسانيات تشتمل على عدد كبير من النظريات والمذاهب المترابطة بما في ذلك التداولية، ثم يعترف بعد ذلك بأن التداولية تتموقع خارج النظرية اللسانية بناء على ما قدمه تشومسكي في مفهوم الكفاءة والأداء ، وبتطور الدرس اللساني ظهر فرع معرفي جديد نجم عن تلاقح مجالي الدراسة التداولية بحقول الدراسة اللسانية اصطلح عليه باللسانيات التداولية التي تعدّ اتجاها جديدا في اللسانيات ينظر إلى اللغة باعتبارها نشاطا وليست مجرد بنية، فهي أداة للتبليغ يتحدث بها الإنسان ويتصل بها بالغير، فهي استعمال يومي مستمر ومتواصل، بل لا يتحقق هذا النشاط إلا ضمن هذا الاستعمال في تفاعل مستمر بين المتكلمين. فالتداولية تسعى إلى دراسة صور هذا الاستعمال وتعيد للظواهر الكلامية اعتبارها في الدراسة بعدما جعلتها النظريات البنوية شيئا ثانويا، وأقصته بالتالي من دائرة اهتمام اللغويين.

وما يمكن أن نستنتجه من كل ما تقدم ، هو أن التداولية قد أولت أهمية بالغة إلى الجانب التواصلي ، أي دراسة اللغة في علاقتها بمستخدميها . في حين ظلت الدراسات اللسانية تستبعده ، واعتنت فقط بالتراكيب والمعاني . لذا ركزت التداولية على ما أهملته اللسانيات ، أي علاقة العلامات اللسانية بمستخدميها . هذا الجانب ظل مستبعداً دائما من قبل اللسانيين الذين ركزوا على جوانب القواعد الشكلية وميّزوها عن الاستخدام اليومي العادي حتى "نعوم تشومسكي" اتبع هذا النهج ، إذ سعى إلى استخلاص موضوع لساني وعزله عن الاستخدام العام اليومي ، ليكون قابلاً للدرس العملي ، لكن ردود الفعل توالت حديثاً ضد هذا الاستبعاد ، إذ يرى المشتغلون بالتداولية أن اللغة لا يمكن أن تنعزل عن استخدامها وتنحصر في علمي النحو والمعاني بل إن الاتصال يلعب دورا فاعلاً إذا أردنا أن نفهم حقيقة اللغة .

1. التطور التاريخي للدرس التداولي :

تشير الدراسات إلى أن ظهور التداولية كنظرية معرفية حديثة في الفكر اللساني الغربي الحديث كان متزامنا مع تيار البنيوية وتيار التوليدية التحولية، فقد اتفق الدارسون على أن التداولية لم تصبح مجالا يعتد به في الدرس اللغوي المعاصر إلا في العقد السابع من القرن العشرين ، بعد أن قام على تطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي لجامعة أكسفورد؛ هم: أوستن، وسيرل، وجرايس، وكانوا جميعا مهتمين بطريقة توصيل معنى اللغة الإنسانية الطبيعية من خلال إبلاغ متكلم رسالة إلى متلق يفسرها. وكان هذا من صميم التداولية.

يعود الفضل في ظهورها وتطويرها بالأساس إلى الفيلسوف الإنجليزي "ج.أوستن" بصدور مؤلفه "كيف نصنع الأشياء بالكلمات"، واصفا فيه التداولية بأنها جزء من دراسة أعم : هي دراسة التعامل اللغوي من حيث هي جزء من التعامل الاجتماعي ، ناقلا بذلك دراسة اللغة من النظر إليها من جانبها اللغوي والنحوي والنفسي إلى المستوى الاجتماعي ،

ويمكن إرجاع نشأة التداولية إلى سنة 1955 عندما ألقى جون أوستن محاضراته في جامعة (هارفارد) ولم يكن يفكر في تأسيس اختصاص فلسفي للسانيات، بقدر ما كان هدفه تأسيس اختصاص فلسفي جديد هو فلسفة اللغة.

يستنتج مما سبق أن التداولية بوصفها حقلا معرفيا متعددا يهتم بدراسة اللغة في الاستعمال ويكشف عن معنى المتكلم ومقاصده في السياق المحدد ، اشترك في تأسيسه في العصر الحديث تياران رئيسيان هما: تيار تشارلز موريس ، وتيار مدرسة أكسفورد. ولقد أفاد تشارلز موريس في التأسيس للتداولية من خلال "سيمائية ثلاثية الأبعاد".

2. الأسباب التي أدت إلى ظهور التداولية وتطورها وازدهارها:

- اللسانيات التوليدية التحويلية التي لاحظت وجود ظواهر تركيبية ظاهرية يستحيل تفسيرها دون مراعاة السياق.
- أن النحو لا ينبغي تفسيره أو صياغة قواعده على أساس الحدس اللغوي بل على أساس ملاحظة الاستعمال الحقيقي للغة محل الدراسة .
- إقصاء "الدلالة" من البحث اللساني في التيارات البنيوية وخصوصا الأمريكية.
- ازدهار بعض الميادين المعرفية التي ترتبط باللغة كالمعالجة الآلية للغة في التوثيق والترجمة الآلية.
- الحاجة الشديدة إلى استثمار منجزات اللسانيات في علوم مختلفة كالشعرية والبلاغة والأسلوبية.
- الحاجة إلى البعدين الدلالي والتداولي إلى جانب البعد النحوي التركيبي ومنها:الحاجة إلى إتباع التوصيات العلمية التي تطلب إنجاز الدراسات التكاملية ،وترفض اختزالية الاتجاهات البنيوية والتوليدية .

المحاضرة الرابعة: التداولية وفلسفة اللغة

تمهيد:

شهدت الدراسات التداولية تطورا سريعا في الغرب ، ويعزى هذا التقدم إلى جهود الباحثين الذين كان لهم الباع الطويل في هذا التطور . وذلك ما حصل في بلدان الدانمرك والنرويج وبلجيكا . وكان من ثمرات هذا التطور أن تمخض عن ميلاد "الجمعية التداولية العالميةIPRA "عام 1987 . وفي معترك هذا التطور ، ظلت التداولية ذات وجهة فلسفية توجهها الممارسات الفلسفية ، ولكنها ما انفكت تشهد تحولا تدريجيا منذ سنوات نحو تشكلها كحقل لساني بالإبقاء على كينونتها العلمية في معالجة المعنى اليومي . وما تجدر الإشارة إليه هنا هو أنه بالرغم مما بذهب إليه الكثير من الباحثين من أن التداوليةPragmatique ، والمذهب الذرائعي الفلسفيPragmatisme مختلفان ،إلاّ أن بعض الباحثين يرى أن المذهب الذرائعي هو أحد مصادر التداولية ، وأصل التسمية يعود إلى منظري السيمياء مثل :"ش.س.بيرس وشارل موريس وجون ديوي"... حيث يسجل المتتبعون لمسار الدراسات التداولية بأنها سارت في اتجاهين اثنين هما : الدراسات اللسانية والدراسات الفلسفية ، ففي مجال الدراسات الفلسفية وبالأخص في إطار الفلسفة التحليلية ، فقد خضع مصطلح التداولية إلى عملية تضييق في مجال اشتغاله ، فها هو الفيلسوف "كارناب" يساوي بين التداولية والسيمياء الوصفية ، بيد أن هذه البحوث التي استندت إلى هذا الفيلسوف قد اعتراها التوسع لتشمل دراسات من خارج اللسانيات ، نذكر منها : دراسات فرويد ، ويونغ ، ذلك أن التطور الحاصل في نظرة "كارناب" بيّن مدى أهمية وضع قيمة زمان ومكان الحدث الكلامي في الحسبان ، ولهذا كان من المناسب جداً أن يتغلغل إلى تعريف "كارناب" للتداولية مفهوم "السياق" . هذا السياق الذي ينطوي على هويات المشاركين في الحدث الكلامي ، ومقاصدهم منه ، والمحددات الزمانية والمكانية ، والمعتقدات . وكذلك من جهته فقد ساهم تعريف "موريس" للتداولية في النهوض بمجموعة من الدراسات شملت دراسة الظواهر النفسية والاجتماعية الموجودة داخل أنظمة العلامات بشكل عام ، أو داخل اللغة بشكل خاص . ودراسة التصورات التجريدية التي تشير إلى الفاعلين ، وكذا دراسة المفردات التأشيرية

2. أعلام التداولية:

1.2 : وليام جيمس (William James) (1842–1910)

ظهرت الدراسات التداولية في الولايات المتحدة الأمريكية في القرن التاسع عشر الميلادي ، وتطورت بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة ، ثم تبلورت النظرية البراغماتية مع **وليام جيمس** (William James) الذي اهتم بالجانب المنفعي والمصلحي للغة ، إذ كان يربط الفكر بالواقع العملي والممارسة الواقعية، بغية بناء مستقبل عملي زاهر.

2.2 : شارل ساندرس بيرس C.S. Pearce:(1834–1914)

بوّأه تصوُّره المتفرّد للعلامة مكانة متميّزة بين جمهور الباحثين في مجال التداولية، فهو يعتقد أنّ كل شيء في الوجود هو علامة دالّة، حتى إنّ الإنسان نفسه علامة، كما "ميّز بين العلامة والرمز والإشارة والأيقونة، وفي هذا الشأن قدّم شروحا وافية في مفهوم الدليل ، حيث يقوم على مبدأ التأويل ، ويتنوّع بحسب علاقته بموضوعه، والأيقونة تطابق الموضوع صوريًّا، والأمارة (المؤشر) تقوم على علاقة

العِلّة بالمعلول" ، وجميعها مفاهيم تداولية تشرح قوانين ارتباط الدّال بالمدلول بالمرجع بما يُشكّل دليلا لسانيًّا ينفسح عن دلالة يقتضيها المقام، ولا شكّ أنّ منظور "بيرس" للعلامة اللّسانية يناسب – بشكل لافت – تحليل الخطابات التي تنزاح دلالياً ، وتستدعي الاحتكام إلى السياق الذي يتكفّل بإجلاء غموضها، عكس منظور "سوسير" للعلامة اللّسانية، التي يُعرّفها بالنظر إلى العلاقة التي تربط الدّال فيها بالمدلول فقط، لأنّه "يدرس اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها"، لذا يُقْصِر دراسته على بنية اللّغة، بعد أن يفصلها عن كل مسوّغات إنتاجها، وبما أنّ جُلّ خطاباتنا تتلوّن دلاليا حسب تلوُّن المقامات، فإنّ ربط البنية اللّسانية بمرجع أو بما تُحيل عليه في واقع الاستعمال هو أمر ضروري وغير مستغن عنه

3.2 : تشارلز موريس **C. W. Morris**: (**1901 . 1979**)

اشترك "موريس" مع بيرس في بلورة مفهوم السيميائية، واختلف عنه في تأثُّره الواضح بعلم النفس السلوكي، الذي راح يُفسّر على أساسه السّلوك اللغوي الصّادر عن الإنسان في ضوء ثنائية المثير والاستجابة، "فبالنسبة لموريس، يجب تصوُّر الأدِلّة كسيرورات السلوك، فالجسم من حيث هو جسم يفعل في المحيط وينفعل به، علماً بأنّ وظيفة المحيط وأهمّيته، عاملان حاسمان في إرضاء حاجاته، ومن ثم فإنّ هناك تفاعلات بين هذين العاملين"[1]، كما تُعَدُّ آراؤه في قضايا التداولية، بمثابة اللّبنات التي شُيِّد على أساسها صرح اللّسانيات التداولية – لاحقا – فهو من نسب التداولية سُلاليا إلى السيميائية، بعد أن أضاف مكوّناً ثالثاً (هو المكوّن التداولي) إلى بنية اللغة، التي تتألّف من المكوّن التركيبي والمكوّن الدلالي، حيث "يهدف (موريس) إلى تكوين نظرية عامّة للعلامة، تشمل العلوم الإنسانية والفيزيائية معاً، ويُصِرُّ إلى جانب دراسة اللغة كبينة شكليّة على دراسة علاقة هذه البنية بالموضوعات التداولية وعلاقتها بالأفراد المستخدمين لها" وهذا ما يُفسِّر اعتماد التّداوليين المتأخّرين على آراء موريس الرّائدة في التّنظير لهذا الفرع المعرفي..

4.2 : أوستين **Austin**: **1911- 1960**

=هو واحد من أشهر الذين بحثوا في فلسفة اللّغة، وذاع صيته بين معاصريه بفضل كتابه "كيف ننجز أفعالا بالألفاظ How to do things whth words" ، كما اشتغل على منظومة تقليدية في البحث الفلسفي هي منظومة اللغة والفكر، التي يقول بشأنها: "تتساوى منظومة اللّغة مع منظومة الفكر، ولا أسبقية لإحداهما عن الأخرى، فهدف اللغة ليس تحقيق التواصل فحسب، إنما غرضها التأثير والقدرة على تغيير السّلوك الإنساني" فاللّغة – بهذا المفهوم – ليست وسيلة للتّخاطب فحسب، بقدر ما هي = = وسيلة تأثير في الآخرين، غير أنّ أهمّ إضافة قدّمها إلى البحث التداولي، كانت مفهوم "أفعال الكلام Les actes de parole"، التي تتعلّق بتلك الأفعال التي تتضمّن قوّة إنجازية، وطوّر "سورل" و "غرايس" هذا المفهوم لاحقاً إلى نظرية متكاملة هي "نظرية أفعال الكلام" التي لاقت رواجاً ومقبولية بين جمهور اللّسانيين في العالم، كما اشترك أوستين مع سورل في بلورة مفاهيم تداولية عِدّة: مثل الحجاج وأنواع الخطاب ودراسة العلاقة بين المتكلم والسّامع، لاعتقادهما بأنّ المعنى لا يُستقصى من البنية اللّسانية وحدها، بل يحتاج إلى رصد تأثيره في المتلقي والاحتكام إلى السياق الذي حصل فيه التخاطب، واشتغل "غرايس Grize" على نظرية المحادثة التي تولي عناية واضحة لسياق التخاطب، "فهو يرى أنّ في وسع الناس متابعة الأهداف الضمنية من خلال تضمينات المحادثة، أي بقولهم شيئا يتضمّن اعتقاداً أو طلباً ما"، كما طوّر نظريّة أفعال الكلام، "وبحث بعمق في نظرية الحجاج الذي يضع في اعتباره السياق وفواعل التواصل ، وميّز بينه وبين الاستدلال الذي لا يضع في اعتباره المقام المحسوس"... وغيرها من الأطروحات النظرية التي فتحت

الباب واسعاً أمام جمهور الباحثين، للخوض في قضايا لسانية تداولية غاية في الأهمّية، تشرح ملابسات العملية التواصلية، وتكشف عن أبعادها التداولية.

– كما يمكن الحديث عن مجموعة من التداوليات والتيارات الذرائعية في الغرب، ومن بينها: تيار موريس الذي يتزعمه كل من بنيفينست ولاينس وأوريكيوني... وقد ركز هؤلاء على نظرية التلفظ، فربطوها بالسياق التواصلي الذي ينبني على المعينات(أسماء الإشارة، والضمائر، وأداة التعريف،..)، والزمان، والمكان، والصيغ العاطفية والانفعالية، وأحكام التقويم ، وتعابير الجهة (جهة الضرورة والإمكان، وجهة المعرفة، وجهة الفعل، وجهة الكينونة والظهور).

– ويمكن الإشارة كذلك إلى بعض التيارات والنظريات التداولية الأخرى كالنظرية التخاطبية، والنظرية التفاعلية والنظرية الحجاجية، والنظرية التلفظية، ونظرية المقصدية، والنظرية التوليدية الوظيفية مع فان ديك وهاليداي ورقية حسن وأحمد المتوكل... وهناك التيار السردي مع كريماس، وجوزيف كورتيس، وجماعة أنتروفيرن... وهناك المقاربة التأويلية مع بول ريكور الذي اهتم كثيرا بالإحالة السياقية، ومدرسة فرانكفورت التي اهتمت بدورها بالسياق التواصلي مع هابرماس

المحاضرة الخامسة: التداولية والبلاغة

تتلاقى البلاغة مع التداولية ضمن محاور النظرية السياقية ونظرية أفعال الكلام، وهاتان النظريتان كان لهما أثرهما الذي لا ينكر في التأسيس للتداولية

كما اتخذت العلاقة بين التداولية والبلاغة بعدين أساسيين تتفرع عنهما عدة أبعاد، فمن جهة تعد البلاغة بمفهومها التقليدي–في البلاغة الغربية اليونانية والرومانية–هي التأسيس الأول للتداولية بوصفها حالة من حالات استعمال اللغة تهدف إلى التأثير في المتلقي، ومن ثم فهي تعكس بعداً تداولياً للكلام

ولا يخفي أن مصطلح البلاغة مصطلح تقليدي للغاية، وهو يشير إلى دراسة الاستعمال المؤثر للغة في عملية الاتصال، وقد فهمت البلاغة في وجهة النظر التاريخية التقليدية على أنها: فن استعمال اللغة بمهارة بغرض الإقناع، أو إنتاج التعبيرات الأدبية، أو بغرض الكلام التواصلي بين الناس، وإن الاستعمال المؤثر للغة في معناه العام ينطبق على المحادثات اليومية والاستعمالات الدائرة بين الناس للغة، وربما كانت العلاقة بين البلاغة والتداولية حلقة من حلقات العلاقة الممتدة بين البلاغة واللسانيات بشكل عام، فالعلاقة بينهما تتسم بالتفاعل المستمر، إذ تعد البلاغة السابق التاريخي للسانيات النص إذا أخذنا في حسابنا توجهها العام وتحديد وظائفها المتعددة ، وقد شكلت العلاقة بين البلاغة والتداولية عوامل ربط بين البلاغة واللسانيات، فموضوع البلاغة والتداولية هو استعمال اللغة بوصفها وسيلة تواصل بهدف التأثير في المتلقي، فالنص اللغوي هو نص تداولي، أي نص في موقف، ومن ثم يتفق المنظور البلاغي والتداولي في مراعاة الملابسات الخارجية والعناصر السياقية المختلفة في عملية التحليل؛لأن المتكلم في الأصل قد راعى هذه الظروف والملابسات المقامية التي تحقق لرسالته اللغوية أقصى درجات التواصل، تأثيراً وإقناعاً ، فالبلاغة في بعدها المعياري نظام من القواعد تستخدم في إنتاج النص. .

ومن جهة أخرى تعد التداولية بمفهومها الحديث وما أفرزته الدراسات والأبحاث من رؤى منظوراً جديداً للظواهر البلاغية يؤسس لتحليل هذه الظواهر وفق منظور تداولي، وبذلك تعود البلاغة في العصر الحديث لتعتمد على المناهج والنظريات اللغوية الحديثة، ومن هنا تأتي صعوبة الفصل بينهما عند محاولة تتبع تطور البحث النصي ، فقد أدى التداخل الشديد بين البحوث اللغوية والبلاغية والأسلوبية إلى صعوبة تمييز ما هو بلاغي و ما هو تداولي، فكلاهما يعتني بالمضمون، وإن كانتا تتوصلان إليه بطرق مختلفة، حتى إنّ أدواتهما و مناهجهما تتداخل بشكل يدعو إلي الدهشة، ومن ثم تكون محاولة الفصل بين هذه العلوم والمعارف غير مجدية نظراً لتداخلها الشديد في الأهداف والأدوات

ما ينبغي ذكره في هذا المجال ، هو أن اهتمام الفلسفة باللغة واقع منذ أمد بعيد ، الأمر الذي جعل كثيرا من البلاغيين القدماء أقرب من غيرهم إلى الفكر التداولي ، لأن اهتمامهم انصب في حقل البلاغة على البحث في العلائق القائمة بين اللغة والمنطق ، وبالتحديد دراسة اللغة الحجاجية وتأثيرات الخطاب في السامعين.

وهذا بالفعل ما تتسم به البلاغة منذ القديم بدءا بـ"أفلاطون"و"أرسطو" ، وصولاً إلى "سِناك" و"شيشرون" و"كونتليان" . إذ كان هدف البلاغة قائما على معرفة "الانفعالات"و"الأهواء" . من ذلك ما نجده عند "أرسطو" مثلا ، حينما حاول التفريق بين نمطين

من الخطاب ، فدعا أحدهما "الخطاب الجدلي" الذي يتوجه إلى شخص واحد مجرد ، ويختزل في وضعية السنن اللساني . وسمى الثاني "القول الخطابي" والذي يتوجه إلى مخاطب واقعي يتمتع بموهبة الجدل والمنافحة ، ويمتلك أهواء وعادات ثقافية .

فالخطابة عند "أرسطو" أداة مقالية للتأثير تتجلى في الخطاب ، في حين هي عند "أفلاطون" وسيلة واقية ذات هدف أخلاقي . والخطيب الحاذق في نظر "أرسطو" هو ذاك الذي يتمثل الحضور النقدي للسامع ، حتى وإن توارى ذلك الحضور وراء حوار باطني ، وقد تسرّب هذا الفهم للحوار إلى التداولية الحديثة

ولقد ظل المنهج النقدي الأرسطي في الخطابة أو المنطق مسيطراً حينا من الدهر على الفكر الغربي إلى غاية القرن التاسع عشر ، بل وتواصل تأثيره في الدراسات اللسانية إلى يومنا هذا .

وبهذا فقد غدت الخطابة عند "أرسطو" الدعامة الأساسية للنظرية النقدية في الأدب والنقد المسماة "الشكلانية" والتي تعتبر الفن نتاج التطبيق الصارم للطرائق الشكلية ، وهو ينزع إلى نوع من الشعرية التي أسسها "جاكبسون" وقد عادت التداولية بعد فوات مرحلة مؤسسيْها "أوستين"و"سيرل" إلى التحليل الحجاجي خاصة مع لسانيين فرنسيين على شاكلة : "أزفالد ديكرو" ، و"كربرات أوركيوني. "

المحاضرة السادسة : إجراءات التحليل التداولي للخطاب

تمهيد

لن تبلغ المقاربة التداولية لأي خطاب غايتها ، إلاّ بالبحث في الحجاج والقصد والمقام وأحوال المتخاطبين وأفعال الكلام ، التي تُعَدُّ مرتكزات التحليل التداولي للخطاب ، لذا يستدعي تحليل كثير من الخطابات معرفة بسياق التّخاطب وبأحوال المتخاطبين، وذلك بالاحتكام إلى الإطار النفسي والسوسيو ثقافي الذي احتضنها وشهد تشكُّلها، لذا "يُعنى التداوليون بالاقتراب من الخطاب كموضوع خارجي، أو شيء يفترض وجود فاعل منتج له، وعلاقة حوارية مع مخاطب أو مرسل إليه (...)، وما يهمّنا في التحليل التداولي إنما هو الخطاب وفاعله، الفاعل الذي نعرفه فحسب من خلال خطابه، أي بالكيفية التي يُقدّم بها نفسه"[1]، دون الحاجة إلى تشريح البنية اللسانية والاكتفاء بها، كما فعل البنويون، لأنّ تحقّق تداولية الخطاب مرهون بالإجابة عن الأسئلة التالية: كيف يبني الباثُّ خطابه؟ وكيف يختار الألفاظ والتراكيب التي تجسّد دلالته؟ وما هي المداخل الإقناعية التي تدعم حجاجه وتُبَلِّغ رسالته؟ وهل يمتلك المخاطِب والمخاطَب مرجعية لغوية وثقافية متقاربة، تمكّنهما من التّواصل الإيجابي الذي يقوم على معادلة التشفير وإزالة التشفير؟ وما هي الآليات النفسية والعقلية التي يُفعِّلها المتلقي حتى يظفر بمكنون الخطاب؟ ... وغيرها من الاستفهامات الكثيرة التي تهدف إلى الوقوف على مدى تحقّق تداولية الخطاب، فلا تكونُ مقاربةُ الخطابِ تداوليةً إلاّ "بالتركيز على مستعملي اللّغة وسياق(ات) الاستعمال، ومراعاة ظروف استخدام اللّغة الإنسانية كما يُقرّرها سياق المجتمع، وكذا الاهتمام بمظاهر التأويل بحسب السياقات، وتحليل مقامات الخطاب ومقاصده، إضافة إلى دراسة معاني المنطوقات في علاقتها بالمتكلم (...) بعد استحضار الشروط التي تجعل المنطوقات مناسبة وناجحة إنجازيا، ودراسة العلاقة بين أفعال الكلام وسياقاتها غير اللغوية"[2]، وهنا تبرز أهم مفاهيم التداولية وأبرز مقولاتها، كالسياق والمقام والتأويل والقصد والأفعال الكلامية والقوة الإنجازية والحجاج... فجميعها تبني الخطاب وتوجّهه الوجهة المثلى التي تحقّق مقاصد المتكلّمين .

1. الأفعال الكلامية Les actes de parole:

الفعل الكلامي هو كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وعلاوة على ذلك يُعد نشاطا ماديا نحويا، يتوسل بأفعال قولية (Actes locutoires) ويهدف إلى تحقيق أغراض إنجازية (Actes illocutoires) كالطلب والأمر والوعد والوعيد... وغايات تأثيرية (Actes perlocutoires) تخصّ ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول)، ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطَب اجتماعيا أو مؤسساتيا ومن ثم إنجاز شيء ما[3].

---

1): صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 124 وما بعدها.

2): ينظر حافظ إسماعيلي علوي، التداوليات (علم استعمال اللغة)، ص 02 وما بعدها.

3): ينظر مسعود صحراوي، في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي، مقال في كتاب: التداوليات/ علم استعمال اللغة، إشراف حافظ إسماعيلي علوي، ص 51 إلى ص 53.

إنّ أوّل من طرح مفهوم الفعل الكلامي في ساحة التداول كان "أوستين Austin " وطوّره بعده "سورل Searel محوّلاً – بذلك – مسار الدّراسات اللسانية، من الالتفاف حول البنية الداخلية للغة والاكتفاء بها، إلى البحث في علاقة اللغة بمستعمليها، وهي الفكرة الأساس التي ناقشها "أوستين" في كتابه "كيف ننجز الأفعال بالكلمات" وتنص نظرية الأفعال الكلامية على ارتباط اللغة بواقع استعمالها في المحيط التواصلي، لأنّ كثيراً من المقامات التواصلية تجعلنا نُصدر أقوالاً وملفوظات، تحثّ مخاطبينا على القيام بأفعال متضمَّنة في تلك الأقوال، كمقامات الوعد والنّهي والشرط والأمر والتحذير... لذلك " تؤكّد نظرية أفعال الكلام أنّ الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي في آن، فهناك أحداث كثيرة ننجزها من خلال نطق جملة أو نص ما، فمثلاً الفعل الإنجازي الدّال على (الوعد) الموجود في المثال (غداً سأضربك ضرباً مبرّحاً)، إذا أُنجِزَ غداً فإنّ وظيفة الحدث هنا هي (الوعد) فعلاً، أما إذا لم يُنجَز غداً، فإنّ الوظيفة ستتّخذ بُعداً براجماتيا آخر لتكون التهديد أو التحذير"[1]، ومن هنا بدأ يتبلور مفهوم التداولية، حيث ساعدت فكرة أفعال الكلام على خلق مساحة بحث لساني جديد، تتحرّر فيه اللغة من القيود الشّكلية التي كبّلتها بها البنوية ردحاً من الزمن ، لأنّ البحث في تحقّق تداولية الخطاب تقتضي تجاوز البنية اللّسانية المنكفئة على ذاتها[2] إلى ربط الممارسة اللّغوية بالمقام الذي أُنجزت فيه ، لأنّنا – في كثير من المقامات التواصلية – لا ننجز الأقوال من أجل ذاتها، أو من أجل قيمة إخبارية تتضمّنها ، بل ليتحقّق من خلالها فعل إنجازي يُلزم المتلقي باستجابة استلزامية يفرضها الفعل الإنجازي (سلبا أو إيجابا). وما يزيد في أهمّية الأفعال الكلامية في الحقل التداولي، أنّها تحقّق أغراضاً نفعية كثيرة، تثري الخطاب وتُعيد نسج علاقات راسخة بين أقطابه المتفاعلة ، "فمن المعلوم أنّ للفعل الكلامي وظائف تداولية مرتبطة بقصد المخاطب، من أهمّها وظيفته الحجاجية، التي تزيد من فاعليته الإنجازية، التي أرادها له "أوستين وسورل"، ولا سيما تلك المرتبطة بوظيفتي التأثير والإقناع في بعض مقامات التخاطب"[3].

2. الحجاج: L'argumentation:

يُعدّ الحجاج ممارسة لغوية مألوفة في خطاباتنا اليومية ، حيث ننجزه بعفوية تنتفي عنها المقصدية في حالات كثيرة، بغية التأثير في المتلقي، حيث تتباين المقامات وتتنوّع السياقات بين النهي والنفي والشرط والتأكيد... وغيرها من الأساليب ، التي تقتضي من المرسل أن يُضمّن خطابه حُججا تُقنع السامع بضرورة تبنّي فكر جديد ، أو نبذ موقف معيَّن ، أو تعديل سلوك قائم ، بشكل يساوق ما يسعى المرسل إلى أن يُقنع به مخاطَبَه ، ورغم الحضور المكثَّف للحجاج في لغة تواصلنا اليومي، وبقدر ما هو مألوف كممارسة لسانية وحاضر في كل أنشطتنا العادية، فإنّه مُنفَلت ومستعص على الإحاطة والتعريف، ورغم ذلك اجتهد العديد من الباحثين ، بخاصة البلاغيين والفلاسفة (المناطقة) واللسانيين منهم ، في محاولة إقامة حدوده ، وضبط مفهومه ، لتمييزه عن غيره من المصطلحات المشابهة له ، كالبرهان والإقناع والاستدلال...

---

1): انظر حسام أحمد فرج، نظرية علم النص (رؤية منهجية في بناء النص النثري)، ص 48.

2): "إنّ كل عبارة متلفَّظ بها، ينبغي ألاّ توصف فقط من وجهة تركيبها الداخلي والمعنى المحدّد لها بل ينبغي أن يُنظَر إليها كذلك من جهة الفعل التام الإنجاز، المؤدي إلى إنتاج تلك العبارة (...) أعني أن يصير تركيبها مناسباً لمقتضى الحال، بالنظر إلى السياق التواصلي"

- فان دابك، النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، ترجمة: عبد القادر قيني، ص 18 وما بعدها.

3): مسعود صحراوي، في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، مقال في كتاب: التداوليات / علم استعمال اللغة، ص 59.

يُعرَّف الحجاج بأنّه "**العملية التي يسعى من خلالها المتكلم إلى تغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى مخاطَبه بواسطة الوسائل اللغوية**"[1] ، ضمن مشهد تواصلي مدروس تكون الرسالة فيه أهم مكوّنٍ من مكوّنات عملية الاتصال، حيث يُضمِّنها المرسل أفكاره ومعتقداته بطريقة تُؤثّر في المرسل إليه ، وتجعله يقتنع بأطروحاته ويتبنّى مواقفه، ويُوظّف –لتحقيق ذلك– شتى الوسائل اللغوية والأساليب البلاغية ، كالحجج والروابط الحجاجية وأساليب الشرط والتوكيد والمقارنة...وذلك للانتقال بالمتلقي من طور الاستماع والإدراك ، إلى طور الرضى والتسليم والاقتناع بمضمون الرسالة، فـ "**الحجاج هو فن إقناع المرسل المتلقي مستمعا كان أو قارئا استنادا إلى عدد من الحجج المترابطة فيما بينها ترابطا منطقيا ، والمتنامية تناميا ديناميا داخل مسار حجاجي يستجيب لخصوصياته بغية التأثير عليه وجعله يعتقد في صدق وحقيقة وعدالة وفائدة ما يدافع عنه**"[2] .

يخلص هذا النص إلى أنّ غاية الحجاج هي الإقناع ، الذي يتحقق نتيجة تأثير الحجج التي يُضمّنها المرسل خطابه، شرط ارتباطها ارتباطا موضوعيا وعضويا ، بانتمائها إلى الحقل الدلالي نفسه ، والتفافها حول الموضوع عينه، حيث لا يُسمح لأي منها أن تَشذّ عن موضوع الرسالة، أو أن تمارس انزياحا دلاليا يحول دون حسن تلقّيها.

ويُضيف صاحب التعريف إلى ذلك ، مفهوم التنامي الديناميّ[3] ، الذي يقصد منه ضرورة مراعاة التدرّج المنطقي أثناء توظيف الحجج، حيث يستهلّ المرسل خطابه بالحجج البسيطة ذات التأثير الإخباري، ثم يستدعي الحجج المتوسطة التي تُحفّز اهتمام المتلقّي، ليختم رسالته بالحجج الدامغة ذات التأثير الإقناعي الكبير، ممّا يَسُدُّ المنافذ على المخاطَب ، ويجعله يُذعن لمضمون الرسالة، فمن غير المجدي أن نوظّف الحجج المقنعة ثم نردفها بحجج تقلّ عنها من حيث درجة الإقناع ، لأن ذلك سيُنقص من مصداقية الرسالة ، وسينبئ عن فشل المرسل في ترتيب أفكاره وتحكّمه في بناء حجاجه ، فتقلّ حظوظ الاقتناع وتنعدم الفائدة ، **لأن الحجاج في أصله "يتمثّل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب أي إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها**"[4] .

يؤكّد هذا الرأي ، أنّ الخطاب الحجاجي هو خطاب منطقي عقلي منظّم ، ينطلق من مقدِّمات رصينة ليصل إلى أهداف أكيدة، حيث تقتضي عملية إنجاز متواليات لغوية ، القدرة على استنتاج النتائج من معطيات تلك المقدّمات، وتتوزّع تلك التسلسلات الاستنتاجية والتراكيب اللغوية بين الحجج الحاملة لمضمون الخطاب وبين النتائج التي تحقّقها تلك الحجج.

---

1): عبد الله صولة، الحجاج: أُطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجاج (الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتيكاه)، مقال في سلسلة آداب "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمّادي صمّود، العدد IXXXIX جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس،1998، ص 350.

2): البشير اليعكوبي، القراءة المنهجية للنص الأدبي (النصّان الحكائي والحجاجي أنموذجا) ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 2006 ، ص 218.

3): تناقش نظرية السلالم الحجاجية مفهوم تنامي الحجج ، وضرورة احترام تدرّجها داخل الخطاب ، (سنعود إلى الحديث عن هذه النظرية في مقام آخر من البحث).

4): أبوكر العزّاوي، اللغة والحجاج، ط1، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص 16.

إنّ المتأمّل الواعي في مفهوم الحجاج ، سيدرك أنّ ثمّة نظرتين مختلفتين متكاملتين تُميّزانه، تتعلّق أولاهما بانتماء الحجج إلى بنية اللغة والنظر إليها على أنّها متواليات لغوية وتسلسلات استنتاجية، في حين تولي الثانية عنايتها لكون الحجاج هو عملية إقناع أو دفاع عن قضية ما تقوم على فعل المحاجّة أو تقديم تبريرات منطقية، حيث ترى النظرة الأولى أنّه "سلسلة من الحجج تتّجه جميعها نحو نفس النتيجة (...) أو مجموعة من الاستدلالات الموجَّهة لإثبات أطروحة"[1] ، في حين تُصرّ النظرة الثانية على أنّه "إجراء يسلكه فرد أو مجموعة لدفع مستمع إلى تبنّي موقف ، اعتمادا على إثباتات أو حجج"[2] ، ونكون –نتيجة لذلك– أمام إجراءين مختلفين ، يتعلّق الأوّل بعزل الحجاج عن ممارسيه والخاضعين له ، والنظر إليه على أنّه تقنيات وأدوات لغوية معزولة عن السياق، بينما يُصرُّ الإجراء الثاني على اعتباره واقعةً حوارية قطباها مرسل ومرسل إليه، يسعى الأوّل إلى التأثير في الثاني ، بإقناعه بتبنّي موقف ما ، عن طريق جملة من الحجج التي يتضمّنها الخطاب، وليس يُدهشنا ذلك، لأنّ انتماء دراسة ما إلى تخصّصات مختلفة ، ينجرُّ عنه اختلاف المقاربات وتباين زوايا الرؤية، فمن غير المنطقي أن تتوافق معالجة اللّساني للحجاج مع نظرة البلاغي أو الفيلسوف. أضف إلى ذلك أنّها ظاهرة صحّية للغاية، لأنّها تفتح الحجاج على مناقشات قيّمة ، وتثري الدراسة بآراء متخصّصة تضيء المفهوم من زواياه المختلفة ، لترفع اللّبس وتستجلي الغموض ، وتستثمره لغويا استثمارا منتجا.

يتّخذ الحجاج وضعيات تواصلية مختلفة ، بالنظر إلى حضوره التداولي داخل الخطاب من جهة ، وطبيعة ممارسيه وعلاقات بعضهم ببعض من جهة ثانية، معنى ذلك أنّ "الحجاج يختلف باختلاف العلاقات التداولية وباختلاف الوظائف والمجالات فقد يكون حميميا، تلجأ فيه الذات إلى حوار داخلي لإقناع نفسها، وقد يكون ثنائيا يتمّ بين فردين أو فريقين متقابلين أو بين خطيب وجمهور"[3]

وبدهي أن تختلف الحجج في كل مقام ، وتتنوّع أساليب الإقناع حسب طبيعة المتلقّي ومدى قربه من المرسل، فقد يحاور الإنسان نفسه قصد إقناعها بموقف تردّد في اتخاذه ، فيوفّر لذلك حجج (المع– والضّد) ليُقيم موازنة ترجح كفّتُها لصالح الموقف الذي يقترح الحجج الأكثر إقناعا، كما قد يكون الفرد قطبا في ثنائية تمارس الحجاج في اتجاهين متعاكسين ، يهدف كلّ اتجاه إلى دحض حجج خصمه ليُحلّ محلّها حججه الخاصة ، ساعيا –بذلك– إلى إقناع الطرف الآخر بنقيض طرحه، وفي مقام أوسع قد يتّخذ الإنسان دور الخطيب الذي يواجه جمهوره عارضا أو فارضا رأيا أو موقفا يبغي إقناعه به، فيختار لذلك حججا فاعلة ، قادرة على توصيل رسالته في بلاغة وإيجاز، فتداولية كلّ موقف ، تفرض على المرسل البراعة في اختيار مضامين خطاباته ، وإرفاقها بحجج وبراهين تُحقّق له حسن التبليغ وإيجابية التلقّي، (فكيف نرصد السّمة الحجاجية للخطاب؟ وما خصائصها؟ وكيف تتبين وتبين الخطاب؟ وكيف نجعل من مفهوم الحجاج وتقنياته وآلياته أدوات إجرائيةً تحليليةً، قادرةً على دراسة أشكال الخطاب وإبراز تحقّقاته الحجاجية)[4] ، وغيرها من الأسلة التي تتولى المقاربة التداولية للخطاب الحجاجي الإجابة عنها .

---

1): محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ط1، دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص 08

2): المرجع نفسه، ص 08

3): المرجع نفسه، ص 11.

4): انظر المرجع نفسه ، ص 05.

فالحجاج نشاط لغوي منظّم يهدف إلى الإقناع وتتجلّى فاعليّته في امتلاك القدرة على التأثير في الآخر، لأنّه يعني "الدخول في علاقة استدلالية تخاطبية مع الغير، على مقتضى الادّعاء والاعتراض، حيث يتحدّد الخطاب الحجاجي بوصفه خطاباً استدلاليا موجّهاً لإقناع الغير، بصواب أو بطلان دعوى أو أطروحة ما"[1]، وتجسّده مقامات التواصل اليومية، التي تتم بلغة مألوفة طبيعية، فمن غير التّداولي أن نمارس حجاجاً بلغة إيحائية متعالية تنأى عن اللغة التي يتواصل بها الناس في حواراتهم العادية ، فغالباً ما نلمح في الحجج التي يوظّفها الخطيب وضوحاً ومباشرة، لأنّ وظيفته الإقناع، وبما أنّه يهدف إلى استقطاب أكبر شريحة ممكنة من جمهور المتلقين، فإنّه يجتهد في بناء حجاجه بناءً مُحْكَماً، يُحقّق لخطابه المصداقية والمقبولية

3. السياق : Le contexte

تعتمد النظريات البنيوية في تحليلها اللساني على الجملة باعتبارها المستوى الأعلى في التحليل، إلا أن الجملة ليست هي الوحدة القاعدية للتبادلات الكلامية و الخطابية بل النص/الخطاب هو وحدة التبليغ و التبادل. في حين نجد التداولية-بمختلف نظرياتها- تهتم بالقول (الملفوظ) باعتباره العنصر الأساسي في الخطاب أو النص، و هذا القول يختلف تماما عن مفهوم الجملة- الذي يقوم على عنصري الإسناد : المسند و المسند إليه- لكن القول كما ذهب إلى ذلك (بنفسيت Benveniste) هو نتيجة لفعل متحقق ضمن ظروف و أحوال سياقية ، و بهذا فدلالة القول (الملفوظ) تتعدى دلالة الجملة ، و دراسته (القول) تعتمد على دراسة السياق الذي أنتج ضمنه وهذا جعل للسياق دورا حاسما في فهم النصوص وتحديد معاني الألفاظ وضبط دلالاتها، فقد اتفق اللسانيون المعاصرون على أن علاقة الكلمة مع الكلمات الأخرى في ''النص/ الخطاب'' هي التي تحدد معناها، وصرح زعيم المدرسة السياقية فيرث Firth بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال ''تسييق الوحدة اللغوية'' ، أي وضعها في سياقات مختلفة، وعليه فإن دراسة دلالات الكلمات تتطلب تحليلا للأنماط السياقية والطبقات المقامية التي ترد فيها، فمعنى الكلمة يتحدد وفق السياقات التي ترد فيها ، ويقسم السياق تبعا لذلك إلى نوعين: لساني وغير لساني

أما السياق اللساني (أو الكلامي) فهو النص/الخطاب ذاته بمستوياته اللغوية المعهودة: النحوية والمعجمية والدلالية ، وهو سياق داخلي لا يخرج عن حدود العبارة اللغوية بكينونتها النصية ، وهذا النوع يتضمن من القرائن النصية (اللفظية والمعنوية) ما يرشد إلى مراد المتكلم من الخطاب ، ولا يكون في سلّمه الإجرائي أيُّ مكوّن خارجي للمعنى والتأويل ، أما السياق غير اللساني فيراد به ظروف الخطاب وملابساته الخارجية ، والتي تشتمل على الطبقات المقامية المختلفة المتباينة التي ينجز ضمنها الخطاب ، والتي سماها علماؤنا القدامى سياق الحال، أو المقام وقالوا: [لكل مقام مقال] ، ويشمل ذلك الزمان والمكان وحال الأشخاص: المتكلمين والمخاطبين ... وهذا النوع يشتمل على القرائن الحالية التي تسهم في الكشف عن المراد .

1): شوقي المصطفى، المجاز والحجاج في درس الفلسفة (بين الكلمة والصورة)، ط 1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 2003، ص 39.

4. القصد: L'intention

هو الغرض الذي يبتغيه المتكلم من الخطاب والغاية التي يرجو إبلاغها للمخاطَب، فلن يكون هناك ''نص'' ولا ''خطاب'' دون ''قصد''، وهذا نفسه ما يركز عليه المعاصرون حين رفعوا من شأن ''القصديةIntentionnalité في كلام المتكلم ، وخصوصا كما فعل الفيلسوفان المعاصران ج. ل. أوستين Austin وتلميذه ج. سيرل Searle ، في ''نظرية الأفعال الكلامية'' التي هي أهم مفهوم من مفاهيم ''التداولية'' وأفضل إنجازاتها، وقد استعارا هذا المفهوم من الفيلسوف الظاهراتي إدموند هوسرل E. Husserl ، وهذا ما يفسّر أنّ الغاية من عملية التأويل هي إدراك القصد الحقيقي من الخطاب وليس الاكتفاء فقط بحل شفرته أو سننه ، والتأويل يختلف عن التفسير في إصابة أعماق النص والإفصاح عن طاقاته، والمعنى موجود في طبقات الخطاب، وان ترسباته ليست سوى القصد والغرض الذي وجدت من أجله اللغات ، وهناك اتصال بين القصدية واللفظية ، فاللفظ فعل قولي أما القصد فهو فعل عقلي ، كما أن تأويل النصوص مرهون باكتمال سياقها اللغوي وبيان مقصدها المفضي إلى تقعيد المعنى التداولي، وهذا يأتي من الوعي بقضية تداخل العناصر التداولية واستحضارها في تطويق المعنى والتقاط مقاصده.

المحاضرة السابعة : نظرية الأفعال الكلامية Les actes de parole

أوّلاً: نظريّة الأفعال الكلاميّة (مفهومها– ظروف نشأتها):

1. مفهومها:

تُعدّ نظريّة الأفعال الكلاميّة من أهمّ النظريّات التي قامت عليها الدّراسات التداوليّة؛ فهي نظريّة مهمّة ميّزت حقل الدّراسة التداوليّة عن غيره من الحقول اللّسانيّة، بل إنّها شكّلت منعطفًا أساسيًا في تبلّور الدّرس التّداولي الحديث، وتتجلّى أهميّتها في أنّها حاولت أن تتجاوز النّظرة التّقليديّة للكلام؛ أي تجاوزت دراسة البنية اللّغويّة في حدّ ذاتها، إلى دراسة البُعد العملي الفعلي المؤثّر لهذه البنية اللغويّة، أثناء الممارسات التّواصليّة والاسّتعمالات اللّغويّة المختلفة، في صلتها بالمقام وارتباطها بالسّياق والظّروف المحيطة.

ويقول "**رضا الطيّب الكشو**" في كتابه "**لسانيّات التعليميّة**" فيما يخصّ هذه النظريّة: "إنّه ليس من السّهل تعريفها بمعزل عن الحق المعرفي الذي تنتمي إليه؛ فهي في مفهومها العام فعل اجتماعي يُفرزه التفاعل بين القول وسياق المقام ؛فالزّواج مثلاً: إقرارٌ أمام مجموعة بشريّة بقبول الاقتران ، ويُنجَز الفعل بتلفّظ جُملة من قبيل (قبلتُ)؛ فالقول (قبلتُ) يُحدث تفاعلاً بين البنية اللّغويّة وسياق المقام. وينجز عملاً لغويًا إذا أدّى التّفاعل إلى حدوث هذا العمل، والمعيار في حدوثه ما تعتبره الأعراف الاجتماعيّة عملاً لغويًا. وهذا ما يدلّ على أهميّة الأعراف الاجتماعيّة في إحداث الأعمال اللغويّة؛ فالقول (قبلتُ) لا يُفهم إلاّ في سياقه الاجتماعي، ويرتبط بسياق خارج عن اللّغة، ويستمدّ هذا القول طاقته الإنجازيّة نتيجة التّفاعل بين الاسّتعمالات اللّغويّة والممارسات الاجّتماعيّة."[1]

وبناءً على هذا الطّرح ،يتّضح أنّ وظيفة اللّغة قدّ اتّسعت، حيث أصبحت وسيلة للتّأثير في السّلوك الإنّساني من خلال مواقف معيّنة؛ فاللغة في ظلّ نظريّة الأفعال الكلامية لم تعد تقتصر فقط على نقل الحقائق و التّعبير عن المشاعر؛ أي أنّها تجاوزت الوظيفة الإخبارية، و أضحت مؤسسة اجّتماعية تتكفل بنقل الأقوال بصيغتها اللغوية، و تحويلها إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية، وفق السّياق الذي قيلت فيه هذه الأقوال التي تكتسب طاقتها الإنّجازية في حالة توافقها مع الأعراف الاجتماعية.

فالرسالة التي يُرسلها الباث تحمل في طياتها مقاصد ونوايا معينة، يشتغل المتلقي على إدراكها من خلال فكّ شفرات الرسالة أو إذا اقتضى المقام تأويلها. وهذا التّأويل لا يكون إلاّ في خضم البيئة الاجتماعية التي ينتمي إليها كل من الباث و المتلقي؛أي أن تحليل الرسالة و تأويلها و الكشف عن مقصدية الأفعال الكلامية فيها؛سيكون في ظلّ الأنظمة اللغوية التي تُحدّدها الممارسات اللغوية في مجتمع معين، وفق أعرافه وما تواضعوا عليه من ألفاظ و مصطلحات و استعمالات لغوية، وبالتّالي ليست الوظيفة الوحيدة للغة هي الوصّف و الإخبار،بل هي قدرة لغوية ومؤسسة اجتماعية تحمل أفعالاً و أقوالاً كلامية لها قدرة إنّجازية كبيرة من شأنّها التّكم في القصّد.

---

[1] مطبعة السفير الفني، د ط، 2017، ص:45.

وفي هذا الصّدد، نجد "**أوستين**" قد أطلق شعاره المشهور في معارضة هذه الوظيفة؛ "وهو الوهم الوصفي أو المغالطة الوصفية ليثبت أنّ القول هو بدون شك نقل لمعلومات معينة للآخرين حول موضوع ما نتكلم عنه، ولكنه أيضا فعل، ويحاول من كل ذلك إبراز الوجه الإنجازي من القول، بعد أن كان الوجه الإخباري هو المسيطر."[1] وعلى هذا الأساس، يعد الفعل الكلامي Acte de parole أحد المفاهيم الأساسية التي قامت عليها نظرية الأفعال الكلامية .

1.1 مفهوم الفعل الكلامي وطبيعته:

يُعدّ الفيلسوف "**أوستين**" أوّل من نظّر للفعل الكلامي ودرسه؛ "حيث استطاع أن يُقدّم مفاهيمًا دقيقة حول طبيعته، وخصائصه، ومكوّناته، وأبعاده الإنجازيّة، وأصنافه، ثمّ طوّره علماء آخرون امثال: (سيرل) و(ريكانتي) و(غوفمان) و(أوركيوني) و(هابرماس)... وغيرهم"[2].

عرّف "**أوستين**" الفعل الكلامي بأنّه "الفعل المؤسّس من قبل متكلّم يتمتّع بصلاحيّات معيّنة"[3]، وما نستنبطه من هذا التعريف، أنّ الفعل الكلامي يكون ركيزة أساسيّة في كلام الباث، وله وقعٌ كبير في دلالة القول. وهذا الباث سيبلور حديثه وفق ما يتمتّع به من صلاحيّات وبحسب المقام الذي هو فيه.

أمّا "**فان دايك**"، فقد ربط حدّ "**الفعل الكلامي**" بـ "**الحدث**" الذي يعني في أساسه "**التعبير**". إذ يقول: "وما نعنيه بقولنا إنّنا نفعل شيئا ما؛ متى صُغنا عبارة معينة هو أنّنا نقوم بإنجاز فعل اجتماعي، كأن نعدَ وعدًا ما، ونطلب وننصح، وغير ذلك ممّا شاع وذاع أنّه يُطلق عليه "أفعال الكلام"، ويطلق عليه على نحو أخصّ "***قوّة فعل الكلام***" ،ومن الواضح أنّه يوجد بَوْنٌ شاسع بين حال إصدار بعض الأصوات من ناحية أولى، وبين القيام بإنجاز فعل مجتمعي مُعقّد من ناحية ثانية".[4] وعليه؛ نرى من هذا التّعريف أنّ الفعل الكلامي يتجاوز البنية الصوتيّة واللغويّة المشكّلة له، ولديه قوّة إنجازيّة تؤثّر في المتلقّي وتظهر عليه أثناء قيامه بذلك الفعل، وهذا ما يريده المتكلّم. وهذه العمليّة برُمّتها تخضع لإطار مجتمع معيّن، ونظامه وأعرافه، وفق سياق معيّن، مع مراعاة المقام الذي قِيلت فيه.

2.1 خصائص الفعل الكلامي:

([1]): ينظر الجيلالي دلاش ،مدخل إلى اللسانيات التداولية ،ترجمة: محمد يحياتين، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 1992، ص: 43

[2] : سامية بن يامنة، سياق الحال في الفعل الكلامي –مقاربة تداوليّة–، أطروحة دكتوراه بإشراف: أحمد عزّوز، جامعة وهران، 2012، ص: 135.

[3] : مسعود صحراوي، الأفعال المتضمّنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة/الجزائر، إشراف: عبد الله العشّي، 2003، ص: 83.

[4]: النص و السياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي و التداولي، تر: عبد القادر قنيني ،إفريقيا الشرق، الدار البيضاء،2000،ص:263

تُعتبر نظريّة الأفعال الكلاميّة الإنجاز اللغوي الوحدة الأساسيّة للتواصل الإنساني، وهذا الإنجاز لا يكون إلاّ بالاهتمام بالفعل الكلامي، ومن سماته:

1.2.1 القصديّة: Intentionnalité

يُعدّ مفهوم القصّديّة من أهمّ المفاهيم التّداوليّة التي تقوم عليها نظريّة الأفعال الكلاميّة، وهو "مفهوم يعود إلى الفلسفة الظاهراتيّة مع "**هوسرل**"، وإدخاله ضمن الدّرس التداولي قد أثرى هذا الحقل أكثر."[1]واعتمده **"أوستين"** في تحليله للفعل الكلامي، وتصنيف القوى المتضمّنة في القول؛ فيقول في بيان أهميّتها: "إنّ مسألة الأغراض والمقاصد في التّلفظ بالعبارة، وما يحتف بها من سياق قرائن الأحوال هي مسألة لها خطرها وشأنها"[2]، وبالتّالي، من الضّروري أن يؤدّي الفعل الكلامي قصدًا معيّنًا، فنجاحه من نجاح مدى تحقيقه للمقصد المراد، ولقد وُظِّف مفهوم القصد في تحليل العبارات اللغويّة، بالرّبط بين الألفاظ والتراكيب، وبين غرض المتكلّم من خطابه.

ويقول "**مسعود صحراوي**" في هذا الصّدد: "يتجلّى القصد بالخصوص في الرّبط بين التراكيب اللغويّة، ومراعاة غرض المتكلّم والمقصد العام من الخطاب، في شبكة مفاهيميّة مستوفية للبُعد التداولي للّغة؛ إذ هي المسلَّمة الأساسيّة التي تُحدّد شروط الحقّ في الكلام والانخراط في أيّ مشروع تواصلي لغوي"[3].

وعليه، لا بُدّ أن يمتلك الباث الكفاية اللّازمة لتحقيق الملاءمة بين بنية رسالته والغاية المراد إيصالها، فوضوح القصد من الرّسالة لدى المتلقّي يعود إلى حسن فكّه لشفرة الرّسالة، كما أنّه يعود إلى حسن اختيار الباث للألفاظ التي تحمل معاني فكرته، كما من الضّروري أن يكون على دراية مُسبقة بمقاصد القول حتّى يُوفّق في تحقيق الأغراض المطلوبة، فلا يكون توظيف هذه الأفعال بطريقة عشوائيّة، بل لا بُدّ أن يكون الباث على علم بمقصد وغاية كلّ فعل، كما يكون المتلقّي قادر على توضيح الاختلاف بين ما يُقال، وما يقصد، " فما يُقال؛ هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمتها اللفظيّة، وما يُقصد هو ما يريد المتكلّم تبليغه للمتلقي بطريقة غير مباشرة"[4]. انطلاقًا من هذا الطّرح، يتّضح أنّ تحقيق القصديّة (المقصد) في الفعل الكلامي في الطّرح التداولي، لا يقوم على الإنتاج اللغوي فحسب، بل تُنظّمه مجموعة من المبادئ التي تُمكّن المتكلّم في تبليغه من جهة، وتؤمّن للمتلقّي سيرورات التأويل التي تُسعفه من أجل إدراكه من جهة أخرى، "وهذه المبادئ، هي التي تُحدّد شروط الحقّ في الكلام، وتقوم في جوهرها على ثلاثة مبادئ نُلخّصها في الشّكل الآتي:

---

[1] سامية بن يامنة ،سياق الحال في الفعل الكلامي،ص:140.

[2] : أوستين، نظريّة أفعال الكلام العامّة –كيف ننجز الاشياء بالكلام–، تر: عبد القادر قنيني، افريقيا الشّرق، المغرب، ط2، 2008، ص: 178.

[3] : الأفعال المتضمّنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، ص: 70.

[4] : مسعود صحراوي، التداوليّة عند العلماء العرب، دار الطّليعة، بيروت، ط1، 2005، ص: 57.

مبدأ التفاعل **Principe d'interaction**	مبدأ الحصافة **Principe de pertinence**	مبدأ التأثُر **principe d'influence**
كلّ فعل كلامي هو فعل تفاعلي بين المتخاطبين.	أي الملائمة بين القول ومقاصده.	كلّ فعل كلامي تفاعلي يندرج في إطار التأثّر بين المتخاطبين.

الشكل 01: مخطّط يوضّح أهمّ المبادئ التي يقوم عليها القصد[1]

وعليه، فإنّ هذه المبادئ الثّلاثة من شأنها التحكّم في مقصد الأفعال الكلاميّة، إذ تُسهّل عمليّة الطّرح على المتكلّم، وتُيسّر على المتلقّي عمليّة التأويل.

2.2.1 المواضعة والتعاقد **Placement et contrat**:

وتعني ما اتّفقت عليه مجموعة معيّنة من النّاس تنتمي إلى مجتمع معيّن؛ أي أنّ الخليّة المصطلحيّة واللفظيّة، والثّروة المعجميّة متواضع عليها ويعرفها الجميع في ذلك المجتمع، فالمواضعة والتعاقد من خصائص الفعل الكلامي، إذ من الضّروري أن يكون هذا الفعل الكلامي معروفًا عند المتلقّي؛ فعندما أحدّثك بكلام معيّن تفهمني، وعندما تردّ الإجابة أفهمك، فلا يكون هناك التباس ولا غموض في دائرة التواصل، يوكون الأمر واضحًا عند كلّ من الباث والمتلقّي، وبالتّالي؛ المواضعة والتعاقد يكونان بين أفراد البيئة اللغويّة الاجتماعيّة الواحدة؛ "فالمتكلّم ينظّم ما هو جاهزٌ داخل قدرته التواصليّة انسجامًا مع نظام العلاقات الاجتماعيّة، بما يُخوّله هذا النّظام من حريّات، ويفرضه من قيود و إرغامات، وعليه إنّ أيّ إنتاج أو تحقيق ناجح للفعل يجب أن يعتمد على مجموع التعاقدات الاجتماعيّة، ولعلّ فكرة التعاقد هذه تقتضي أن يكون للأفراد المنتمين للجماعة الاجتماعيّة نفسها قابليّة للتّفاهم حول العروض اللغويّة الممكنة لهذا الفعل"[2].

إذن، الفعل الكلامي هو كذلك مرتبط بالمواضعة المتّفق عليها بين أفراد الجماعة الواحدة الذين يتحدّثون بلغة واحدة، وأيضًا مرهون بالتعاقد المتداول بينهم، وعليه، يمكن إنجاز الفعل الكلامي بشكل مضبوط في السّياق التواصلي، وفق ما تنصّ الأعراف المجتمعية وكذا ما تواضعوا وتعقدوا عليه من لغة.

3.2.1 الحاليّة :Situationalité: وتعني مناسبة الكلام (المقال) للمقام ولمقتضى الحال، مع مراعاة الظّروف المحيطة بكلّ من الباث والمتلقّي، كما لا بدّ من الفهم الصّحيح للقول والمقام الذي قيل فيه. فأحيانًا قول معيّن نجد معناه يختلف ويتغيّر باختلاف السّياق، باعتبار أنّ الفعل الكلامي فعل سياقي اجتماعي، "ممّا يجعل الانسجام بين المتكلّم والإنتاج اللغوي من جهة

---

[1] : للاستزادة حول هذه المبادئ، انظر: لوبيز ألنسو وأسيردي ألموس، لسانيّات الخطاب، حوار مع باتريك شارودو، تر: محمد يحياتين، مجلّة اللغة العربيّة الصّادرة عن المجلس الأعلى للّغة العربيّة، ع:2، 1999 ،ص: 241.

[2] : عبد السّلام اسماعيلي علوي، التلفّظ والإنجاز www.Fikrwanakd.aljabriabed.net/n58. تمت الزيارة بتاريخ:10 فيفري 2021. على الساعة:15:30.

أولى، والمتكلّم والسّياق المقامي من جهة ثانية، والمتكلّم والمخاطِب من جهة ثالثة. فالقول الواحد قد نستعمله لإنجاز الإخبار، أو التعجّب أو الاستفهام ممّا يتطلّب من المستعمل له مراعاة الأحوال التي يستعمل فيه"[1]، ومنه، نلاحظ أنّ الفعل الكلامي يقوم على الانسجام بين السّياق المقالي من جهة، والسّياق الحالي من جهة أخرى.

وبناءً على هذا الطّرح نقول: إنّ الفعل الكلامي بإمكانه أن يُحقّق النّجاح التداولي من خلال تميّزه بالخصائص المتطرّق إليها آنفًا، والتي من شأنها بثّ روح الفعاليّة فيه، ويكون أكثر وقعًا وتأثيرًا، ويؤدّي وظيفة إنجازيّة تصل إلى حدّ إقناع المتلقّي.

2. ظروف نشأتها:

تُعدّ نظريّة الأفعال الكلاميّة "نواة مركزيّة لكثير من الأعمال التداوليّة؛ لأنّها جعلت من طبيعة الحدث اللغوي حدثًا إنجازيًا مؤثّرًا له علاقة بمقاصد الكلام"[2]. إذ لا يمكن الحديث عن التداوليّة دون استحضار نظريّة الأفعال الكلاميّة؛ فهي تعتبر من المنطلقات العلميّة التأسيسيّة للفكر التداولي، وترتبط البدايات الأولى لهذه النظريّة بفلاسفة اللغة الذين أسهموا بشكل مباشر في نشأتها وتطوّرها، "وقد أرسى معالمها الفيلسوف الإنجليزي ***"جون أوستين"***، إذ ركّز في دراسته عن اللّغة في حالة الاستعمال، وقد عرفت بعد ذلك تطوّرات مع **سيرل** و**غرايس** و**فان دايك**... وغيرهم. ولكن بعد هذا التطوّر عرفت هذه النظريّة في تلقّيها ومعالجتها تعدديّة مصطلحيّة في الفكر التداولي الغربي وكذا العربي"[3]. لكن ما يبدو واضحًا أنّ البدايات الأولى لهذه النظريّة كانت فلسفيّة بحتة؛ "فالدّافع الذي كان وراء دراستهم للغة هو التوصّل إلى فهم كيفيّة عمل الذّهن في تصوّره للعالم"[4]، وقد اتّسمت هذه الدّراسة في بدايتها، "باتّخاذها الصّبغة الصوريّة للقضايا كما استقرّت عليها في المنطق الرّمزي الحديث، مقترحة نموذجًا للغة اصطناعيّة صارمة وواضحة، تُفسّر على ضوئها التركيبات اللغويّة في اللّغات الطّبيعيّة، بالرّغم ممّا تتّصف به هذه اللّغات من الغموض"[5].

ومن أبرز النماذج الممثّلة للتيّار الذي تبنّى هذا الاتّجاه: ***"فريجه، ورسل، وفتجشتاين"*** في مرحلته الأولى.

وبعد هذا الاتّجاه يأتي تيّار آخر من فلاسفة اللّغة عكس الاتّجاه السّابق، يدرس اللّغة العاديّة باعتبارها الوسيط الأمثل الذي اعتمده في نقل أفكاره ومقاصده للطّرف الآخر، ومن أبرز روّاد هذا الاتّجاه "**رايل**" في كتابه "**مفهوم العقل**"، و"**أوستين**" في كتابه "**كيف ننجز الأشياء بالكلام؟**". وهو عبارة عن اثنتا عشرة محاضرة ألقاها في جامعة "هارفرد" الأمريكيّة، سنة 1955م، وتُرجمت إلى الفرنسيّة عام 1972م، وكذلك إلى العربيّة، فهذا الكتاب يُعدّ شهادة ميلاد حقيقيّة لنظريّة الأفعال الكلاميّة"[6].

---

[1] : ينظر، سامية بن يامنة، سياق الحال في الفعل الكلامي، ص: 143.

[2] : نظريّة الأفعال الكلاميّة، محاضرات التداوليّة (مقدّمة) https://cte.univ.setif.dz

[3] : بن عبادة فتيحة، مصطلحات التداوليّة بين المعجم والاستعمال، مذكّرة ماجستير في المعجميّة وصناعة المعاجم، سنة 2015، ص: 69.

[4] : ينظر: فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، 1980،ص:20.

[5] : سامية بن يامنة، سياق الحال في الفعل الكلامي، ص:101.

[6] : المرجع السّابق، ص:102

هكذا إذن كانت الإرهاصات الأولى لنظرية الأفعال الكلاميّة، إذ تُعدّ حجر الزّاوية في المقاربة التداوليّة، فهي من أهمّ محاورها، والتّحليل التداولي يعتمد عليها بشكل كبير، والفضل في هذا يعود إلى فرع "فلسفة اللّغة العاديّة"، وهو الذي في أحضانه نشأت ظاهرة الأفعال الكلاميّة ؛باعتبار أنّها تبنّت مسألة طبيعيّة اللّغة، فركزت على المعاني العاديّة التي تتغيّر بحسب مقامات الأحوال، ويعتبر كل من ***أوستين وسيرل وغرايس*** ،من أهمّ المؤسّسين لنظريّة الأفعال الكلاميّة ، حيث كانت الانطلاقة مع "**أوستين**"، ولعلّ أهمّ إضافة قدّمها للبحث التداولي ؛كانت **مفهوم أفعال الكلام**، التي تتعلّق بتلك الأفعال التي تتضمّن قوّة إنجازيّة، وطوّر "**سورل**" و"**غرايس**" هذا المفهوم لاحقًا إلى نظريّة متكاملة هي ***"نظريّة الأفعال الكلاميّة"*** التي لاقت رواجًا ومقبوليّة في العالم، وذاع صيتها بين جمهور اللّسانيين.

ويجدُر بنا التّوضيح –ونحن في هذا المقام– أنّ **سورل** و**أوستين** اشتركا في تحديد مفاهيم التداوليّة كالحجاج وأنواع الخطاب... وغيرها، واشتغل **غرايس** على نظريّة المحادثة التي من أهمّ قوانينها **قانون التعاون**، الذي من شأنه الكشف عن الطّاقة الإنجازيّة للأفعال الكلاميّة من خلال سياق التّخاطب. وسنتعرّف على هذا القانون في عنصر لاحق.

3. تصنيفات نظرية الأفعال الكلامية:

كان **لأوستين** و**سيرل** شرف البدء في خوض غمار التّأسيس الحقيقي لنظريّة الأفعال الكلاميّة، وتُعدّ جهود هذين الباحثين في تصنيف الفعل الكلامي القاعدة الأساسيّة، لمعرفة الفرق بين مختلف الأفعال الكلاميّة، ومدى قوّة تأثير كلّ فعل عن غيره في تحقيق ديناميكيّة التواصل التّفاعلي، في ظلّ قوّة الطّاقة الإنجازيّة لهذه الأفعال، مع اختلاف حدّتها ودرجتها من فعل إلى آخر، على اختلاف المقام والمقال والسّياق والظّروف المحيطة، وعليه سنتطرّق إلى جهود كلّ من **أوستين** و**سيرل** في تصنيف الأفعال الكلاميّة.

1.3 جهود أوستين Austin:

يعتبر **أوستين** مؤسّس هذه النظريّة، "وجاءت كردّة فعل لأصحاب **"فلسفة الوضعيّة المنطقيّة"** الذين كانوا يعتبرون أنّ اللّغة وظيفة واحدة، تنحصر في وصف وقائع العالم، وصفًا إمّا صادقًا أو كاذبًا، وأطلق **أوستين** على هذا مصطلح ***"المغالطة الوصفيّة"***، فدور اللّغة في نظره لا ينحصر في نقل الأخبار ووصف الوقائع، وتوصيل المعلومات إلى المتلقّي عن طريق علامات صوتيّة، بل إنّ هناك أفعالاً تُنجَز في الواقع، وتبدل قناعات الأفراد واعتقاداتهم بمجرّد التلفّظ بها، حيث اعتبر **أوستين** أنّ إحداث التلفّظ هو إنجاز لفعل وإنشاء لحدث"[1]. وبناءً على ذلك، ميّز **أوستين** نوعين من الأفعال الكلاميّة وهي:

1.1.3 **الأفعال التقريريّة: Acte constactif**: وهي "أقوال وأفعال خاضعة لمعيار الصّدق والكذب مثل الملفوظ: اكتب الدّرس؛ فهو ملفوظ يحتمل الصّحة أو الخطأ، وتحقيق الفعل مستقلّ تمامًا عن تلفّظ الجملة، وبالتّالي يُصبح هذا الملفوظ تقريريًا"[2].

---

[1] : عيسى بربار، البعد التداولي في العمليّة التواصليّة –شعر الأمير عبد القادر الجزائري نموذجًا–، رسالة دكتوراه علوم اللّسان، بإشراف: محمد مليباني، جامعة وهران01، الجزائر، 2016، ص: 43.

[2] : المرجع نفسه، ص: 43.

وبالتّالي، فهذا النّوع من الأفعال الكلاميّة يتحكّم فيها معيار الصّدق والكذب، فما أُنجزَ على أرض الواقع فهو صحيح، وما لم يُنجز فعليًا فهو خاطئ.

2.1.3 **الأفعال الإنجازيّة أو الانشائيّة: Acte performatif**: هي أقوال أو أفعال مرهونة ببعض شروط النّجاح التي تُحقّق الفعل الذي تسمّيه؛ أي إنجاز ما قيل عن طريق التلفّظ، فاللّغة تشتمل على أسئلة وعبارات التعجّب وأوامر، وتعابير خاصّة بالوعود والأمنيات، والتّرغيب والتّرهيب والتّشجيع"[1]، ولتحقيق الصّنف الثّاني من الأفعال الكلاميّة، لا بُدّ من مُراعاة شروط تحقّق الفعل المتلفّظ به، إذ بمجرّد التلفّظ بذلك الفعل يتحقّق على أرض الواقع؛ باعتبار أنّ اللّغة تحوي على أساليب عدّة تختلف باختلاف السّياق والمقام، وتحمل في طيّاتها طاقة إنجازيّة كبيرة، لهذا سُميت بالأفعال الإنجازيّة.

وعليه، إنّ عدم دقّة التّمييز في التّقسيم الأوّل للأفعال الكلاميّة، ولمدى ضعف نجاعة معيار الصّدق والكذب، أدّى إلى خلط بين الأفعال التّقريريّة والإنجازيّة، ممّا جعل من أوستين يتبنّى معيارًا آخر في تصنيف الأفعال الكلاميّة، وهذا المعيار –مثلما أشرنا إليه آنفًا– ، يكون من خلال تركيبة معيّنة في البنية اللغويّة للفعل؛ فتحمل إمّا الموفقيّة أو اللاموفقيّة في إنجاز ذلك الفعل.

شروط نجاح تأدية الأفعال الكلاميّة عند ج. أوستين:

الشروط المقاميّة: وهي شروط تتعلّق بالمقام، إذ يجب أن "يحصل تواضع واتّفاق على نهج مطرد متعارف عليه، يكون له بعض الآثار نتواطأ عليها، بحيث يتضمّن هذا الطّريق التلفّظ ببعض العبارات من لدُن بعض النّاس في بعض المقامات.

- يجب أن يُنفّذ المشاركون النّهج على وجه صحيح مضبوط، كامل وتام.
- أن يكون للمشاركين القصد والنيّة، في أنّ يتّبعوا ذلك السّلوك.
- أن يُلزم المشاركون أنفسهم واقعيًا بما يُنتج عن السّلوك من عواقب ونتائج"[2].

وعليه، لا بُدّ من احترام كلّ قاعدة من هذه الشّروط، فلا نعتمد على قاعدة دون الأخرى؛فوجود إجراء عُرفي متّفق عليه ويتضمّن نُطق كلمات مُحدّدة حيث ينطق بها أناس معيّنون في ظروف معيّنة، كما أنّهم مؤهّلون لتنفيذ هذا الإجراء تنفيذًا صحيحًا وكاملاً، من شأنه تحقيق إنجازيّة الأفعال الكلاميّة، وفي هذه الشأن أكّد **أوستين** على "الارتباط الاستلزامي الموجود بين هذه الشّروط، إذ يتوقف نجاح إنجازية العبارات الإنشائيّة، وتُحقّق قوّة تأثيرها على احترام كلّ قاعدة بشقّيها التّخطيطي والتّنفيذي"[3].

الشّروط المقاليّة: بالإضافة إلى الشّروط المقاميّة، توجد شروط أخرى مقاليّة متعلّقة بالمقال وصورته البنيويّة أو الخطاب الإنشائي، إذ تشتملّ الخطابات على طاقة إنجازيّة، في حين "أنّها أفعال عاديّة جدًا، مبتذلة، متصرّفة للمتكلّم المفرد، ومبنية للفاعل"[4]، وهذا ما أكّد عليه **أوستين** من شروط في الأفعال الكلاميّة، وعليه، فمن خلال هذه الشّروط المقاليّة "رسم **أوستين** الحدود بين الإخبار

[1] : المرجع نفسه، ص: 43.

[2] : أوستين، نظريّة أفعال الكلام العامّة –كيف ننجز الأشياء بالكلام–، ص: 28.

[3] : وهيبة عقاقليّة، الفعل الكلامي وسلطّة التلفّظ...، ص: 180.

[4] : أوستين، نظريّة أفعال الكلام العامّة...، ص: 16.

والإنشاء، وأثبت أنّ الجمل الإنشائيّة ليست خاليّة من المعنى، ولا يصحّ الحكم عليها بالصّدق أو الكذب؛ بل تحمل دلالة فاعليّة الفعل المعتمد والتي يُقاس نجاحها بمدى حسن إنجازه"[1].

نفهم من هذه المعايير (الشروط) المقاميّة والمقاليّة أنّه، "إذا كانت صيّاغة العبارة غامضة أو على غير العادة اللغويّة المعروفة عند المتكلّمين؛ فسيؤثّر ذلك سلبًا على كيفيّة إنجازها ونتائجها، وبالتّالي لا بدّ من احترام شرط ما تواضعوا عليه من لغة، وما اتّفقوا عليه من مصطلحات وألفاظ، حتّى لا يحدث إلتباس أو غموض، كما أنّ عجز المتكلّم عن تطبيق الفعل يتسبّب بدوره في خلخلة العمليّة التواصليّة ككلّ ،مثلمًا أنّ عدم حضور نيّة المتكلّم أو عدم تحقيقها يُضعف قوّة الفعل اللّغويّ ويُشتّت تأثيره"[2]، وفي مرحلة أخرى، بعد كلّ هذا اعتبر **أوستين** أنّ صياغة هذه الشّروط ليست بالنّهائية، إذ أعاد النظر فيها، وخَلُص بعد تدقيق كبير إلى أنّ "كلّ قول هو عمل؛ فأن تقول شيئًا ما؛ هو أن تنجز فعلاً أو تحدث عملاً يتبعه أثر مباشر أو غير مباشر في نظرة أوستينيّة خاصّة للفعل الكلامي"[3].

وبناءً على هذا الأساس ميّز **أوستين** ثلاثة أوجه ترتبط بالقول* –***وهي مرحلة التصنيف العام للأفعال الكلاميّة***– باعتبار أنّ الأقوال التي تبدو في ظاهرها خبريّة، يتّضح بعد التّدقيق فيها أنّها تحمل أفعالاً إنشائيّة وإن لم تكن صريحة؛ ممّا أدّى إلى الوقوع في الخلط وصعّب فهم طبيعة الأقوال والفصل بينها، وهذا التّصنيف العام –كنّا قد أشرنا إليه في المبحث الأوّل– ونتعرّف عليه الآن بمزيد من التّفاصيل:

1/ **فعل القول (فعل التلفّظ)**: وهو "إطلاق الألفاظ في جُمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم مع تحديد ما لها من معنى Sens ومُشار إليه Référence، وهذا الفعل يقع دائمًا مع كلّ قول، لكنّه وإن أعطى معنى ذلك القول فإنّه لا يزال غير كافٍ لإدراكنا أبعاد هذا القول؛ فمثلا قولنا: "إنّها ستمطر" يمكن أن تفهم معناه كاملاً، ومع ذلك لا ندري أهو خبر بأنّها ستمطر، أو هو تحذير من عواقب الخروج في رحلة والمطر يهطل، أو هو أمر بحمل المظلّة، أو غير ذلك"[4]، وعليه، فهذا الصّنف عبارة عن أصوات متراصّة تصدر من متكلّم معيّن، وفق تركيبة لغويّة معيّنة لا انزياح فيها عن قواعد اللّغة، تؤدّي دلالة معيّنة أو تختلف فيها الدّلالات باختلاف المقام والسّياق.

2/ الفعل الإنجازي (الفعل المتضمّن في القول): وهو "فعل المنجز بالقول، وهذا الصّنف من الأفعال الكلاميّة هو المقصود من النظريّة برُمّتها"[5]، ويعني القيام بفعل ما وقول شيء ما في آن واحد، "وهو المفهوم الذي ينطبق عليه مصطلح (الأفعال الكلاميّة)،

---

[1] : وهيبة عقاقليّة، الفعل الكلامي وسلطة التلفّظ...، 180.

[2] : ينظر: المرجع السّابق، ص: 180.

[3] : المرجع نفسه، ص: 181.

*: إنّ الترجمة المعتمدة في نقل الأقسام الثلاثة للفعل الكلامي الكامل بحسب أوستين هي ترجمة: د/ مسعود صحراوي، ويُنظر ذلك في كتابه: التداوليّة عند العلماء العرب، ص: 41-43.

[4] : طالب سيّد هاشم الطبطبائي، نظريّة الأفعال الكلاميّة بين فلاسفة اللّغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت 1994، د ط، ص: 08.

[5] : مسعود صحراوي، في الجهاز المفاهيمي للدّرس التداولي المعاصر، ص: 52.

فهو فعل إنجازي حقيقي يتضمّن قوّة إنجازيّة؛ بمعنى إنجاز أفعال ذات طابع اجتماعي بواسطة كلمات وعبارات ذات طابع خطابي، فلطالما تتعقّب الفعل الكلامي نعوت مختلفة تُحدّده، من قبيل: التساؤل، الاعتذار، الدّعاء... ،إذ تنطبق هذه المصطلحات الوصفيّة لأنواع أفعال الكلام المختلفة على نيّة **قصد** المتكلّم التواصليّة في إنشاء اللّفظ"[1]، بمعنى أنّ لكلّ فعل قوّته الإنجازيّة المتأتية من غرض المتكلّم وقصده من إنجازه للفعل، مع مراعاة مقتضى المقام وقصد المخاطِب فيه، والمتلقّي لا يمكن له تحديد أنواع أفعال الكلام الموظّفة في الخطاب كالطّلب، والأمر.. إلاّ من خلال تأويل الخطاب في ضوء السّياق المحيط والاعتراف "بالطّابع القصدي للفعل المتلفّظ"[2]

3/ الفعل النّاتج عن القول (الفعل التأثيري): ويتعلّق بالفعل الذي قد نُحقّقه بواسطة قولنا لشيء ما، فهو تلك الآثار المترتّبة عن الفعل الإنجازي، وهو الدّفع إلى العمل والوصول إلى الاقتناع بفعل شيء أو تركه؛ "فعندما نقول شيئًا ما قد يترتّب عليه حدوث بعض الآثار على إحساسات المخاطب وأفكاره وتصرّفاته"[3]، وعليه نقول إنّ لكلّ فعل قوّة إنجازيّة تُخلّفُ أثرًا على المتلقّي و تدفعه إلى إصدار ردّة فعل ولو كانت سلبيّة، "ويرى **أوستين** أنّه مع القيام بفعل القول، وما يصحبه من فعل متضمّن في القول (القوّة) لا بُدّ أيضًا من أن ننجز نوعًا آخر من الأفعال، فأن نقول شيئًا ما قد يترتّب عليه أحيانًا أو في العادة حدوث بعض الآثار على إحساسات المخاطب وأفكاره أو تصرّفاته... وإنجاز فعل من هذا النّوع يمكن أن نسمّيه بإنجاز ما ترتّب عن فعل الكلام وما لزم عنه، وهو بالضّبط مصطلحنا لازم فعل الكلام"[4].

إذن، فالفعل التّأثيري هو ذلك الأثر غير المباشر الذي يتحقّق بالقول؛ أي ما يُصاحب فعل القول من أثر سواء كان إيجابيًا أم سلبيًا لدى المخاطب، كالإقناع، الترهيب، الترغيب.. وغيرها.

اقترح **أوستين** خمس تصنيفات تهدف إلى تحديد مكوّنات القدرة التواصليّة، والتي تنبني بالأساس على مفهوم الإنجاز، وهذه التصنيفات هي:

- **الحكميّات: Les Verdictifs**:

يتجلّى هذا الصّنف من القيم المقصودة بالقول في الأقوال التي تعبّر عن رأي، أو تتّخذ موقفًا من حدث ما، أو تقيّم أمرًا ما، وهذا ما يمنحها طابع الحسم في اعتبار "**أوستين**"، حيث إنّه يدرج في هذه الفئة مفاهيم عدّة، مثل: التبرئة، والعفو، وإصدار القرارات، والاتهام، والتقدير؛ بمعنى التقييم أو التّسعير، كأن نقول لأحد المتخاصمين (معك حقّ)؛ ونقصد بذلك حسم الخلاف، أو أن يقول

---

[1] : جورج يول، التداوليّة، تر: قصيّ العتّابي، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت/لبنان، ط1، 2010، ص: 82.

[2] : دومينيك مانغونو، المصـــطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحاتين، منشـــورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص: 07.

[3] : عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيّات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة، دار الكتاب الجديد، (دط)، ص: 156.

[4]: ينظر: أوستين، نظريّة أفعل الكلام العامّة –كيف ننجز الأشياء بالكلام، ص: 131.

البائع للمشتري (هذه البضاعة بكذا) ليُحدّد له قيمة ما يجب عليه أن يدفع ..."[1]، وبالتّالي فالصّنف الأوّل يُعنى بإطلاق أحكام معيّنة تتأسّس في جوهرها على البداهة أو أسباب وجيهة، انطلاقًا من موقف معيّن، يدفع بك إلى إصدار قرار نهائي وحاسم.

- **التنفيذيّات:Les Exercitifs**:

"يتعلّق هذا الصّنف من القيم المقصودة بالقول بممارسة السّلطة والحقوق، ويُدرج "**أوستين**" في هذه الفئة مفاهيما مثل التّعيين، والطّرد، والأمر، والانتخاب، والفصل، والاتّهام.. كأن يقول القاضي للمتّهم: (أنت متّهم بكذا)، أو يقول الرئيس لوزرائه: (عيّنتُ فلانًا في منصب كذا)، أو يمهّد الملك لأحد المراسيم بقوله: (باسم الله أمرنا بكذا)..."[2]، وبالتّالي فالصّنف الثّاني يقوم في أساسه على استعمال الحقّ أو السّلطة، أو كلّ ما يتعلّق بإصدار الأوامر التي وَجَبَ تنفيذها.

- **الوعديّات: Les Promissifs**:

"تسمّى كذلك الإلزاميّات أو أفعال التّكليف؛ لأنّها تلزم المتكلّم بإنجاز فعل معيّن، مثل: الوعد، الموافقة، العزم، النيّة..."[3]، إذن، يشمل هذا الصّنف مفاهيم تتعلّق بالوعد، من خلال توظيف أفعال الوعد أو الموافقة... في سياق حديثك.

- **السلوكيّات :Les comportatifs**

الهدف منها إبداء سلوك معيّن يتفاعل مع أفعال الغير مثل: الشّكر، والاعتذار، وتقديم التهاني والتعازي، والقسَم، والتحدّي، وعليه، "يشمل الصّنف الرّابع مفاهيما متنوّعة تتعلّق بالسّلوك الاجتماعي، وبمواقف حياتيّة"[4].

- **التوضيحيّات: Les Expositifs**: (تسمّى كذلك التفسيريّات، الهدف منها الحجاج، والنّقاش، والتبرير، وتختصّ بعرض مفاهيم منفصلة، مثل: التأكيد، والنفي، والوصف، والإصلاح).[5] بمعنى أنّ الصّنف الخامس -والأخير- متعلّق بالأفعال الخاصّة بتقديم وجهات النظر والدّفاع عنها من خلال الحجج والبراهين، وبالتّالي توصيل الحُجّة وتوضيح الاستعمالات والدّلالات، وهذا الصّنف يصعُب تحديده؛ لأنّ **أوستين** ضمّن الفئة المنتمية إليه ضمن الأقوال المختلفة جدًا، "لكنّها تُبيّن كيف أنّ

---

[1]: رضا الطيّب الكشّو، لسانيّات التعليميّة، ص: 49.

[2]: المرجع نفسه، ص: 52.

[3]: خديجة بوخشّة، محاضرات في اللّسانيّات التداوليّة، ليسانس lmd، لسانيّات عامّة، المحاضرة 05 بعنوان: نظريّة الأفعال الكلاميّة، ص: 26.

[4] : رضا الطيّب الكشّو، لسانيّات التعليمية، ص: 53.

[5] : ينظر، فيليب لانشـــيه، التداوليّة من أوســـتين إلى غوفمان، تر: صـــابر الحباشـــة، دار الحوار للنّشـــر والتوزيع، اللاذقيّة/سوريا، ط1، 2007، ص: 62.

العبارات المتلفّظ بها تجري مجرى الاحتجاج والنّقاش (...) وأمثلة ذلك: أجيب، وأحتجّ، وأعارض (...) وأوضّح، وأفترض، وأضع كمسلّمة"[1].

2.3 : جهود سيرل Searle:

انطلق **سيرل Searle** في دراسته لأفعال الكلام ممّا انتهى إليه أستاذه **أوستين Austin**، إذ تُعدّ جهود هذا الأخير مرحلة التأسيس، وجهود **سيرل** مرحلة النّضج والضّبط المنهجي، فاختلاف الهدف من الفعل الكلامي هو ما جعل من سيرل يعيد تصنيف أفعال الكلام وتعديل ما أتى به أستاذه، "فقد يكون الهدف منه هو القيام بفعل معيّن من جهة، وجعل الأفعال مطابقة للعالم، أو جعل العالم مطابقًا للأفعال من جهة أخرى، كما قد يختلف الهدف من الأمر، على أنّه جعل المستمع يفعل شيئًا، والهدف من الوعد هو تعهّد المتكلّم بإلزام نفسه أن يفعل شيئًا وهكذا (...)؛ فالهدف الإنجازي من الأمر والطّلب هو ذاته؛ كلاهما يجعلان المستمع يقوم بفعل شيء ما، ولكن القوّة الإنجازيّة تختلف عن ذلك"[2].

يذهب "**سيرل**" إلى تبنّي فكرة أنّ "العنصر الأساسي في التواصل الإنساني، ليس مقطعًا داخليًا في اللّغة مثل الكلمة، وإنّما هو عمل القول أو إنشاء القول"[3]، إذ يعتبر الفعل الكلامي الوحدة الأساسيّة للتواصل اللّساني والتخاطب الإنساني والمحكوم بجملة من القواعد الاجتماعيّة ذات الصّلة بالأعراف الاجتماعيّة والثقافيّة للمجموعة الكلامية، وبالتّالي؛ فإنجاز الفعل الكلامي يتمّ وفق قواعد تكوينيّة صارمة، وإلزاميّة تُساندها أخرى تقنية، وهذا ما جعل من سيرل يهتمّ بالقواعد غير اللغويّة إضافةً إلى القواعد اللّغويّة لضبط استعمال الفعل الكلامي وضمان نجاعته. وبناءً على هذه القواعد، حدّد **سيرل** الشّروط التي يجب توفّرها لكيّ يُنجز الفعل الكلامي، ويُوفّق مستعمله في تحقيق مقاصده وأغراضه.

---

[1] : اوستين، نظريّة أفعال الكلام العامّة – كيف ننجز الأشياء بالكلام–، ص: 174.

[2] : خديجة بوخشّة، محاضرات في اللسانيّات التداوليّة، المحاضرة السادسة بعنوان: نظريّة أفعال الكلام عند سيرل، ص: 27.

[3] : فيليب بلانشيه، التداوليّة من أوستين إلى غوفمان، ص: 55.

1.2.3 : شروط نجاح إنجاز الفعل الكلامي عند سيرل:

الشروط العامّة:	***شروط المحتوى القضوي:***	***الشروط التمهيديّة:***	***شرط الصّدق:***	***الشرط الأساس:***
مرتبط بالمشاركين في العمليّة التخاطبيّة.	إذ يجب أن يكون محتوى اللّفظ بالنّسبة للوعد أو التهديد دالاً على حدث مستقبلي.	لكلّ فعل شروطه التمهيديّة الخاصّة، فعندما أقطع وعدًا للقيام بشيء ما، فهذا شرط تمهيدي أوّل.	مفاده أنّ المتكلّم ينوي صادقًا القيام بعمل مستقبلي بالنّسبة للوعد مثلا.	هو أنّه عند تلفّظي لوعد، فإنّني أنوي خلق التزام بتنفيذه.

شكل 04: مُخطّط شروط نجاح الفعل الكلامي[1]

الملاحظ على هذه الشّروط أنّها تُغطّي أهمّ عناصر العمليّة التواصليّة، وما يرتبط بها من جوانب تخصُّ المحتوى وسياقه و المتخاطبين و التزاماتهم قبل وأثناء تأديتهم للفعل الكلامي، فقد أبقى "**سيرل** على تحديد **أوستين** لفعليّ الإنجاز والتأثير، في حين عدّل الفعلين الآخرين؛ فأراد بفعل التلفّظ عمليّة إنتاج الكلام والتأليف بين مكوّناته حسب مقتضيات النّسق المعبّر داخله، ويشمل كُلاً من الفعل الصّوتي، والفعل التركيبي بالمفهوم الأوستيني، أمّا الفعل القضوي فيُعادل الفعل الدّلالي عند **أوستين** (...) أصبح عند **سيرل** يُشكّل فعلاً مستقلاً يُسمّى الفعل القضوي، ويشمل فعلين: ***أ- فعل الإحالة، ب- فعل الحمل.***"[2] ، وبناءً على هذا الأساس

---

[1] : للاستزادة حول هذه الشروط ينظر:

- جورج يول: التداوليّة، تر: قصيّ العتابي، الدّار العربيّة للعلوم، لبنان، ط1، 2010، ص: 86.
- يمكن العودة إلى: صلاح اسماعيل عبد الحقّ، التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، دار التنوير، لبنان، ط1، 1993، ص: 285.

[2] : يُنظر نعيمة الزّهري، الأمر والنّهي في اللّغة العربيّة، ص: 151. وللاستزادة حول هذه المسألة أكثر، ينظر: شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغويّة –مراجعات ومقترحات–، دار الكتاب الجديد المتّحدة، لبنان، ط1، 2010، ص: 33.

*: **1/الغرض الإنجازي:**" هذا الجزء من القوة المتضمنة في القول هو الجزء الجوهري الذي به يتم نجاح الفعل الإنجازي. وهو القصد التواصلي الذي يبتغيه المتكلم بمنطوقه، مثل الحصول على قيام شخص بشيء معين."(ينظر: كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية و المناهج، تر: سعيد حسن بحيري،ص:133.
وينظر أيضا: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، ص:63.

قدّم **سيرل** تصنيفًا للأفعال الكلاميّة، وفقا لثلاثة أسس منهجيّة (الغرض الإنجازي واتّجاه المطابقة وشرط الإخلاص)*، يُعبّر عن رؤيته التّحليليّة للفعل الكلامي، ويتضمّن خمسة أصناف:

- **التقريريّات: Les assertifs**:

"وتجعل المتكلّم ينخرط بدرجات مختلفة في حقيقة القضايا المعبّر عنها، لتعيين قيم الحقيقي والخاطئ (...) وهكذا تجهد اللّغة نفسها لمطابقة الواقع؛ فالحالة المعبّر عنها هي الاعتقاد كيفما كانت درجته"[1]، أي أنّ المرسل تعهّد بدرجات متنوّعة بأنّ شيئًا ما هو واقعة حقيقيّة، وتعهّده بصدق قضيّة ما، وبالتّالي جعل الكلمات تتطابق مع الواقع.

- **الطلبيّات: Les directifs**:

يتضمّن هذا الصّنف "أفعال الأمر، والتحكّم، والطّلب، والمرافعة، والتّوسل، والالتماس، والمنع، وإصدار التعليمات، والاستفهام حول مفهوم طلب القول. وتتعلّق الحالة النفسيّة التي تُعبّر عنها هذه الأفعال بالإرادة والرّغبة والرّجاء، أمّا الهدف التّضميني فهو محاولة حمل المتلقّي على القيام بفعل ما"[2]، وعليه، فهي تهدف إلى دفع المتلقّي إلى فعل شيء ما، وذلك بالإغراء واللّين ومراعاة الحالة النفسيّة، وبالتّالي فهي أوامر بطريقة غير مباشرة.

- **الوعديّات :Les promissifs**:

"يلتزم المتكلّم في مثل هذه الأفعال بفعل شيء ما، كأن يقول: (أعدك بفعل كذا)، أو (إنّي ألتزم بكذا)، أو (أتعهّد بكذا) (...)، ونلاحظ في كلّ هذه الجُمل حضور مفهوم النيّة واضحًا لدى المتكلّم"[3]؛ أي الالتزام بدرجات إنجاز فعل ما في المستقبل (التعهّد)، وشرط هذا الالتزام هو الإخلاص والوفاء.

---

2 /**اتجاه المطابقة:** هو النحو الذي يرتبط به المحتوى مع العالم؛ أي الشيء المعبر عنه و مقتضياته الإنجازية؛ "فالغرض المتضمن في القول لأيّة قوّة متضمنة في القول يقوم دائما بربط المحتوى القضوي بالعالم؛ فهناك عدد محدود من الطرائق التي يتم بها ربط المحتوى القضوي بالعالم، نسمي كلا منها اتجاه المطابقة هذه الاتجاهات هي:
-اتجاه المطابقة من القول إلى الفعل+ اتجاه المطابقة من العالم إلى القول+ اتجاه المطابقة المزدوج+ اتجاه المطابقة الفارغ."(ينظر: مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر و التراث العربي، ص:{89-111} وينظر: طالب هاشم الطبطبائي،نظرية الأفعال الكلامية،ص:72.

[1] : فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداوليّة، تر: سعيد علّوش، مركز الإنماء القومي، سوريا، دت، ص: 66.
وينظر أيضا: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية،ص:123.-بتصرف-

[2] : رضا الطيّب الكشو، لسانيّات التعليميّة، ص: 57.

[3] : المرجع نفسه، ص: 58.

- **الإفصاحيات: Les experssifs**: الهدف منها هو "التّعبير عن حالة سيكولوجيّة محدّدة وشرط هذه الحالة النّفسيّة هو عقد النيّة والصّدق في محتوى الخطاب، ومن أمثلتها: الاعتذار، والشّكر، والتهنئة، والنّقد، والقسم"[1]، وعليه، يعمد المتكلّم في هذا الصّنف إلى التعبير عن حالاته الشعوريّة، مع مراعاة شرط الصّدق.

- **التصريحيّات: Les déclaratifs**:

"تلزم هذه الأفعال المتكلّم بما يُصرّح به من قول، كأن تُلزم مؤسّسة اجتماعيّة المتكلّم بما ينتج عن قول ما، في سياق مقامي ما، من نوع (أصرّح بأنّكما زوج وزوجة)، أو (أُفتُتحت الجلسة)، أو (...)"[2].

فمن خلال هذا النّوع من أفعال الكلام، يُحاول (المتكلّم) أن يُحدث تغييرا في الوضع القائم بمجرّد التلفّظ بها يقع الفعل، ومن أمثلتها: الزّواج، الشّراء، البيع... ويمكن تلخيص تصنيف **سيرل** كما يلي:

"لو اتّخذنا الهدف الغرضي بوصفه فكرة محوريّة نُصنّف بها استعمالات اللّغة، لوجد إذن عددًا محدودًا إلى حدّ ما لأشياء أساسيّة نفعلها باللّغة، نُخبر النّاس كيف توجد الأشياء، ونحاول التأثير عليهم ليفعلوا اشياءً، ونُلزم أنفسنا بفعل أشياءٍ، ونعبّر عن مشاعرنا ومواقفنا، ونحدث تغييرات بواسطة منطوقاتنا، وفي أحوال كثيرة نفعل أكثر من واحد من هذه لاستعمالات بمنطوق بعينه في آن واحد"[3]، وبالتّالي، فإنّ قدرة الشّخص على فهم أفعال الكلام وإنجازها هي التي تجعله يعرف الطّريقة التي تستخدم بها هذه الجُمل لإطلاق الأحكام أو الوعود أو غيرها.

4. الأفعال الكلاميّة المباشرة وغير المباشرة:

تبيّن لرّواد نظريّة الأفعال الكلاميّة أنّ الفعل الإنجازي منوطٌ بألفاظ معيّنة، وذات مرجعيّات خاصّة تدلّ على ذلك، "فالأمر مثلا يستدعي الاستخدام المباشر للأفعال الكلاميّة التي تدلّ عليه، وكذلك الحال مع الوعد أو الاعتذار أو غيرهما من القوى الإنجازيّة"[4]، ولكن قد لا يجري الفعل الكلامي على هذا الطّرح في كلّ الحالات؛ بل قد نعدل إلى ما يُكافئ ذلك من الأقوال؛ فقد نتجاوز في بعض الحالات دلالة اللّفظة الحرفيّة، لتُحقّق دلالات إنجازيّة أخرى، وقد لاحظ **سيرل Searle** هذه القضيّة، فاهتدى إلى تقسيم الأفعال الكلاميّة إلى: الأفعال الكلاميّة المباشرة، والأفعال الكلاميّة غير المباشرة"[5].

وليقرّر أنّ الأفعال الكلاميّة لا يمكن أن تؤدّى دائمًا بنُطق جُمل يُعبّر معناها الحرفي عن المعنى الذي يقصده المتكلّم؛ "إذ يمكن للمرء أن يُحقّق إنجازيّاته انطلاقًا من حالات أخرى يختلف فيها معنى القول نسقيًا عن المعنى الذي يقصده، قد تضمّ حتّى الاستعارة،

---

[1] : ينظر صالح اسماعيل عبد الحقّ، التحليل اللّغوي عند مدرسة أوكسفورد، ص: 234.

[2] : رضا الطيّب الكشو، لسانيّات التعليميّة، ص: 58.

[3] : صالح اسماعيل عبد الحقّ، التحليل اللّغوي عند مدرسة أوكسفورد، ص: 237-238.

[4] : ينظر: Searle, Sens et expression نقلا عن: سامية بن يامنة، سياق الحال في الفعل الكلامي، ص: 304.

[5] : ينظر: سيرل، العقل واللّغة والمجتمع، تر: سعيد الغانمي، الجزائر، منشورات الاختلاف، والدّار البيضاء المركز الثقافي العربي، وبيروت الدّار العربي للعلوم، ط1، 2006، ص: 220.

والكناية، والسخرية، والتهكّم، والتّهويل، والتّهوين"[1]. وعليه نقول: إنّ الخطاب يمكن أن يكون مباشرًا أو غير مباشر؛ أي تلميحًا من خلال التلفّظ بقول معيّن يكون القصد منه مختلفًا تمامًا عن المعني الحرفي، "فقد يرمي المتكلّم من خلال قوله إلى التعبير بشكل ضمني عن شيء آخر غير المعنى الحرفي، مثلما هو الشأن في التلميحات، والسخرية، وحالات تعدّد المعنى، والاستعارة..."[2]، حيث تمثّل الاستعارة والأقوال المجازيّة فعلا كلاميًا غير مباشر، ومن أجل تفسير الجملة الاستعاريّة، "ميّز **سيرل** بين معنى المتكلّم الذي يقصده، ومعنى الجملة، وهذين المعنيين لا يتطابقان، فالمتكلّم يقول شيئًا ويقصد شيئا آخرا"[3]، ولقد حدّد **سيرل** مصطلحين أساسيين استخدمهما في معالجة هذا الجانب من مشكلة الاستعارة، وهما مصطلح (معنى منطوق المتكلّم)، و(معنى الجملة)*، ورأى أنّ المعنى الاستعاري هو معنى منطوق المتكلّم.

أمّا الأفعال المباشرة فيكون معناها مُتطابقًا لما يريده المتكلّم من قصد؛ "أي يكون معناها مُطابقًا لما يُريد المرسل أن يُنجزه، مطابقة تامّة والدّالة على قصده بنصّ الخطاب"[4]، ولقد وضع **سيرل** مقاييسا لنجاح الفعل الإنجازي لهذه الأفعال الكلاميّة المباشرة وغير المباشرة، منها: "غاية القول وتوجيهه وحاته السيكولوجيّة"[5]، بمعنى أنّ المرسل يتواصل بالأفعال الكلاميّة غير المباشرة مع المرسل إليه بأكثر ممّا يتكلّم به في الواقع، "وذلك بالاعتماد على خلفيّتهم المعرفية المشتركة، اللغويّة منها وغير اللغويّة، بالإضافة إلى توظيف المرسل إليه لقُدُراته العامّة العقليّة والاستنتاجيّة"[6]، وهذا ما نلاحظه في استعمالاتنا العاديّة؛ حيث نستحسن التعبير غير المباشر عن المقاصد؛"فخروج بعض جُمل اللّغات الطّبيعيّة في بعض المقامات إلى معنى غير المعنى الذي يُوحي به محتواها القضوي (أو معناها الحرفي)"[7]، من شأنه إحداث التّشويق في الكلام والشّغف لدى السّامع، حتّى يندفع لمحاولة تفكيك رموز الخطاب الموجّه إليه والكشف عن المقصد المراد، وفي هذا الصّدد، يجدر بنا التنويه أنّ هناك آليّات تؤطّر ما نريد أن نقوله، وتضمن الفهم المقصود للفعل الكلامي، "وهذه الآليّات مستمدّة من الخلفيّة المعرفيّة والثقافيّة التي تشيع في البيئة اللغويّة الواحدة فحينما نقرأ لافتة أمام متجر مكتوب عليها: "مفتوح يوم الجمعة"، فإنّنا نفهم بطريقة غير مباشرة أنّ المتجر مفتوح طوال الأسبوع حتّى يوم الجمعة، في حين في بيئة أخرى غير عربيّة –مثلا– قد يُفهم منه أنّه مفتوح يوم الجمعة فقط"[8]، وعليه، نؤكّد على القيمة التداوليّة للفعل الكلامي غير المباشر، والتي قد لا يحملها الفعل المباشر، فهو أبلغ وأبرز وأقوى في تأدية القوّة الإنجازيّة المرادة، ويُبيّن **سيرل Searle** طبيعة الفعل الكلامي غير

---

[1] : المرجع نفسه، ص: 220.

[2] : فيليب بلانشيه، التداوليّة من أوستين إلى غوفمان، ص: 68.

[3] : خديجة بوخشّة، محاضرات في اللّسانيّات التداوليّة، ص: 29.

*: للاستزادة حول هذه القضيّة، ينظر: John Searle, Sens et expression, p :121، نقلاً عن: سامية بن يامنة، سياق الحال في الفعل الكلامي، ص: 311.

[4] : الشهري، استراتيجيّات الخطاب، ص: 137.

[5] : يُنظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداوليّة، ص: 63.

[6] : : John Searle, Sens et expression,p73 ، نقلاً عن: سامية بن يامنة، سياق الحال في الفعل الكلامي، ص: 306.

[7] : ينظر: أحمد المتوكّل، اللّسانيّات الوظيفيّة مدخل نظري، منشورات عكاظ، الرّباط، دط، 1989م، ص: 22.

[8] : سامية بن يامنة، سياق الحال في الفعل الكلامي، ص: 306.

المباشر وآليّات تأويله، "حيث إنّ الآليّات اللّسانيّة وغير اللّسانيّة؛ هي التي من خلالها يُؤوّلُ الفعل الكلامي غير المباشر،وهي مرتبطة بقدرة المتكلّم، والمتلقّي أيضًا من توظيف المعارف، وتفعيل الاستدلالات التي تمكّن من فهم التأويل الإنجازي المقصود"[1].

ويبقى جوهر الإشكاليّة المتعلّقة بتأويل الفعل الكلامي غير المباشر، "هو المسافة بين القول والمقصد، وطبقات المعنى المتعدّدة بين معنى قضوي حرفي والفعل الذي ينجزه المتكلّم في السّياق المعيّن، فالمتكلّم لا يقول ما يعنيه في كلّ مناسبات المنطوق على نحو مباشر، وإذا كانت الأفعال الإنجازيّة الإعلانيّة، والاستفهاميّة، والأمريّة تستعمل عادة –على الترتيب– للتبليغ، والسؤال، والطّلب، فإنّ هذا لا يعني وجود تناظر كلّي بين الفعل ووظيفته، مثال ذلك أنّ الفعل الإنجازي الإعلاني: "أنت آتٍ غدًا" يمكن –إذا لم يحتكم للسياق الخاصّ اللغوي وغير اللّغوي– أن يُفسّر بأنّه تبليغ: أنت آتٍ غدًا، أو استفهام: أنت آت غدًا؟"[2].

وبناءً على هذا الطّرح ؛فإنّ تعدديّة تحقيق الأفعال الإنجازيّة انطلاقًا من قول مخصوص، يفيد أكثر من فعل إنجازي، لكن يبقى الفيصل في هذا الأمر (السياق، والمقام)، وقدرة المتكلّم على تجسيدها في فعل القول من جهة، وقدرة المستمع على تمثّلها وتأويلها من جهة أخرى، فالمتكلّم يتواصل في الأفعال الكلاميّة غير المباشرة مع المتلقّي بناءً على خلفيّات تواصليّة مشتركة لغويّة وغير لغويّة، وانطلاقًا من القُدُرات العامّة الاستدلاليّة للمستمع؛ فهذه القُدُرات المعرفيّة هي التي يأخذها المتكلّم بعين الاعتبار في تشكيل القول من جهة، وتمكّن المتلقّي من تحقيق القوّة الإنجازيّة المقصودة من جهة أخرى، وبعبارة أخرى، فالفعل الكلامي غير المباشر يُؤوَّل ويُفهَم في ضوء الخلفيّة الاجتماعيّة والثقافيّة والمعرفيّة واللغويّة التي ينتمي إليها كلاّ من المتكلّم والمتلقّي، وعلى هذا الأساس ،ظهرت التداوليّة المعرفيّة، التي ترى أنّه "لا معنى لإعطاء تفسير تداولي لاستعمال اللّغة إذا لم نتوافر داخل نفس الإطار النّظري على نظريّة معرفيّة تتناول كلّ ما يتعلّق بالمعطيات الداخليّة، كالذّاكرة والخلفيّة المعرفيّة، الجوانب النفسيّة، السّياقات والظّروف المحيطة، واختبار ما يأخذ باهتمام المخاطَب وما يُثير فيه من مشاعر ومعتقدات، وما تجرّه من تعديلات على مستويات مختلفة (...) التداويّة المعرفيّة تُعالج المعلومات انطلاقًا من مجموع التضمينات المستنتجة من الأقوال؛ أي المعارف التي هي خارج اللّغة لكنّها مستنتجة من اللّغة"[3]، وعليه نستنتج إنّ تفاعل الجانب المعرفي مع الظّروف المحيطة ومختلف المعطيات الموجودة، من شأنه أن يؤثّر في الجانب اللّغوي، باعتبار أنّ اللغة توفّر لنا القوالب اللّفظيّة المناسبة للتعبير عن ذلك الجانب لمعرفي، والسّامع للأقوال المتلفّظ بها سيستنتج مختلف المعارف والأفكار الذي يُريد المتكلّم إيصالها، وبالتّالي هذا التّفاعل الحاصل هو الذي يدعم القدرة الاستنتاجيّة للمتلقّي بما يمكنه من الوقوف على التأويل المقصود للفعل الكلامي، وبالتّالي، وجب الأخذ بعين الاعتبار من نوجّه إليه الكلام، باعتبار أنّ القُدُرات اللغويّة والاستدلاليّة والتداوليّة بصفة عامّة درجات متفاوتة، حتّى نضمن النّجاح للفعل الكلامي، لقول ابن جنّي: "فقد وجب أن يُخاطب كلّ إنسان منهم بما يعتاده وبأنس به، ليكون لهم سهم منه، وحصّة فيه"[4]، وبناءً على هذا ،نلخّص الفروق الموجودة بين القوّة الإنجازيّة المباشرة والقوّة الإنجازيّة غير المباشرة في الجدول التالي:

---

[1] : ينظر المرجع السابق ص: 308.

[2] : محمد العبد، النصّ والخطاب والاتّصال، الأكاديميّة الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط1، 2005، ص: 289.

[3] : عبد السّلام عشير، الكفايات التواصليّة، منشورات Top éducation، ط1، 2007، ص: 69-70.

[4] : الخصائص، تح: علي محمد النجّار، المكتبة العلميّة، بيروت، دت، ص: 67.

القوّة الإنجازيّة المباشرة	القوّة الإنجازيّة غير المباشرة
– ملازمة للعبارات اللغويّة في مختلف المقامات التي يمكن أن ترد فيها. – تأخذ وضعًا مباشرًا فلا تحتاج إلى التأويل؛ لأنّ الدّلالة الأصليّة واضحة. – تستمدّ القوّة الإنجازيّة المباشرة من القول مباشرة، وهي بسيطة إذ تبقى في حدود السّياق الصّفر للتّلفظ.	– تتغيّر القوّة الإنجازيّة للعبارات اللّغويّة بتغيّر أحوال استعمالها. – تأخذ وضعًا ثانويًا بالنّسبة للقوّة الإنجازيّة المباشرة، ولذلك قد تُلغى فيُكتَفى بالدّلالة الأصليّة. – لا يُتوصَّل إليها إلاّ عبر عمليّات ذهنيّة استدلاليّة تتفاوت من حيث البساطة والتعقيد.

جدول يُوضّح الفروق بين القوّة الإنجازيّة المباشرة وغير المباشرة[1]

إذن إنّ أساس الفعل الكلامي غير المباشر "هو القوّة الإنجازيّة المضمرة التي تتعدّى الدّلالة الظّاهرة للقول؛ لترتبط بمقصد آخر غيره معلن مباشرة انطلاقًا من ترميز معيّن، وإنّما يرتبط بالمعنى المصرَّح به عن طريق مبادئ ما لا بدّ من الاستعانة بها لمعرفة ذلك"[2]، بمعنى أنّ الفعل الكلامي غير المباشر تكمن قوّته الإنجازيّة في كونها مخفيّة غير صريحة، وليست مرتبطة بالمعنى الحرفي للقول، بل تتعدّاه إلى التأويل انطلاقًا من ترميز معيّن من شأنه المساعدة في فهم القصد المضمر، وتكون عمليّة التأويل للفعل الكلامي غير المباشر في ظلّ مجموعة من المبادئ تواضعت عليها الجماعة اللغويّة، وتسايرت مع الأعراف الاجتماعيّة.

[1] : الفروق مستنبطة من: أحمد المتوكّل، آفاق جديدة في نظريّة النّحو الوظيفي، منشورات كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، الرّباط، 1993، ص: 22-23.
وينظر أيضًا: محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيّة، الاسكندريّة/مصر، 2002م، ص: 83.
[2] : سامية بن يامنة، سياق الحال في الفعل الكلامي، ص: 310.

المحاضرة الثامنة: نظرية المقاصد L'intentionnalité

القصد L'intention :

هو الغرض الذي يبتغيه المتكلم من الخطاب والغاية التي يرجو إبلاغها للمخاطَب، فلن يكون هناك ''نص'' ولا ''خطاب'' دون ''قصد''، وهذا نفسه ما يركز عليه المعاصرون حين رفعوا من شأن ''القصديةIntentionnalité في كلام المتكلم ، وخصوصا كما فعل الفيلسوفان المعاصران ج. ل. أوستين Austin وتلميذه ج. سيرل Searle ، في ''نظرية الأفعال الكلامية'' التي هي أهم مفهوم من مفاهيم ''التداولية'' وأفضل إنجازاتها، وهذا ما يفسّر أنّ الغاية من عملية التأويل هي إدراك القصد الحقيقي من الخطاب وليس الاكتفاء فقط بحل شفرته أو سننه ، والتأويل يختلف عن التفسير في إصابة أعماق النص والإفصاح عن طاقاته، والمعنى موجود في طبقات الخطاب، وان ترسباته ليست سوى القصد والغرض الذي وجدت من أجله اللغات ، وهناك اتصال بين القصدية واللفظية ، فاللفظ فعل قولي أما القصد فهو فعل عقلي ،كما أن تأويل النصوص مرهون باكتمال سياقها اللغوي وبيان مقصدها المفضي إلى تقعيد المعنى التداولي، وهذا يأتي من الوعي بقضية تداخل العناصر التداولية واستحضارها في تطويق المعنى والتقاط مقاصده

يُعدّ مفهوم القصّديّة من أهمّ المفاهيم التّداوليّة التي تقوم عليها نظريّة الأفعال الكلاميّة، وهو "مفهوم يعود إلى الفلسفة الظاهراتيّة مع "**هوسرل**"، وإدخاله ضمن الدّرس التداولي قد أثرى هذا الحقل أكثر."[1]واعتمده **"أوستين"** في تحليله للفعل الكلامي، وتصنيف القوى المتضمّنة في القول؛ فيقول في بيان أهميّتها: "إنّ مسألة الأغراض والمقاصد في التّلفظ بالعبارة، وما يحتف بها من سياق قرائن الأحوال هي مسألة لها خطرها وشأنها"[90]، وبالتّالي، من الضّروري أن يؤدّي الفعل الكلامي قصدًا معيّنًا، فنجاحه من نجاح مدى تحقيقه للمقصد المراد، ولقد وُظِّف مفهوم القصد في تحليل العبارات اللغويّة، بالرّبط بين الألفاظ والتراكيب، وبين غرض المتكلّم من خطابه.

ويقول "**مسعود صحراوي**" في هذا الصّدد: "يتجلّى القصد بالخصوص في الرّبط بين التراكيب اللغويّة، ومراعاة غرض المتكلّم والمقصد العام من الخطاب، في شبكة مفاهيميّة مستوفية للبُعد التداولي للّغة؛ إذ هي المسلَّمة الأساسيّة التي تُحدّد شروط الحقّ في الكلام والانخراط في أيّ مشروع تواصلي لغوي"[91].

وعليه، لا بُدّ أن يمتلك الباث الكفاية اللّازمة لتحقيق الملاءمة بين بنية رسالته والغاية المراد إيصالها؛ أي ضرورة توافق القالب اللغوي مع المقصديّة. فوضوح القصد من الرّسالة لدى المتلقّي يعود إلى حسن فكّه لشفرة الرّسالة، كما أنّه يعود إلى حسن

---

[1]: أوستين، نظريّة أفعال الكلام العامّة –كيف ننجز الاشياء بالكلام–، تر: عبد القادر قنيني، افريقيا الشّرق، المغرب، ط2، 2008، ص: 178.

[2]: الأفعال المتضمّنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، ص: 70.

اختيار الباث للألفاظ التي تحمل معاني فكرته، كما من الضّروري أن يكون على دراية مُسبقة بمقاصد القول حتّى يُوفّق في تحقيق الأغراض المطلوبة.

وفي هذا السياق، يجدر بنا أن ننوّه بأنّ الأفعال الكلاميّة يوظّفها المخاطِب في حديثه، حتّى يؤدّي وظيفة معيّنة رُبّما تكون غايتها إنجاز ذلك الفعل من طرف المخاطَب أو إقناعه. فلا يكون توظيف هذه الأفعال بطريقة عشوائيّة، بل لا بُدّ أن يكون الباث على علم بمقصد وغاية كلّ فعل، كما يكون المتلقّي قادر على توضيح الاختلاف بين ما يُقال، وما يقصد.

" فما يُقال؛ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمتها اللفظيّة، وما يُقصد ؛ما يريد المتكلّم تبليغه للمتلقي بطريقة غير مباشرة"[1]

[1]. انطلاقًا من هذا الطّرح، يتّضح أنّ تحقيق القصديّة (المقصد) في الفعل الكلامي في الطّرح التداولي، لا يقوم على الإنتاج اللغوي فحسب، بل تُنظّمه مجموعة من المبادئ التي تُسهم وتُمكّن المتكلّم في تبليغه من جهة، وتؤمّن للمتلقّي سيرورات التأويل التي تُسعفه من أجل إدراكه من جهة أخرى، "وهذه المبادئ، هي التي تُحدّد شروط الحقّ في الكلام، وتقوم في جوهرها على ثلاثة مبادئ نُلخّصها في الشّكل الآتي:

مبدأ التفاعل **Principe d'interaction**	مبدأ الحصافة **Principe de pertinence**	مبدأ التأثُر **principe d'influence**
كلّ فعل كلامي هو فعل تفاعلي بين المتخاطبين.	أي الملائمة بين القول ومقاصده.	كلّ فعل كلامي تفاعلي يندرج في إطار التأثّر بين المتخاطبين.

الشكل 01: مخطّط يوضّح أهمّ المبادئ التي يقوم عليها القصد[2]

وعليه، فإنّ هذه المبادئ الثّلاثة من شأنها التحكّم في مقصد الأفعال الكلاميّة، إذ تُسهّل عمليّة الطّرح على المتكلّم، وتُيسّر على المتلقّي عمليّة التأويل.

يتبنى الخطابُ في شكله العام على مرتكزات تداوليّة تُحقق التواصل التفاعليّ بين المتكلم و المتلقي من خلال تعاضدها مشكِّلة بذلك خطابًا لغويًّا متكامل الأركان، و لعلَّ من أبرز هذه المرتكزات نذكر: "القصديّة" أو ما يُعرفُ بـ: "نظرية المقاصد"؛ إذْ تُعدُّ لُبّ النظرية التداوليّة كون التفاعل الحاصل في الخطاب يُنتجُ عن مبدأ القصديّة المتضمَّن في الأفعال الكلاميّة ذات الطاقة الإنجازيّة، فكان لها

[1]: مسعود صحراوي، التداوليّة عند العلماء العرب، دار الطّليعة، بيروت، ط1، 2005، ص: 57.

[2]: للاستزادة حول هذه المبادئ، انظر: لوبيز ألنسو وأسيردي ألموس، لسانيّات الخطاب، حوار مع باتريك شارودو، تر: محمد يحياتين، مجلّة اللغة العربيّة الصّادرة عن المجلس الأعلى للّغة العربيّة، ع:2، 1999 ،ص: 241.

الفضل في توضيح دور المقاصد في ممارسة العمليّة التواصليّة؛ إذْ "جعلت الحدث اللّغويّ حدثًا إنجازيًّا مؤثرًا له علاقة بمقاصد الكلام؛ أي أنَّه عبارة عن مجموعة من القواعد الدلاليّة الّتي لا يُمكنها أنْ تعلنَ دون تدخل عنصر القصد"[1]

فجعلت من نظرية المقاصد جوهر نظرية أفعال الكلام، وهو المبدأ الّذي أدخله **"أوستين"** واستثمره في تحليل العبارات اللُّغويّة والربط بينهما بالنظر إلى غرض المتكلم، والمقصد العام من الخطاب، والسياق التخاطبيّ. كما أنَّها تُشكِّلُ أساس تحقُّق الخطاب و نجاحه و ذلك بتحقُّق القصديّة؛ فالفعل الكلاميّ لا يكونُ ذا طابع إنجازيّ تأثيريّ إلّا إذا حقَّقَ المتكلم من خلاله مقصده، و هذا ما يظهرُ جلِّيًا في الخطاب التعليميّ الَّذي لا يخلو من القصديّة بين المعلّم و المتعلّم، كونه خطابًا تفاعليًّا تأثيريًّا يُحدثُ تغييرًا في مستوى المتعلّم و شخصه، فهو ليس اعتباطيًّا، و إنَّما مبنيٌّ على أسس علميّة من صميم النظريّة التداوليّة الَّتي تُعلي من شأن الخطاب التعليميّ، و تسعى إلى تبليغ المقاصد المرجوة، سواءٌ كانت صريحة كالمحتوى التعليميّ المتضمن في الدرس، أو مضمرة كبعض القيّم والعادات المتضمنة في المحتوى، و هذا يتحققُ من خلال مبدأ التعاون لـ: **"بول غرايس"(Paul Grice)**الَّذي يُسهمُ في إنتاج الخطاب و حُسن تلقيه تبعًا للقصديّة الَّتي ينبني عليها.

6-الإشاريات:(Les déictiques)

6-1-مفهومها:

إنَّ الإشاريات مفهوم لسانيّ من أبرز مقولات اللِّسانيات التداوليّة دالٌّ على عناصر لغويَّة تُحيلُ على المقام مباشرة، للدلالة على حدث أو موضوع، و ذلك بالإشارة إليه بغية توجيه اِنتباه المتلقي، فهي خالية من أي معنى في ذاتها، لأنَّها مرهونة بوقوع فعل التلفظ، و لا تمتلكُ محتوى محدَّدًا إلَّا داخل هذا الوقوع الفعليّ، و لتحديدها لا بُدَّ من معرفة هوية المتكلّم، و المتلقي، و الإطار الزمانيّ و المكانيّ للحدث اللُّغويّ؛ "فحدوثُ التلفظ من ذات المتكلّم يكونُ بسِمات معينة و في حيزين (مكاني- زماني)، و بهذا فإنَّ الخطاب بصفة عامَّة يحوي على الأقل ثلاث إشاريات يُسميها الباحثون بـ: (الأنا، الهنا، الآن)" [2]

فتسعى الإشاريّات إلى تفسير الملفوظات اِنطلاقًا من السِّياق الَّذي يلعبُ دورًا هامًا في تحليل العناصر الإشاريّة الخاصة بكلِّ ملفوظ، فهي تُعنى بتكوين الخطاب وربطه بالسِّياق الَّذي يتفاعلُ معه، وتتمثَّلُ في: أسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، والضمائر، وظروف الزمان والمكان.

ووفق هذا التصوُّر، فإنَّ الإشاريّات جزءٌ مهِمٌ يُحققُ عملية الفهم والإفهام الموجهة للخطابات وتأويلها، فهي ذات وظيفة تداوليّة "لأنَّها تهتمُ مباشرةً بالعلاقة بين تركيب اللُّغات والسِّياق الَّذي

---

[1]شريفة أحمد حسن القرني، عائشة صالح أحمد بابصيل، البُعد القصديّ لتداولية أفعال الكلام في الخطاب القرآنيّ، المجلد الثالث، المجلة العربيّة للعلوم ونشر الأبحاث، كلية الآداب و العلوم الإنسانيّة، جامعة جدَّة، المملكة العربيّة السعوديّة، العدد الأوَّل، يناير 2019، ص 105

[2]حمادي مصطفى، تداوليّة الإشاريات في الخطاب القرآني: مقاربة تحليليّة لكشف المقاصد و الأبعاد، مجلة الأثر، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، العدد 26، سبتمبر 2016، ص 64

تُستخدم فيه"[1]، و هذا ما يُبيّنُ البُعد التداوليّ الَّذي تمارسه داخل الخطاب؛ إذْ نجدُ لها حضورًا قويًّا في الخطاب التعليميّ من خلال توظيف الإشاريّات بأنواعها (الإشاريّات الشخصيّة، و الإشاريّات الزمانيّة، و الإشاريّات المكانيّة، و الإشاريّات الاجتماعيّة، و إشاريّات الخطاب) من قبل المعلّم و المتعلّم، و خاصة المعلّم الّذي يلعب دورا فاعلا في تبليغ الخطاب التعليميّ إلى المتعلّم بالاستناد إليها بغية تحسين تواصله أو كفايته التواصليّة خاصة أثناء التعبير الشفويّ، و جعله أكثر فعاليّة و حيويّة يستثيرُ المعلّمُ فضول المتعلّم، و يُحفزه على التواصل في إطار سياق تعليميّ معيَّن.

6-2-أنواعها:

أجمعَ معظم الباحثين في نظرية الإشاريّات في التداوليّة على تقسيمها إلى خمسة أنواع، نذكرها على النَّحو التالي:

أ-الإشاريّات الشَّخصيّة:

يدلُّ هذا النوع من الإشاريّات على المتكلّم، فهو يُمثِّلُ محور الخطاب التداوليّ؛ حيثُ تشملُ الضمائر (المتكلّم والمخاطب)، و الدالَّة على المخاطب مفردًا، أو مثنى، أو جمعًا، مُذكرًا أو مؤنثًا، و ضمائر الحاضر، "أمَّا ضمير الغائب فيدخلُ في الإشاريّات إذا كانَ حُرًا؛ أي لا يُعرفُ مرجعه من السِّياق اللُّغويّ خرجَ من الإشاريَّات"[2]

ب-الإشاريّات الزمانيّة:

يدلُّ هذا النوع من الإشاريّات على الزمن الَّذي يتحدَّدُ بالسِّياق بناءً على زمان التكلّم،

"فهي جميع ظروف الزمان الّتي يُمكن أنْ تكونَ ظاهرةً أو مضمرة"[3]

ج- الإشاريّات المكانيّة:

يدلُّ هذا النوع من الإشاريّات على المكان؛ حيثُ يختَّصُ بتحديد الأماكن أو المواقع بالانتساب إلى نقاط مرجعيّة في الحدث الكلاميّ، "كما تُقاسُ أهميّة التحديد المكانيّ بشكل عام، اِنطلاقا من الحقيقة القائلة: إنَّ هناك طريقتان رئيسيتان للإشارة إلى الأشياء هي: إمَّا بالتسميّة أو الوصف من جهة أولى، و إمَّا بتحديد أماكنها من جهة أخرى"[4]، و من الإشاريّات المكانيّة نذكر: ظروف المكان، و أسماء الإشارة، يمين، يسار، وراء، فوق، تحت، هناك...إلى غير ذلك.

د-الإشاريّات الاجتماعيّة:

يدلُّ هذا النوع من الإشاريّات على الألفاظ و التراكيب اللُّغويّة الَّتي تُشير إلى الرابط الاجتماعيّ بين المتكلّم و المخاطب، و طبيعة العلاقة بينهما (رسميّة، أو حميميّة...إلى غير ذلك)، فعلى سبيل المثال نجدُ في العلاقات الرسميّة اِستعمال صيغ التبجيل "فضلًا عن

---

[1]عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 82

[2]ينظر: محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللُّغويّ المعاصر، ص 18

[3]المرجع السابق، ص 19

[4]عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 84

التحيات الَّتي تندرجُ من الرسميّة إلى الحميميّة مثل: صباح الخير، صباح الفل...إلخ"[1]، أمَّا في العلاقات غير الرسميّة فيتضحُ لنا أنَّها منفكَّة من قيود أيْ صيغ رسميّة، و هذا النَّوع من الإشاريّات عمومًا يعززُ الثقة بين المتخاطبين، و تبرزُ مكانة كلّ طرف في الخطاب.

هـ-إشاريّات الخطاب:

و هي إشاريّات أسقطها بعض الباحثين بسبب اللُّبس الَّتي يعتريها، و المرتبطة بالإحالة إلى سابق أو لاحق، فهي "لا تُحيلُ إلى ذات المرجع، بل تخلقُ المرجع"[2]، و يمكنُ أنْ تُستعار الإشاريّات الزمانيّة و المكانيّة لخدمة إشاريّات الخطاب، و لا تزالُ تحتاجُ إلى دراسة لاستخداماتها كونها تتداخلُ مع بعض أنواع الإشاريّات الأخرى.

يتضمَّنُ هذا النوع من الإشاريَّات "تلك العناصر الخطابيَّة الدالَّة على مدلولات مقاليّة و مقاميّة تمتُّ بصِلة وثيقة بذَات المخاطِب، الَّذي يريدُ أنْ يجري تحويلًا في خطابه بإنهاء كلامه السَّابق بتعليق اِختزاليّ دال على توجيه الاهتمام إلى أمر محدث"[3]؛ كأنْ تروي حادثة ثُمَّ تتذكرُ حادثة أخرى، فقد تُشيرُ إليها بقولك: (لكنْ تلك حادثةٌ أخرى)، و عليه تُعلّقُ باختصار على الحادثة الجديدة ممَّا يُحدث تحويلا في الخطاب، و بالتالي تغيير في الإحالة إلى المرجع.

و ممّا سبق ذكره، تتضح لنا مجمل أنواع الإشاريّات و دورها في تفعيل الخطاب التعليميّ بين المعلّم و المتعلّم للدلالة على السياق اللِّساني فهي تتحدّد في ضوئه، و تُشكِّلُ أهميّة في تبليغ الخطاب إلى جانب مقولات أخرى مثل قانون التعاون لـ:**"بول غرايس"**، فما المقصود بهذا المصطلح؟ و على ماذا يتأسس ؟

---

[1] ينظر: محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر، ص 25

[2] المرجع السابق، ص 24

[3] دلخوش جار الله حسين، التأشير و التباعد بين القدماء و المحدثين: مقاربة تداوليّة، المجلد الثالث، مجلة جامعة زاخو، العدد الثاني، 2015، ص 450

المحاضرة التاسعة: نظرية المقام

تمهيد

يعتبر التواصل ركيزة أساسية في حياة الأفراد والجماعات، لأنّه وسيلة تقارب اجتماعي يعكس ثقافة الأمّة ومدى استفادتها من مكاسب الحضارة الحديثة، ويتجلّى ذلك في وعي المنتمين إليها بضرورة الانفتاح على ثقافات الشعوب الأخرى حيث يتّخذ الاتصال أدقّ معانيه. ولكي يتحقق ذلك ، يجب أن يدرك الفرد أهمية إقامة اتصال ناجح داخل محيطه ، قبل أن يتطلّع إلى ممارسة تواصلية أوسع وأعقد من سابقتها ، تتمّ ضمن أُطُر اجتماعية وثقافية مغايرة للمنظومة المجتمعية المحلية، لذلك يُعرّف التواصل بأنّه "عملية تبادل الأنباء والحقائق والآراء والرسائل بين الأفراد والجماعات"[1] ، "فالقائم بالاتصال الناجح هو الذي يجد طريقة التعبير الصحيحة لتحقيق التقمّص مع أكبر عدد ممكن من الأفراد بين جمهور مستمعيه (...) وعليه فإنّ مهمته تنقسم إلى قسمين: معرفة ما يُريد توصيله ، ومعرفة كيفية تقديم رسالته بحيث يتحقّق لها أكبر تغلغل ممكن في عقول مستمعيه"[2]، فالتواصل – من هذا المنطلق – عملية تأثير وتأثّر يسعى المرسل فيها إلى بثّ أفكاره إلى المتلقي ، بتخيّر اللّفظ المناسب والعبارة المؤثرة وتحيُّن الفرصة المواتية لترويج أفكاره وأطروحاته ، هدفه في ذلك شدّ انتباه مخاطبه، والمحافظة – قدر الإمكان – على ذلك الانتباه ، حتى يتسنّى له تمرير رسالته في ظروف تضمن لها القبول والترسيخ، شرط أن يختار لخطاباته مضامين منتجة تروق للمتلقي وتنتمي إلى فضاء اهتمامه، والمقصود بالظروف هو المقام الذي يشهد حيثيات وملابسات تحقق الخطاب وهو موضوع هذه المحاضرة.

المقام: Situation

يُطلَق عليه في العملية التواصلية: "المرجع" (Le référent)، نسبة إلى الوظيفة المرجعية " Fonction référentielle" التي يؤدّيها ، غير أن رومان جاكبسون يرى في كتابه قضايا الشعرية[3] أن لفظة "المرجع " تنزاح دلاليا إلى مفاهيم متعددة ، تتقارب حينا وتتداخل أحيانا ، فيقترح بديلا لها ، مصطلح السياق (Le contexte) باعتباره صاحب نظرية وظائف اللّغة ، التي راح يشرح فيها ملابسات عملية التواصل وأقطابها المتفاعلة ، فقسّم السياق إلى : داخلي يتحكّم في ارتباط الوحدات اللّسانية داخل السياق الخطي ،وخارجي تشكّله مختلف الظروف الاجتماعية والثقافية التي يُتداوَل في ضوئها الخطاب وهو ما يعبّر عنه المصطلح العربي الأصيل « المقام » .

اهتم اللّسانيون العرب بالسياق لفظا ومعنىً ، وأولوه عنايتهم في أبحاثهم ودراساتهم ، فاصطلحوا عليه بالمقام، وقالوا "لكل مقام مقال" ، وأدركوا قيمته التي لا تُنكَر وقدره الذي لا يُستهان به في درسهم اللّغوي، كما لقي السياق عناية اللّسانيين الغربيين واهتمامهم

---

1): أحمد حمدي، الخطاب الإعلامي العربي، دار هومة، الجزائر 2002، ص 64.

2): إدوين إمري، فليب هـ. أولت، وإرين ك. آجي، الاتصال الجماهيري ، ترجمة إبراهيم سلامة ،ط2 ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2000 ، ص (18 – 19).

3): رومان جاكبسون، قضايا الشعرية ، ترجمة محمد الولي ، ومبارك حنون ، صفحة 27.

فأقاموا له نظرية لسانية واضحة المعالم اصطلحوا عليها بالنظرية السياقية (بريادة جون روبير فيرث "J. R. Firth" مؤسس المنهج السياقي ، الذي أكّد كثيرا على الوظيفة الاجتماعية للّغة، إضافة إلى جهود هاليداي "Haliday" و"Sinclair")[1] وغيرهم كثير ممن اشتغل بالدرس اللّساني.

(تُطلق لفظة سياق على محيط النص أو الخطاب ، أين تتموضع وحدة لسانية تربطها بغيرها من الوحدات اللّسانية السّابقة عنها واللاّحقة لها علاقات دلالية داخل تركيب معيَّن، أمّا المقصود بسياق الموقف فهي الظروف الطبيعية والاجتماعية والثقافية التي تؤطِّر الملفوظ وتؤثّث عملية الاتصال التي تفترض وجود مرسل ومرسل إليه ، يتقاسمان التجارب والخبرات والمعارف)[2].

فالكلمات – من منظور هذا التعريف – لا قيمة لها خارج السياق ، فإذا كانت حرّة معزولة فقدت أهمّيتها التي تكتسبها حال ارتباطها بغيرها من الكلمات ، بعلاقات دلالية يفرضها السياق لتبليغ دلالة كبرى هي في النهاية خلاصة تلاحم الوحدات الدلالية الصغرى ،كما يُشعرنا هذا التعريف بأنّ ثمّة نوعان من السياق :الأوّل داخليّ متعلّق بالبنية الداخلية للملفوظ وآليات انتظام الوحدات اللسانية داخل سياق خطّي، والثاني خارجي يؤطّر عملية الاتصال ، ويُقنِّن دلالاتها لارتباطه بظروف إنتاج الخطاب وشروط تبليغه وتلقيه .

أ- **السياق اللغوي: Le contexte linguistique** : يُصطلح على السياق الداخلي بالسياق اللّغوي (Le contexte linguistique) الذي يُعرَّف بأنّه: "كلّ ما يتعلّق بالإطار الداخلي للغة (بنية النص) وما يحتويه من قرائن تساعد على كشف دلالة الوحدة اللغوية الوظيفية وهي تسبح في نطاق التركيب ، وهذا الأمر يتطلّب العودة إلى نظم اللغة للوقوف على ذات الكلمة وماهيتها"[3]. ، يمارس هذا التعريف قطيعة معلنة مع المحيط الخارجي للخطاب وحيثيات إنتاجه، ليُركّز اهتمامه حول بنيته الداخلية ، معتبرا إيّاها هيكلا مُغلقا وبَنْيَنَةً مستقلّة بذاتها ، يُشترط للتعرّف على مكوّناتها ، تشريحها وتفكيكها إلى عناصرها الأوّلية المتمثلة في مستوياتها: الصوتي والصرفي والمعجمي والتركيبي والدلالي، وهذا يجعلنا نُدرك سرَّ تلك اللّحمة التركيبية والدلالية للنص أو الخطاب، إذن هو السياق الداخلي الذي لا يخرج عن حدود العبارة اللّغوية، ودوره توجيه ذهن المتلقي صوب دلالة بعينها وإلغاء ما دونها ، لأنّه يمارس حصراً وتضييقا للاحتمالات القائمة ،حتى يُبلِّغ المعنى المقصود.

فإذا قلنا مثلا: – فتح الوَلَد الباب (عكس أغلقه "فعل الفَتْح العادي").

- فتح الرئيس المؤتمر (أعطى إشارة بداية أشغال).
- فتح عينيه على حقيقة ما (اكتشف حقيقة ما).
- فتح عليه النار (صوّب اتجاهه).
- فتح الله عليه (رزقه).
- فتح قلبه للناس (اطمئنّ إليهم).

---

1): انظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ط1، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، 1982، ص68.

2) : Voir : Jean Dubois, Mathée Giacomo et autres, Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, P 116

3): عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، ط1، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2002، ص 542.

تُمكّننا هذه الأمثلة من شرح السّياق اللّغوي سواء بالنّظر إلى شكله، أو إلى التأثير الدّلالي الناتج عنه، وحتى يكتمل وصف الشكل يجب فصل مستوياته المتشابكة ، ليتّضح دور كُلٍّ منها في تحديد دلالة الألفاظ في السياق، فالصوت اللغوي "Le phonème" مثلاً لا يحمل دلالة في ذاته، إنما تتجلّى وظيفته في ارتباطه بغيره من الأصوات اللغوية لتتضافر جميعها في صنع الدّلالة وبلورتها ، ودليل ذلك أنّ الفرق الدلالي بين "قصر" و "قبر" و "قمر" شاسع بيّن ، بينما لا تختلف من حيث مبناها إلاّ في صوت لغوي واحد ورغم أنّه "أصغر وحدة في الخطاب وغير حامل لدلالة وغير قابل للتجزيء"[1] ، فإنّ تبديله بآخر قلب الدّلالة تماما وغيّر وجه السياق.

كما لا تنحصر أهمّية المكوّن الصوتي في تغيير الوحدات الصوتية بغيرها فقط ، بل تتعدّاه إلى طريقة الأداء التي تتنوّع بين نبر وتنغيم وإيقاع عادي ، لتختلف دلالة التركيب تبعا لطريقة أدائه، حيث يمكن لعبارة "جاء أخي" مثلاً أن تحمل معاني الإخبار ، أو الاستفهام أو التعجُّب ، كما قد تدلّ على الضّجر من القادم أو الفرح والابتهاج بلقياه.

كما يتحكّم المستوى الصرفي في دلالة الكلمات في السياق، حيث يوجّه ذهن المتلقي إلى معنى بعينه ويصرفه في الآن نفسه عن بقية الدّلالات التي يمكن أن ينفسح عنها اللّفظ في مقامات مغايرة، ويَحصُل ذلك عندما تُزاد وحداتٌ صرفية معيّنة إلى جذر الكلمة تكون مسؤولة عن دلالات كثيرة : كالمبالغة أو النسبة أو التعظيم أو التحقير... كما لا يجب أن نُغفل الأهمية القصوى التي يحملها المستوى النحوي في تصميم الخطاب وبناء هيكله خاصّة إذا علمنا أنّه "شبكة من العلاقات القواعدية التي تحكم بناء الوحدات اللّغوية داخل النص، وفيها تقوم كل علاقة بمهمة وظيفية تساعد على بيان الدلالة من خلال القرائن النحوية مثل الإعراب الذي عدَّه بعض النحاة القرينة السياقية الكبرى"[2] ، وهذا يجعله مسؤولا عن سلامة التركيب مجتمعا، بما يؤدي المعنى المقصود ، ويتّضح ذلك جليّا في عمليات التقديم والتأخير والحذف وتفعيل الأدوات اللّغوية للربط أو الجزم أو النهي أو الجر...

مثال عن أهمية المقام في تحليل الخطاب الإشهاري:

إذا تأمّلنا اللاّزمة الإشهارية التي تقول : "وفِّري في العملة... واشتر بسعر الجُملة"[3]، سنقف على دور الظواهر اللغوية المذكورة سابقا في صنع الدّلالة، حيث وقع تقديم شبه الجملة وحُذِف ما يُفترَض تأخيره، ومن المعروف أنّ اختلاف ترتيب عناصر الجملة يؤدّي حتما إلى تغيير الدلالة ، فعندما نقول: "اشتر بسعر الجملة" نكون قد قدّمنا شبه الجملة لأهمّيتها بالنسبة للمُشهر وحذفنا المفعول به (السلعة المعروضة للبيع) لأنّه غير ذا أهمّية فالمهم هنا هو التأكيد على الخدمة التي يقترحها المروّج على المستهلك وهي التخفيض لأنهما وإن اتفقا على جودة السلعة فقد يختلفان بخصوص ثمنها ، ثم إنّ التوفير هو نتيجة الشراء بسعر الجملة، لذا يُفترض دلاليا أن يُقدَّم فعل الشراء أوّلا ليترتّب عنه التوفير بعد ذلك، لكن مقام الحجاج ألزم المشهر بضرورة شدّ اهتمام المستهلك وحفز رغباته بتقديم مصلحته وهي التوفير، على فعل الشراء الذي هو مثار النّقاش والمساومة، ليضمن بذلك اطمئنانه وإقباله على العرض.

---

1): ورد هذا عند نيكولاي تروبتسكوي في نظرية الفونيم.

2): عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، ص 546.

3): شعار إشهاري الوصلة إشهارية يروّج أصحابها لمفروشات وأدوات منزلية، تبث على قنوات MBC

كما يجب أن ننتبه في مقام هذه اللاّزمة إلى الدّلالة الطلبية التي يحملها فعل الأمر، فالأمر هنا غرضه النصح والإرشاد (من وجهة نظر المروّج) ، وهذا يُشعر المتلقّي بأنّ العرض هو فُرصة لا تُفوَّت، وأنّ صاحب العرض متعاطف معه ويختار له أفضل الصفقات وأنسبها لظروفه.

ولن أبرح تحليل هذا التركيب الإشهاري قبل أن أقف عند الألفاظ المكوّنة له، فاللّفظ هو اللّبنة الأساسية في بناء الخطاب، وهذا يجعل المكوّن المعجمي هو الممولِ الأساس للدّلالة، لأنه يقترح المعنى التقريري للّفظ، ثم تُضاف إليه دلالات أخرى يفرضها السياق " فالدّلالة الأساسية هي جوهر المادة اللغوية المشترك في كل ما يُستعمل من اشتقاقاتها وأبنيتها الصرفية ، فـ (طحن) تدل على حركة وضغط ، لتحويل الحبوب إلى مسحوق ناعم بالرّحى ويكون حقيقيا مباشرا ، ومن ثم حُمّل الدّلالات المجازية المتعدّدة"[1].

والمقصود بالمعنى الأساسي، ذلك المعنى التقريري الذي يتبادر إلى الذهن حال سماعه، ونجده متواترا في المعاجم اللغوية شائعة الاستعمال، فالكلمة بمعناها المعجمي هي متوالية من الأصوات اللغوية حاملة لدلالة مركزية.

لذا لم يُجهد المروّج نفسه في انتقاء ألفاظه، لأنّه أدرك أنّ الشائع منها والأكثر تواترا، والأسرع على التذكّر والاسترجاع، هي الأنسب لتبليغ مضمون رسالته، فانتقى منها الأيسر على الفهم والأرسخ في الذهن والأقرب إلى النفس، فجاءت رسالته بسيطة واضحة تستهدف جُلَّ شرائح المجتمع.

وأما المستوى الأهم في تلك البنية المتفاعلة هو المستوى الدّلالي السياقي ، الذي يُحفّز في المتلقّي مهارتي القراءة المبدعة والتأويل المنتِج، لأنّه يبعث في النفس رغبة في استكناه النص وإصابة الدلالة المقصودة ، دون الانزياح على دلالات لم يستدعها السياق، فالمقصود بالدلالة السياقية "ما يكون قد طرأ على الكلمة من تطوّر دلالي بحسب القوانين التي ترصد حركة الألفاظ والدلالات في الزمان المتتابع بين العصور، وفي المجالات المختلفة من علمية واجتماعية وفنية، فالكلمة تكتسب أبعادا جديدة أو تُحصر في إطار خاص أو تُنقَل إلى مواقع لم تألفها قبل"[2]، وهذا يجعل من النص عملية إنتاجية دائبةً ، لا تنفكُّ تُخصِّب في كل قراءة دلالات جديدة ، بما يُكسبه حيوية وجمالية ، وبما أنّ دراسة التراكيب اللغوية دراسةً شكليةً لا تكفي وحدها لكشف المعنى المراد، وبما أنّ الألفاظ الموظّفة في سياق ما تتلبّس لبوساً دلاليا مُصطلَحٌ عليه؛ وجب الاهتمام بما ينفسح عنه الشكل من دلالة ، خاصة إذا علما أنّها "غاية الدراسات الصوتية والفونولوجية والنحوية والقاموسية، إنّها قمّة هذه الدراسات"[3] ، فبها يحصل الفهم وهو هدف التواصل ومبتغاه ، فلفظة "الجُملة" الواردة في العبارة الإشهارية "وفّري في العملة ... واشتر بسعر الجملة" مثلا ، يمكن أن تحمل دلالاتٍ مختلفةٍ تمام الاختلاف، حيث يُعبّر بها اللسانيون والنحويون عن التركيب اللغوي الحامل لدلالة، ويقصد من ورائها الفيزيائيون الجملة الميكانيكية أي اشتراك مجموعة من الآلات في إنجاز عمل واحد، وهي في السوق عكس التجزئة أي بيع السلع للتجار بكميات كبيرة، كما قد تؤدي في

1): فايز الدّاية، علم الدلالة العربي (النظرية والتطبيق)، ص (20 – 21).

2): المرجع نفسه ، ص 22.

3): محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي) ، دار الفكر العربي، القاهرة ،(د. ت)، ص 285.

بعض الاستعمالات اللّغوية معنى المجموعة ،كقولنا : (جملة المشاكل أو جملة الاستثمارات...) وغيرها من الدلالات التي يفصل بينها السياق .

والأمر نفسه ينسحب على بقية ألفاظ المثال : كالتوفير والشراء والُعملة ...التي يمكن أن تؤدي دلالات متباينة يُقِرُّها المقام ، لذا وجب الاهتمام بضبط الدّلالة وإصابة المعنى المقصود ، حتى يحصل الفهم والتواصل دونما تشويش أو لُبس أو غموض.

ب- **السياق الثقافي: Le contexte culturel**

ثمّة نوع آخر من السياق يُحتكم إليه في تحديد الدّلالة، وهو سياق خارجي يُعنى بظروف إنتاج النص وشروط تلقّيه، يُصطلح عليه بالسّياق الثقافي (Le contexte culturel) ، وينضوي تحته مجموعة من السياقات الثانوية، التي يُشكّل كلّ واحد منها بُعدا من أبعاده غير اللُّغوية ،كالسياق العاطفي والمقام والسياق المصاحِب [1] ويُعرَّف بأنه : "السياق الذي يكشف عن المعنى الاجتماعي وذلك المعنى الذي توحي به الكلمة أو الجملة ، والمرتبط بحضارة معيّنة أو مجتمع معيّن ويُدعى أيضا المعنى الثقافي، فاختلاف البيئات في المجتمع يؤدي إلى اختلاف دلالة الكلمة من بيئة إلى أخرى"[2] ،كما يُقصد به تلك الخلفية الثقافية والأيديولوجية التي تُؤطّر النص أو الخطاب ، وتمنحه أصلا وانتماءً يُقوّيان حضوره ويزيدان في درجة فهمه وترسيخه ، بما يخدم عملية التواصل ويُحقّق مراميها التي لا تقف عند حدود الملفوظ الصوتي ولا تكتفي بالعبارة المنجزة حتى وإن حقّقت دلالة ، وهذا ما يُفسّر ذيوع بعض المضامين الإشهارية وانتشارها في مجتمعات معيّنة ، وعزوف الناس عن تلك المضامين عينها في مجتمعات أخرى ، لأنّ الخطاب ابن بيئته ومشحون بقيم المجتمع الذي ينتمي إليه ، تُؤثّثه عاداته وتقاليده وأعرافه ومعتقداته ، وكلّها تنتمي إلى المنظومة الثقافية التي تُقنّن إنتاج النص وتوجّهه الوجهة المناسبة ليُحقّق تداوليته.

وتحضرني – في هذا المقام – تلك الحادثة التي وقعت منذ وقت يسير في المجتمع الجزائري ، التي أحدثت ضجّة إعلامية وتذمّرا وسط الجماهير ، عندما شرع بنك (Société Générale) في بثّ حملة إشهارية موسّعة عن نشاطاته الاستثمارية على شبكة الإنترنيت ، وضمّن إشهاره مجموعة كبيرة من صور عائلية تمثّل أسرا جزائرية في وضعيات يرفضها المجتمع ، حيث لم يراع البنك حُرمة البيت الجزائري ولا قُدسية العلاقات التي تربط أفراده مُهمِّشا بذلك قيم الاحترام والحياء والعِفّة[3] ، فكانت النتيجة ثورة موظفي البنك نفسه

---

1): – تعدّدت تقسيمات السياق وتنوّعت تصنيفاته، فهناك من يقسّمه أربعة أقسام هي : السياق اللغوي والسياق العاطفي وسياق الموقف (المقام) والسياق الثقافي، كما أنّ هناك ممن يُصنّفه إلى سياق مباشر وغير مباشر، إلاّ أنّ أكثر هذه التقسيمات إقناعا وحُجّة ذلك الذي يصنّفه صنفان الأوّل لغوي ينطلق من البنية الداخلية للغة ويتموضع في العلاقات الرابطة بين مختلف مستوياته، والثاني ثقافي يُعنى بملابسات إنتاج النص وحيثيات بنائه = =لذلك ينضوي تحته السياق العاطفي والسياق المصاحب وسياق الحال والموقف وغيرها من السياقات التي تنتمي إلى محيط النص وبيئته الخارجية (انظر فريد عوض حيدر، علم الدلالة "دراسة نظرية وتطبيقية"، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2005، ص (158 إلى 163).

2): المرجع نفسه ، ص 162.

3): تمّ بثُّ هذه الصور في موقع البنك على شبكة الإنترنت، تعرض أسراً جزائرية على شاطئ البحر تارة وفي أحد المنتجعات السياحية أو بعض المناطق الصحراوية تارة أخرى، ترتدي نساؤها وبناتها ألبسةً فاضحة، ولا يستنكف الشاب تدخين السجائر

الذين مارسوا إضرابا تجاوز ثلاثة أيام ، طالبوا في أثنائها بالوقف الفوري لهذه الوصلة الإشهارية المهينة ، ثم انتقلت حُمَّى الغضب إلى زبائن البنك وعملائه ، الذين أعربوا عن سخطهم ورفضهم مثل هذه الممارسات الذميمة ، وما يُفسّر ذلك أنّ أصول هذا البنك فرنسية ، حتى إنّ إدارته العامّة ومركزه الرئيسي يقع بمدينة باريس ، وما البنك الموجود بالجزائر إلاّ فرع يأتمر بأوامر المركز ويُنفّذ تعليماته ، وعندما تدخّل الرئيس المدير العام (PDG) (الفرنسي الأصل والجنسية) لفضِّ الإشكال، صرَّح بأنّ مضمون الإشهار نفسه بصور لأسر فرنسية لقي رواجا وإعجابا في الأوساط الأوربية ، وأنّه لا يفهم سِرّ هذه الثورة وهذا الانزعاج ، وما كان منه إلاّ أن سحب هذه الوصلة الإشهارية من السوق الجزائرية وقدّم اعتذاراً رسميًّا عن خطأ وصفه بغير المقصود ، وغاب عنه – ربّما – أنّ الدلالة في مثل هذا المقام هي صناعة محلية لا يمكن تصديرها إلى بيئات لم تشارك في بلورتها وتجسيدها.

ولعلّ عبارة "إن شاء الله تطفى الجمرة" المتداولة في الساحة الشعبية الجزائرية خير مثال على ذلك ، لأنّها وُلدت من رحم الأزمة ، وتشكّلَت بعد طول معاناة ، وتشبَّعت بمعاني الخوف والإرهاب والغدر، فغدت شعارا يردّده كل جزائري يتمنّى أن تنزاح الغُمّة بعد عُشرية دموية أتَتْ على معاني الأمن والطمأنينة والاستقرار، فهل سيكون لهذه العبارة الوقع نفسه والتأثير عينه في المجتمع الأوربي مثلا ؟ قطعاً لا، لأنّ النص هو مرآة عاكسة لمجتمعه ومستودع تجتمع فيه أعرافه وعاداته ومعتقداته وسائر منظوماته، بما يجعله لسان حاله وذاكرته التي لا تموت .

كما (يظهر السياق الثقافي في استعمال كلمات معيّنة في مستويات لغويّة محدَّدة ، فهو مجموع القيم الثقافية والاجتماعية التي تُحيط بالكلمة وتُكسبها دلالة مُعيَّنة ، وتُعدّ هذه المرجعية الثقافية ضرورية لإنجاز العملية التواصلية أو الإبلاغية لدى أهل اللغة الواحدة)[1]، لأنّ المستويات الثقافية متباينة في المجتمع ، يساوقها تعدّد استعمالات اللّفظة الواحدة ، بما يُحتِّم علينا الانتباه إلى اختلاف دلالة كل استعمال وإمعان النظر في مصدره وانتماء ممارسه ، فالمقصود من لفظة "عملية" مثلاً بالنسبة للرياضي هو "إجراءٌ حسابي"، وهي تعني بالنسبة للطبيب "التدخُّل الجراحي"، أمّا بالنسبة للعسكري فالمعنى المراد منها هي "الموقعة الحربية"، وهي للمجرم أو اللّص فرصة لتنفيذ مخطّطه... وغيرها من الاستعمالات المختلفة ، فالقراءة الصحيحة للنّص تُلزمنا بامتلاك مفاتيحه الكامنة في واقع استعمال ألفاظه .

وحتى يحصل اتفاق وتفاهم بين المرسل والمرسل إليه بخصوص دلالة الرسالة السّارية بينهما ، يُشترط امتلاكهما مرجعا لُغويا وثقافيا يستوعب مضمونها، ولعل المقصود بالمرجع هنا ، تلك الحصيلة المعرفية التي تُمكِّن صاحبها من فك شِفرات النص وسبر أغواره وفَضِّ تَمنُّعه، فكلّما اتّسع فضاؤه المرجعي زادت قدرته على القراءة المبْدعة والتأويل الذكي ، وهنا تتجلّى الوظيفة المرجعيّة "التي تتمحور حول المرجع أو السياق فهي تُجسّد العلاقة بين الدليل والموضوع الخارجي الذي نملك عنه صورة ذهنية ونفسية يُسمّيها سوسير

أمام والده، كما تمارس البنت طقوس الصداقة مع شاب غريب في حضرة أبيها ، والجميع سعيد مبتهج يدعو إلى المشاركة والاستمتاع.

1): انظر منقور عبد الجليل، علم لدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص (90 – 91)

بالتصوُّر"[1]، كما أنّ "المعنى ليس مُحايثاً للشّيء ولا سابقا عليه ، بل هو حصيلة لما تُضيفه الممارسة الإنسانية إلى الوجود المادي الذي يُميّز الأشياء"[2]، لأنّ المعنى ليس متضمَّنا في الشيء ، إنّما يكتسبه من خلال التجربة والممارسة اليومية، وهذا ما يُفسّر تنوُّع الدّلالات للدّليل نفسه حسب المقام الذي يستدعيه ، وكلما امتلكنا المزيد من هذه الدلالات المتراكمة ، اتّسع أفقنا المرجعي واستطعنا إقامة اتصال ناجح مع أفراد كثيرين ينتمون إلى مختلف المستويات الثقافية، خاصّة إذا أدركنا طبيعة العلاقة التي تربط بين الدليل (موضوع الاتصال) وما يُحيل عليه في الواقع ، معوّلين في ذلك على ما نمتلكه بخصوصه من صورة ذهنية ووَقْع نفسي يُرشداننا إلى الدلالة المقصودة.

1): جونيفييف شوفو، نظرية التواصل، ترجمة إبراهيم أولحيان، مجلة فكر ونقد ، العدد 36 ، المغرب ، فبراير 2001 ، ص 142.

2): سعيد بنكراد، السيميائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها، ط2 ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاّذقية ، سورية ، 2005 ، ص35.

المحاضرة العاشرة : الحجاج: L'argumentation

1. المعنى اللغوي:

وردت مشتقات مادة "حَ جَ جَ" في مواضع عديدة من القرآن الكريم ، ومن ذلك قوله تعالى بعد "بسم الله الرحمن الرحيم":« وحاجّه قومه، قال أتحاجوّني في الله وقد هدان» (الأنعام/ 65)، وقال أيضا: «ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم، فلم تحاجّون فيما ليس لكم به علم» (آل عمران/ 65).

تُجمع المعاجم اللغوية في تعريفها للحجاج على ما جاء في لسان العرب ، الذي يقول فيه صاحبه "حاججته أُحاجّه حجاجا حتى حجته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها (...) والحجّة البرهان وقيل الحجّة ما دافع به الخصم، وقال الأزهري: الحجّة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل محجاج أي جَدل وحجّه يحجّة حجّا: غلبه على حجّته، وفي الحديث "حجّ آدم موسى" أي غلبه بالحجّة."[1]

تلتقي التعاريف جميعها عند مفهوم واحد ، متعلّق بفعل المحاجّة ، وهو توظيف مجموعة من الحجج قصد إقناع المتلقّي والتأثير في مواقفه، وهذا يعكس البعد التداولي للحجاج ، ويثبت علاقته القوية بالخطاب كممارسة تواصلية، وهذا ما سيُثبِته المعنى الاصطلاحي للحجاج.

2. المعنى الاصطلاحي:

يُعدّ الحجاج ممارسة لغوية مألوفة في خطاباتنا اليومية ، حيث ننجزه بعفوية تنتفي عنها المقصدية في حالات كثيرة، بغية التأثير في المتلقي، حيث تتباين المقامات وتتنوّع السياقات بين النهي والنفي والشرط والتأكيد... وغيرها من الأساليب ، التي تقتضي من المرسل أن يُضمّن خطابه حُججا تُقنع السامع بضرورة تبنّي فكر جديد ، أو نبذ موقف معيَّن ، أو تعديل سلوك قائم ، بشكل يساوق ما يسعى المرسل إلى أن يُقنع به مخاطَبَه ورغم الحضور المكثَّف للحجاج في لغة تواصلنا اليومي، وبقدر ما هو مألوف كممارسة لسانية وحاضر في كل أنشطتنا العادية، فإنّه مُنفَلت ومستعص على الإحاطة والتعريف، ورغم ذلك اجتهد العديد من الباحثين ، بخاصة البلاغيين والفلاسفة (المناطقة) واللسانيين منهم ، في محاولة إقامة حدوده ، وضبط مفهومه ، لتمييزه عن غيره من المصطلحات المشابهة له ، كالبرهان والإقناع والاستدلال...

يُعرَّف الحجاج بأنّه "العملية التي يسعى من خلالها المتكلم إلى تغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى مخاطَبه بواسطة الوسائل اللغوية"[2] ، ضمن مشهد تواصلي مدروس تكون الرسالة فيه أهم مكوّن من مكوّنات عملية الاتصال، حيث يُضمِّنها المرسل أفكاره ومعتقداته بطريقة تُؤثّر في المرسل إليه ، وتجعله يقتنع بأطروحاته ويتبنّى مواقفه، ويُوظّف -لتحقيق ذلك- شتى الوسائل اللغوية

---

1): ابن منظور: مادة (ح ج ج)، دار صادر، بيروت، لبنان، 1992، ص 570.

2): عبد الله صولة، الحجاج: أُطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجاج (الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتيكاه)، مقال في سلسلة آداب "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمّادي صمّود، العدد IXXXIX جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس،1998، ص 350.

والأساليب البلاغية ، كالحجج والروابط الحجاجية وأساليب الشرط والتوكيد والمقارنة...وذلك للانتقال بالمتلقي من طور الاستماع والإدراك ، إلى طور الرضى والتسليم والاقتناع بمضمون الرسالة، فـ "الحجاج هو فن إقناع المرسل المتلقي مستمعا كان أو قارئا استنادا إلى عدد من الحجج المترابطة فيما بينها ترابطا منطقيا ، والمتنامية تناميا ديناميا داخل مسار حجاجي يستجيب لخصوصياته بغية التأثير عليه وجعله يعتقد في صدق وحقيقة وعدالة وفائدة ما يدافع عنه"[1] .

يخلص هذا النص إلى أنّ غاية الحجاج هي الإقناع ، الذي يتحقق نتيجة تأثير الحجج التي يُضمّنها المرسل خطابه، شرط ارتباطها ارتباطا موضوعيا وعضويا ، بانتمائها إلى الحقل الدلالي نفسه ، والتفافها حول الموضوع عينه، حيث لا يُسمح لأي منها أن تَشذّ عن موضوع الرسالة، أو أن تمارس انزياحا دلاليا يحول دون حسن تلقّيها.

ويُضيف صاحب التعريف إلى ذلك ، مفهوم التنامي الديناميّ[2] ، الذي يقصد منه ضرورة مراعاة التدرّج المنطقي أثناء توظيف الحجج، حيث يستهلّ المرسل خطابه بالحجج البسيطة ذات التأثير الإخباري، ثم يستدعي الحجج المتوسطة التي تُحفّز اهتمام المتلقّي، ليختم رسالته بالحجج الدامغة ذات التأثير الإقناعي الكبير، ممّا يَسُدُّ المنافذ على المخاطَب ، ويجعله يُذعن لمضمون الرسالة، فمن غير المجدي أن نوظّف الحجج المقنعة ثم نردفها بحجج تقلّ عنها من حيث درجة الإقناع ، لأن ذلك سيُنقص من مصداقية الرسالة ، وسينبئ عن فشل المرسل في ترتيب أفكاره وتحكّمه في بناء حجاجه ، فتقلّ حظوظ الاقتناع وتنعدم الفائدة ، لأن الحجاج في أصله "يتمثّل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب أي إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها"[3] .

يؤكّد هذا الرأي ، أنّ الخطاب الحجاجي هو خطاب منطقي عقلي منظّم ، ينطلق من مقدّمات رصينة ليصل إلى أهداف أكيدة، حيث تقتضي عملية إنجاز متواليات لغوية ، القدرة على استنتاج النتائج من معطيات تلك المقدّمات، وتتوزّع تلك التسلسلات الاستنتاجية والتراكيب اللغوية بين الحجج الحاملة لمضمون الخطاب وبين النتائج التي تحقّقها تلك الحجج.

يتّخذ الحجاج وضعيات تواصلية مختلفة ، بالنظر إلى حضوره التداولي داخل الخطاب من جهة ، وطبيعة ممارسيه وعلاقات بعضهم ببعض من جهة ثانية، معنى ذلك أنّ "الحجاج يختلف باختلاف العلاقات التداولية وباختلاف الوظائف والمجالات فقد يكون حميميا، تلجأ فيه الذات إلى حوار داخلي لإقناع نفسها، وقد يكون ثنائيا يتمّ بين فردين أو فريقين متقابلين أو بين خطيب وجمهور"[4]

وبدهي أن تختلف الحجج في كل مقام ، وتتنوّع أساليب الإقناع حسب طبيعة المتلقّي ومدى قربه من المرسل، فقد يحاور الإنسان نفسه قصد إقناعها بموقف تردّد في اتخاذه ، فيوفّر لذلك حجج (المع- والضّد) ليُقيم موازنة ترجح كفّتُها لصالح الموقف الذي

---

1): البشير اليعكوبي، القراءة المنهجية للنص الأدبي (النصّان الحكائي والحجاجي أنموذجا) ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 2006 ، ص 218.

2): تناقش نظرية السلالم الحجاجية مفهوم تنامي الحجج ، وضرورة احترام تدرّجها داخل الخطاب ، (سنعود إلى الحديث عن هذه النظرية في مقام آخر من البحث).

3): أبوكر العزّاوي، اللغة والحجاج، ط1، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص 16.

4): المرجع نفسه، ص 11.

يقترح الحجج الأكثر إقناعا، كما قد يكون الفرد قطبا في ثنائية تمارس الحجاج في اتجاهين متعاكسين ، يهدف كلّ اتجاه إلى دحض حجج خصمه ليُحلّ محلّها حججه الخاصة ، ساعيا –بذلك- إلى إقناع الطرف الآخر بنقيض طرحه، وفي مقام أوسع قد يتّخذ الإنسان دور الخطيب الذي يواجه جمهوره عارضا أو فارضا رأيا أو موقفا يبغي إقناعه به، فيختار لذلك حججا فاعلة ، قادرة على توصيل رسالته في بلاغة وإيجاز، فتداولية كلّ موقف ، تفرض على المرسل البراعة في اختيار مضامين خطاباته ، وإرفاقها بحجج وبراهين تُحقّق له حسن التبليغ وإيجابية التلقّي.

1.2 بين الحجاج والبرهان: (L'argumentation/La démonstration)

تؤكّد ترجمة هذين المصطلحين إلى اللغة الفرنسية وجود فروق جوهرية بين مفهوميهما ،رغم التداخل الذي يبديانه، فهل يتعلّق الأمر بقضية التواضع والاصطلاح وحسن اختيار المصطلح الذي يستوعب المفهوم القائم؟ أم أنّ التداخل يطال المفهوم ليُربكه ، ويحول دون فهمه وإدراكه؟

يقول الباحث عبد الله صولة : "إنّ تحقيق الاقتناع (La conviction) الذي هو غاية الحجاج يقع في منطقة وسطى بين الاستدلال (La démonstration) والإقناع (La persuasion) (...) إنّ الحجاج مجاله الخطابة أو هو أقرب إلى الخطابة ، في حين أنّ الاستدلال مجاله المنطق (...) إنّ الاستدلال هو أن تستنبط من المقدِّمات نتائج تُفضي إليها تلك المقدّمات ضرورة ، بدون أي لبس (...) وليس الحجاج من هذا القبيل، فالحقيقة فيه ليست مضمونة ولا هي واحدة أو ضرورية أو مفارقة أو متعالية وموضوعية شأنها الاستدلال، إنّما الحقيقة في الحجاج نسبية وذاتية لكن لا إلى غير حدّ ، وهي مرتبطة بالمقام"[1]

يسعى الباحث إلى رسم الحدود التي يشغلها كل مفهوم من هذه المفاهيم ، ضمن مساحة دلالية طرفها الباث والمتلقّي، يسعى الأوّل منهما إلى تحقيق اقتناع الثاني في إطار عملية حجاجية مدروسة، فيوظّف لبلوغ ذلك أساليب الإقناع ، التي تحتاج في بعض أطوارها إلا صرامة البرهان، كأنّه يقول: أنا أحاجج (Argumenter) لأجعلك تقتنع (Convaincre) ، وأثناء اجتهادي لإقناعك (Persuader) قد أحتاج إلى برهان (**Démontrer**)، كما يعقد الباحث علاقة بين المفهوم ومجال اشتغاله، ويُقرُّ انتماء الحجاج إلى مجال الخطابة، في حين ينتمي البرهان إلى مجال المنطق، حيث يُمارس المنطق صرامة وموضوعية مفرطة في التعامل مع القضايا التي يُعبّر عنها ،كاستناده لقوانين الحتمية والسببيّة والعلّية،

معنى ذلك أنّ الاستدلال المنطقي لا ينطلق من بنية الخطاب كممارسة لغوية تحقّق التواصل، بل إنّه يتمظهر في قضايا معزولة ، تربطها علاقات منطقية تُفضي إحداها إلى الأخرى حتما، كأن نقول مثلا:

كل المعادن تتمدّد بالحرارة

النحاس معدن

1):الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته: من خلال مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتيكاة، ص 300.

إذن النحاس يتمدّد بالحرارة

إنّنا أمام استدلال منطقي يقوم على القياس ، ويُفضي إلى نتيجة حتمية فيها صرامة وإلزام ، وترتبط قضاياه وفق علاقة التعدّي حيث تقودنا إحداهما إلى الأخرى وجوبا؛ أما إذا قلنا:

تَراجَع مردود القمح هذه السنة

إذن سنضطرّ إلى استيراده من الخارج

فسنكون أمام حجاج ترتبط فيه الحجّة بالنتيجة ارتباطا دلاليا يقوم على الاستدلال الاحتمالي، وهو استنتاج يتأتّى من معرفتنا السابقة بالأمور الاقتصادية، أو هو خلاصة خبراتنا السابقة وما وما تضيفه العادة والتجربة والممارسة إلى رصيدنا الثقافي، وهو متحرّر من مبدأ الحتميّة ، لأنّه استدلال غير برهاني يقوم على المحتمل والممكن ويتنصّل من أي إلزام أو جوب، فنتائجه غير يقينية رغم أنّ حججه قد توحي (في ظاهر القول) بذلك ، فـ "الحجاج يقتفي تفاعل الذوات، في حين أنّ البرهنة تنفي الذات، وبالتالي فهي صارمة لأنّها بمنأى عن جميع تأثيرات اللغة والعواطف ، وبمنأى عن ظروف المكان والزمان التي يستعمل فيها"[1] .

ومن هذا الرأي ، تتأكّد لدينا الفروق الجوهرية بين الحجاج النابع من بنية الخطاب والمتأثر بظروفه وخصوصياته، وبين البرهان الذي يستقي صرامته وحتمية نتائجه من استقلاله عن منظومة الخطاب وابتعاده عن تأثيرات اللغة وتحرّره من هيمنة العواطف.

2.2 بين الحجاج والإقناع: (L'argumentation / La persuasion) :

يتداخل مرة أخرى مفهوم الحجاج بمفهوم جديد تجمعه به تفاصيل مفاهيمية كثيرة هو الإقناع، إذ تبدو الحدود الفاصلة بينهما باهتة للغاية، خاصّة إذا عرّفنا الحجاج بأنّه عملية إقناع تهدف إلى التأثير في المتلقّي، فهل هما مصطلحان مختلفان للمفهوم نفسه، أم إنّ الاختلاف يتعلّق أساسا بمفهوم كل منهما؟ .

يُعرَّف الحجاج بأنّه "علاقة دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب تنتج عن عمل المحاجة ، ولكن هذا العمل محكوم بقيود لغوية (...) لذلك فإنّ الحجاج مُسجَّل في بنية اللغة ذاتها ، وليس مرتبطا بالمحتوى الخبري للأقوال ولا بمعطيات بلاغية مقامية، فالخطاب هو وسيلة الحجاج وهو في الآن نفسه منتهاه"[2].

ويُعرَّف الإقناع بأنّه :"مرحلة متقدّمة في اتخاذ القرار (...) إذ لا تعتمد خطوة الإقناع فقط على الأسلوب المنطقي المستند إلى الأدلّة والمنطق السببي والحجج ، وإنما تعتمد أيضا على الأسلوب العاطفي والتداعيات الرمزية والإيحاءات ، سعيا إلى اعتقاد متماسك بقيمة المنتج المعلَن عنه"[3] .

---

1): ليبونيل بلينجر، الآليات الحجاجية والتواصل، ترجمة عبد الرفيق بوركي، مجلة علامات، العدد 21، وزارة الثقافة، مكناس، المغرب، 2004.

2): شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، مقال في سلسلة "آداب" "أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم"، ص 361.

3): السيد بهنسي، ابتكار الأفكار الإعلانية، ط1، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007، ص 186.

ينتمي الحجاج —من منظور التعريف الأوّل– إلى البنية الداخلية للخطاب ، ويتمظهر في شكل علاقات دلالية تربط أركان الخطاب بعضها بعض، لتجعل أحدها سببا في حصول الآخر، لذلك لا يُنظر إليه من جهة الشحنات الخبرية التي يمكن أن يحملها، بل نُركّز فيه على الآليات اللغوية التي تربط الحجج بنتائجها، في حين ينفلت مفهوم الإقناع –في التعريف الثاني– من المقتضيات اللغوية التي ينبني على أساسها الخطاب، فهو غير مُكتَف بها متجاوزا إياها إلى ما يمكن أن يبطنه الخطاب من قيم عاطفية وشحنات رمزية وإيحاءات معنوية ، تثير في المتلقّي رغبة في التجاوب مع مضمون الرسالة، وذلك هو الإقناع عينه، خاصّة أنّ "الإقناع قائم في الأساس على أساليب لا تُدركها العين المجرَّدة، ولا يكشف سِرّها الإدراك الواعي، فهي تختفي في ثوب الإيحائي والاستعاري والضمني لهذا فهي تتجنّب استثارة الفعل الواعي ، لكي تتسلّل في غفلة من المستهلك إلى عالم اللاشعور حيث تُعشِّش الصور النمطية ، التي تُحدّد لنا في غالب الأحيان ردود أفعالنا وسلوكاتنا التي تبدو لنا ولغيرنا أنّها على جانب كبير من العقلانية"[1]، فالمتأمّل في آلية اشتغال الإقناع سيدرك انتماءه إلى عوالم نفسية باطنية تُحرّكها العاطفة، حيث يتّخذ من لاشعور المتلقّي الفضاء الأنسب ليمارس تأثيراته عليه، فهو يتلبّس لبوس الاستعطاف والاستمالة والإغراء ليُحرّك في المتلقّي رغبات ثاوية في لاوعيه ويجعلها تُلحّ عليه لإشباعها، وهو بهذا ينأى عن عقلانية الحجاج ، أو على الأقل عن جزئه العقلي الذي يقوم على الحجّة العقليّة والدليل القاطع ، الذي ينتمي إلى هيكل الخطاب ومنظومته الداخلية.

ومهما اختلفت مفاهيم الحجاج ، والبرهان ، والإقناع ، تظلّ مشتركة في الغاية المراد تحقيقها وهي الاقتناع (La conviction)، فهل يختلف الاقتناع عن الإقناع ؟ .

يُشكّل الاقتناع هدف العملية الحجاجية ومبتغى القائمين عليها ، لأنّه الأثر الذي تتركه الحجّة في نفس المتلقّي وينعكس في شكل استجابة إيجابية تجاه القضية التي يتمحور حولها الحجاج، كأن يقتني المستهلك السلعة المشهر عنها، أو أن ينتخب سياسيا أقنعته حججه ، أو أن ينخرط في توجّه تمكّن من استمالته وحرّك دافعيته واستقطب اهتمامه.

3. الحجّة: L'argument

"الحجة عنصر دلاليّ متضمَّن في القول يُقدّمه المتكلّم على أنّه يخدم ويؤدّي إلى عنصر دلالي آخر، والذي يُصيّرها حجّة أو يمنحها طبيعتها الحجاجية هو السياق، فما يُمكن أن يكون حجّة في هذا السياق ، قد لا يكون كذلك في سياق آخر (...) وقد تتحقّق الحجّة على شكل لفظة أو قول أو خطاب برمّته"[2] .

يصف هذا الرأي منزلة الحجّة من الخطاب ودورها في بنائه ، الذي يتم بربط عناصره الدلالية بعضها ببعض، وعلاقتها بالسياق الذي يكسبها قيمتها الحجاجية القصوى، كما يُشير إلى تمظهراتها في القول ،كأن تكون لفظة أو قولا أو قد تستأثر بالخطاب جميعه، والحجّة وسيلة الخطاب ومنتهاه ، فهو يبنيها ويُفعّلها ويُضمّنها محتواه لتحقّق له نتيجة، كأن "يُقدّم المتكلّم قولا (ق1) أو مجموعة من الأقوال موجّهة إلى جعل المخاطب يقبل قولا آخر (ق2) أو مجموعة من الأقوال الأخرى سواء كان (ق2) صريحا أو ضمنيا،

1): سعيد بنكراد، سيميائيات الصورة الإشهارية، ص 13.

2): أبوبكر العزّاوي، اللغة والحجاج، ص 127.

وهذا الحمل على قبول (ق2) على أنّه نتيجة للحجّة (ق1) يُسمّى عمل محاجّة"[1] ، يقتضي – لتحقيقه – أن يتدرّج المرسل في ترتيب حججه تدرّجا مدروسا يضمن له حسن تلقّيها، حيث يستغرق عمل المحاجّة المسافة الفاصلة بين الحجّة والنتيجة التي تُفضي إليها، وقد تكون الحجّة أثناء ذلك صريحة يُدركها السامع ، أو ضمنية تتسلّل في غفلة منه إلى لا وعيه لتستميله وتؤثر فيه ، فالحجة تمكّننا من رصد طبيعة العلاقة بين طرفي الخطاب ، لأن (هدفها ليس وصف العالم بموضوعية ، أو الإخبار بوقائع حقيقية ، إنما غرضها التعبير عن العلاقات بين المتخاطبين ، لهذا السبب يعتقد ديكرو أن الملفوظ يؤدي بالضرورة وظيفة حجاجية ، قد لا نرصدها في بنية الخطاب وإنما نستشعر تأثيرها الدّلالي من السياق) [2]، أضف إلى ذلك أنّ "الحجج متفاوتة من حيث قوتها الحجاجية، ومن حيث إمكاناتها الإقناعية الاستدلالية (...) فالحجج اللّغوية ليست متكافئة ولا متماثلة ، وتخالف في هذا البراهين المنطقية والرياضية، فالحجّة اللغوية لها قوّة معيّنة وتحتل مرتبة ما من المراتب الحجاجية"[3] ، يُؤكّد هذا الرأي على نسبية الحجج وتفاوتها من حيث القدرة على الإقناع ، وهي مسألة متعلّقة بالسياق الذي ترد فيه، فهو المسؤول عن استدعائها وتفعيلها ، كما يُميّز بين الحجج اللغوية وبين الاستدلال المنطقي والقياس العقلي ، من حيث آلية اشتغالها داخل الخطاب وقدرة كل منهما على التأثير في المتلقي.

1.3 الحجّة والسلالم الحجاجية:

تجرّنا مسألة المفاضلة بين الحجج وتفاوتها في القدرة على تبليغ المقصود وتحقيق الإقناع ، إلى مفهوم آخر متعلّق بها غير مستغن عنها ، هو مفهوم السلالم الحجاجية "Les échelles argumentatives"[4] الذي سأشرحه من خلال نموذج إشهاري ، ف "إذا نظرنا إلى المستهلكين ، لا نجد جمهورا واحدا ولكن عدّة جماهير ، لكل منها خصائصها وتفضيلاتها واحتياجاتها والمستويات التي يستهدفونها من المنتج الواحد، والقدرات الشرائية المختلفة ووسائل الإعلان التي يُفضلونها وغيرها من الاختلافات ، التي قد تستدعي عِدّة حملات إعلانية لكل منها تفاصيلها الخاصة وأدواتها الإقناعية وأفكارها التي تتماشى مع كل جمهور مستهدف"[5]، يضعنا هذا القول أمام جملة من الأفكار نركّز فيها على أنّ:

- كل متلق هو حالة خاصّة.
- تختلف احتياجات المستهلكين ورغباتهم ، وكذا قدراتهم على تحقيق تلك الرغبات.
- تختلف المداخل الإقناعية باختلاف الجمهور المستهدف.

---

1): شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، مقال في كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، منشورات كلية الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ، جامعة منوبة ، تونس ، 1998 ، ص 361.

3) : Voir : Siouffi G , Van Raemdonck D , 100 fiches pour comprendre la linguistique , Bréal éditions , Paris 1999 , p 185 .

3): أبوبكر العزّاوي، اللغة والحجاج، ص 88.

4): أسّس أوزفالد ديكو ,O.Duco نظرية السّلالم الحجاجية Les échelles argumentatives التي تركّز على مبدأ التدرّج في توظيف الحجج وضرورة احترام قانون قوة تأثيرها أو ضعفه في الخطاب.

5): السيد بهنسي، ابتكار الأفكار الإعلانية، ص 79.

تشترك هذه الأفكار على اختلاف مضامينها ، في أنّ التأثير في جمهور واسع وإقناع عدد كبير من المستهلكين في الآن نفسه ، مسألة غاية في الصعوبة ، وتستدعي لتحقيقها براعة المرسل وحسن تحكّمه في خطابه وبنائه بطريقة تورّط المتلقي وتُدمجه في مقام الوصلة ، وبما أنّ الحجج متفاوتة من حيث درجة التأثير ، وجب على المرسل أن يُرتّبها بكيفية متدرّجة تُلفت أولا انتباه المستهلك ، ثم تستثير فضوله لتستأثر بإعجابه وتفضيله ، حتى يصل إلى درجة الاقتناع الذي نستدلّ على حصوله من خلال فعل الشراء، وتلك هي قوانين السلّم الحجاجي ، الذي يقتضي التدرّج المتنامي في توظيف الحجج ، والانتقال من أضعفها قوة إلى أقدرها على الإقناع والتأثير، ونشرح ذلك من خلال المثال الموالي:

لنفرض أننا في مقام محاجّة ونسعى إلى تحقيق النتيجة (ن) ، ونحتاج لإصابة الهدف إلى استدعاء مجموعة من الحجج التي تدعم موقفنا ولتكن (أ وب وج) ، حيث يفرض علينا منطق التدرّج أن نبدأ باستدعاء الحجّة (أ) التي تكون في أسفل السلّم الحجاجي ، لأنها أضعف تأثيرا من التي تليها (ب) و(ج) ، التي تُعدّ الحجّة الأقوى في فئتها الحجاجية ، من حيث قدرتها على إقناع المخاطب ، ونُمثّل لذلك بالرسم البياني الموالي:

النتيجة (ن)

الحجة (ج)

الحجة (ب)

الحجة (أ)

وضعية الانطلاق

الشكل (1)[1]

يبدو التدرّج في استعمال الحجج واضحا ، والحكمة من ذلك هي سدُّ المنافذ على المتلقي ودحض حججه ومبرراته ، وجعله يُذعن لمحتوى الخطاب ويُسلّم بمصداقية حججه ، ويتجلّى ذلك في ردّ فعله الإيجابي

2.3 مصادر الحجج وأنواعها:

فتح المنظّرون في هذا المجال جبهات عِدّة للنقاش والمساءلة ، نتج عنها تصنيفات عدّة للحجج ، أقرّتها أصول معرفية مختلفة وتخصصات علمية متداخلة ، خاصة أنّنا نتتبع الحجاج في تحقّقاته اللّغوية وتشكّلاته النصّية من خلال ثلاثة حقول معرفية ، هي البلاغة والمنطق واللّسانيات، ما أدّى إلى اختلاف الرؤى والمنطلقات وكذا الأهداف والنتائج، وتجلّى ذلك في تقسيمات وتصنيفات متباينة للحجج ، تدعونا إلى مناقشة أنواعها بالنظر إلى علاقتها بالخطاب الحجاجي وأثرها في هندسته وفي تحقيق أهدافه، وفاعليّتها في تحقّق الحجاج وتبليغ مقاصد الخطاب، فـ (الحجاج جنس من الخطاب يُبنى على قضية أو فرضية خلافية، يعرض فيها المتكلم

1): انظر أبوبكر العزّاوي، اللغة والحجاج، ص 20.

دعوة مدعومة بالتبريرات عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطا منطقيا، قاصدا إلى إقناع الآخر بصدق دعواه والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية"[1] .

فمنها ما ينطلق من تجربة الفرد وخبراته الخاصة، ومنها ما ينطلق من منطق العلم ويعكس صرامته ، كتلك الحقائق التجريبية والظواهر العلمية المبرهن عليها، ومنها ما ينطلق من الواقع وما تضيفه التجربة الإنسانية كمنظومات الثقافة والتاريخ والعرف، ومهما اختلفت مصادر تلك الحجج وتنوعت مشاربها ، تظل مجتمعة حول كونها دعامات لعمليات الإقناع، حيث يسعى الإنسان من خلالها إلى تغيير اعتقاد الآخرين، والطريف في الأمر أنّ الإنسان تتملّكه رغبة جارفة ومُلحّة في الإقناع ، موظّفا في ذلك كل أنواع الحجج غير آبه باختلافها، أو بسلطة السياق الذي يكسبها قيمتها، لذلك وجب أن نتوقّف عند بعض أنواعها لنتبيّن خصائصها والمواقف التي تُستدعى فيها.

" **الحجاج بالسّلطة**: وهناك خمسة شروط لتكون هذه الحجّة سليمة:

- أن تُدرك الحجّة بالسّلطة إدراكا سليما.
- أن تكون للسّلطة كفاءة حقيقية ومتمكّنة في مجالها بحيث لا تستند إلى الشُّهرة أو ما شاكلها.
- أن يُعتبر جانب التخصّص في كل مجال على حِدة.
- أن يكون الرأي قائما على دليل يمكن تأكيده أو بالأحرى البرهنة عليه.
- أن تكون هناك تقنية وفاق ضرورية للبت في الخلاف بين سلطتين أو أكثر"[2] .

والمقصود بالسلطة هنا ، هيئات إدارية أو سياسية أو علمية أو اجتماعية أو ثقافية... تحكمها قوانين ولوائح وأعراف ، تسعى إلى إيصال آراء معيّنة إلى الآخرين مدعومة بحجج، وتتجاذبها في ذلك ، الموضوعية العلمية تارة والانطباعية الذاتية تارة أخرى، لذلك وجب إعمال الفكر في حججها ، للتّأكد من صدقها ونفوذها ، وذلك بعد تحقّق الشروط الخمسة الواردة في القول السابق ، التي تُجمع على ضرورة وضوح الحجّة أي أن لا تنفتح على دلالات متعدّدة، وكفاءتها الناتجة عن الخبرة والممارسة والدراسة لا عن شهرة مَصْدَرِها وتميُّزه فقط، وأن تُساوق مجال التخصّص الذي صدرت عنه، وأن تكون مُثبّتة علميا وقابلة للاستدلال والبرهان ، وأن تكون قادرة على الثبات ومجابهة حجج سلطة أخرى، وما الإصرار على ضرورة تحقُّق هذه الشروط إلاّ لأنّ السلطة عادة ما تستند إلى نفوذها وشهرتها واقتدار القائمين عليها ، أو حتى إلى أساليب المراوغة والمغالطة لتمرير أيديولوجياتها.

" **الحجاج بالتّجهيل والمغالطة المعرفية**:/ هو حجاج يقوم بإفحام المخاطَب انطلاقا من تعجيزه عن أن يأتي بما ينفي ما سبق تأكيده بالحجّة، ذلك أنّ المتكلّم يؤسّس حجّته على قاعدة مُؤدّاها: إذا لم تأت بما ينفي حجّتي فهو الدليل على أنّها صحيحة ، وهي قاعدة تتنافى مع قواعد البحث العلمي".[3]

---

1): محمد العبد، النص الحجاجي العربي (دراسة في وسائل الإقناع)، مجلة فصول، العدد 60، مكتبة الأسد، دمشق (صيف – خريف)، 2002،ص 44.

2): عبد السلام عشير، عندما نتواصل نُغيّر (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، ص 165.

3): المرجع نفسه ، ص 166.

وهو نوع من الحجج يقوم على المغالطة والتمويه، يبتدع فيه المتكلّم أساليب تُربِك المتلقّي ، الذي يعجز في مقام ما عن استحضار حجج تثبت بطلان حجج خصمه ، ممّا يجعل المتكلم يغتنم فرصة غياب الحجج ليدفع بصدق الأولى وفاعليّتها، فليس معنى غيابُ دليل إدانة المجرم ، براءَته ، وليس معنى غياب دليل بطلان حجّة ما ، صِحَّتُها وفاعليَّتها، وهي أساليب حجاجية تُوظَّف بكثرة في مجالات الحملات الانتخابية وكذا أثناء الترويج لبعض المنتجات المشكوك في جودتها وصلاحيّتها، ويُعاب على هذا النمط من الحجج ابتعادُها عن منطق العلم واحتكامها لأساليب غير مشروعة كالتجهيل والحيلة والمراوغة.

"**الحجاج بالقوّة:**/ هي حجّة تتوجّه إلى سلوك المخاطبين قصد تكييفه وفق ما يُريده المتكلّم دون اعتبار ما يُفكّر فيه المخاطَب أو يعتقده، ودون أن يخاطب المنظومة الفكرية للمخاطب بقصد تغييرها أو إحلال انتظام آخر محلّها، بعد حصول اقتناع ذاتي يكون ناتجا عن الأثر المباشر لعملية الحجاج (...) فهل يمكن اعتباره حجاجا؟"[1] ، وهو نمط غريب من الحجاج ، يقوم على القسر والإجبار وتغييب حرّيّة المتلقّي وتقزيم اختياراته، فتغيب – جرّاء ذلك – أركان الحجاج الطبيعي ، الذي ينطلق من وضعية ما للوصول إلى تحقيق نتيجة ، عبر حجج تسعى إلى تحقيق الإقناع لا إلى الإكراه، كأن يفرض الحاكم مجموعة من القوانين على المجتمع قد لا تناسب حاجات الناس وقدراتهم : (صَوِّت لصالح الحزب الوطني) ، أو أن يمارس الخطيب الدّيني سلطة الترهيب والترغيب ، مستندا إلى نصوص معيّنة لا إلى اقتناع المتلقّي واختياراته، أو أن تُفرَض على المتلقّي وضعيات غير مريحة تضطره إلى بعض السلوكيات التي قد لا ترضيه : (إذا أردت أن تنجح فعليك بالدروس الخاصة) ويتّخذ الحجاج – بهذا الشكل – طبيعة تداولية نفعية ، تسعى إلى تحقيق منفعة خاصة للمرسل، أما ذلك الذي يطمح إلى تحقيق منفعة اجتماعية عامة فهو حجاج طبيعي ، يرتكز على الإقناع ويَفسح المجال واسعا أمام حرّيّة الاختيار.

"**المحاجّة الجماهيرية (الحجاج الجماهيري)**: / حجاج يقوم به المتكلم أمام جمهور بقصد إقناعه بفكرة ما ، أو إثارة حماسة لموضوع ما لتحقيق اقتناع بشيء، وعندما يستجيب الجمهور لأفكار المتكلم انفعالا (التصفيق مثلا) يحقّق الحجاج هدفه"[2] .

يتّخذ الحجاج الجماهيري طابع الخطبة التي تشترط طرفان: خطيب وجمهور، يسعى الأوّل إلى التأثير في الثاني حيث يكثر توظيفه في الخطب السياسية أو الدينية أو الاجتماعية عامة... التي تستقطب جمهورا واسعا ومتفاوتا من حيث درجة الاستيعاب والتأثّر ، والقدرة على الاختيار الصائب.

وما يُميّز الحجاج الجماهيري ، أنّ الخطيب لا يُركّز على بناء حججه بناءً منطقيا سليما ، ولا يُعنى عناية كبيرة بترتيب حججه وتضمينها شحنات إقناعية قوية، بل تراه يُصرُّ على تحريك العاطفة ومخاطبة الجوارح ومداعبة الشعور، كأن يقول السياسي مثلا: "إنّ رفع مستوى المعيشة وتحسين الدخل الفردي هو الحل الأمثل لكافة المشاكل الاجتماعية"، لأنّه يُدرك يقينا أنّ هذا الطرح سيلاقي اهتمام كل شرائح المجتمع على اختلاف مستوياتها حتى دون أن يسعى إلى إثبات ذلك بالحجج المقنعة والأدلّة الصريحة، أو أن يقول البائع في سوق شعبية مكتظة بالناس: "حذارِ من غلاء التجّار، عرضُنا محطّم للأسعار، منتجُنا مفعوله أكيد وثمنه على قد الإيد، مع

---

1): المرجع السابق ، ص 167.

2) المرجع نفسه ، ص 168،

الضمان والتخفيض..."[1] ، وهذا النمط من الحجاج – بدوره – حجاج تداولي ، يطمح فيه المرسل إلى التأثير في المتلقّي عن طريق رصد أفق انتظاره ، وتقفّي حاجاته (وبناء) خطابه في ضوء تلك الحاجات بطريقة ذكية ، تجعل السامع يُؤمن بصدق المرسِل ويتيقّن من تعاطفه معه.

المحاجّة الانفعالية: "هو نوع من الحجاج يسعى إلى التأكيد على مشاعر الجمهور،وذلك بأن يستثير إشفاقه أو خشيته أو... وهو بهذا يوجّه البناء الحجاجي نحو العقل الانفعالي الذي يقيّم المشاعر والأحاسيس والعواطف الداخلية"[2]

يبدو الشبه بين الحجاج الانفعالي والحجاج الجماهيري واضحا، فكلاهما يُخاطب العاطفة ويُداعب المشاعر ليستأثر بتعاطف الجمهور، ويكمن الاختلاف بينهما في درجة التأثير والقدرة على كسب تأييد المتلقّي، وكذا في الوسائل اللغوية وغير اللغوية التي تُحقّق أهداف كلّ منهما.

والانفعال أقصى ما يُمكن أن يبلغه المتكلّم من مُخاطَبه ، لأنّه يقوم على إثارة مشاعر الحزن أو الخوف أو الندم أو الشفقة... بما يجعل المتلقّي يتوحّد تماما مع القضية المعروضة عليه ، ويرى نفسه طرفا فيها، كأثر تلك الوصلة التي تُحرّك في الناس مشاعر التضامن وتستحثّهم على التبرع ولو بجنيه واحد لبناء مستشفى للأطفال المصابين بالسّرطان[3]، حيث لم يدّخر القائمون عليها جهدا في استحضار صور الأطفال المرضى ، الذين يثيرون في النفس شفقة عارمة تصل إلى البُكاء تعاطفا مع حالهم وحال أوليائهم : (طفل صغير شاحب اللون ناتئ العينين لا شعر له، ترتسم على وجهه ابتسامة بريئة يدعوك لمساعدته حتى يتمكّن من الحلم بمستقبل أفضل).

ويمتلك الخطاب الذي يقوم على الحجاج الانفعالي مفعول السحر على المتلقي ، لأنّ يُوظّف لمعالجة القضايا الإنسانية التي تؤثّر في الجميع دون استثناء ، وتُحرّك فيهم روح التضامن والمشاركة والتعاطف، وتلك قيم نجدها في كل المجتمعات بخاصة العربية والإسلامية منها، وثَمّة تكمن قوّة الحجاج الضاربة، لذلك يعتمد المروّجون كثيرا على نتائجه المضمونة، فهو يسمح بتوظيف كل الوسائل اللغوية وغير اللغوية لكسب تأييد المخاطَب وتعاطفه .

وتلك – عموما- بعض أنواع الحجج ، المستمدة من أنواع الحجاج ، والمتضمَّنة في هيكل الخطاب حيث تخضع لنسقه وتعمل على تأكيد طرحه وتبليغ مقصوده.

---

1): استوقفتني هذه الحادثة في سوق شعبية بالقاهرة،حيث أخذ البائع مكبّرا للصوت يتحدّث من خلاله، ويلتفّ حوله جمهور من الناس يُقلّبون سلعته (مفروشات وأدوات منزلية).

2): عبد السلام عشير، عندما نتواصل نُغيّر، ص 169.

3): حملة إشهارية مُكثّفة تسعى إلى جمع التبرّعات لبناء مستشفى 06أكتوبر للأطفال المصابين بالسرطان ، شاركت فيه الجمعيات الخيرية ورجال المال والأعمال والإعلاميين والفنانين والسياسيين، وهذا ما حقّق لها رواجا إعلاميا ضخما نتج عنه البناء الفعلي للمستشفى الذي تمّ تصوير أقسامه وأجنحته وتجهيزاته .

بنيات لغوية خارجية معتمدة في الحجاج : (الشاهد والمثل والتمثيل):

ثمّة بنيات لغوية خارجة عن هيكل الخطاب وبنائه الدلالي، تُضمّن فيه لتعزّز حضوره وتُدّعم الحجاج فيه، يتوسّل – من خلالها – المرسل بتجارب سابقة تُعطي طرحه وزنا ومصداقية، فهي تراكيب لغوية بلورتها التجربة الإنسانية ، وأشبعتها بقيم دلالية غزيرة صقلها الزمن وأكسبها خلودا ومرونة ، تجعلها قابلة للاستدعاء في مقامات دلالية مختلفة ، لتُقوّي المعنى وتدعم الحجاج وتُقنع المتلقّي ، وتُكسبه ثقة مستمدّة من رصانة الشاهد ووقار المثل، لأنّها تمارس تكثيفا دلاليا يشبه ذلك التكثيف الذي تضيفه الصورة إلى نص ما ، لتغني المرسل عن الشروح اللغويّة المطوّلة التي قد تجعل المتلقي يسأم الإنصات.

أ– الشاهد: L'Illustration/ "يستمدّ الشاهد طاقته من العيان والمشاهدة ، وهو الاستشهاد على شيء ما بقرآن أو حديث أو شعر أو مثل أو خبر مروي ، بهدف إثباته أو إنكاره أو الاحتجاج له أو بطلانه أو نحو ذلك"[1]، حيث يستدعيه مقام الخطاب زيادة في الإقناع وتأكيدا لطرح ما، لأنّه يمتلك طاقة تعبيريّة خلاّقة تثير في نفس المتلقّي اطمئنانا وتصديقا يفضيان به إلى الاقتناع والإذعان، ومثال ذلك أنّ شركة لتصنيع مبرّدات المياه الكبرى ، قامت بتصميم وصلة إشهارية تروّج فيها لهذه الأجهزة الكبرى ، التي نجدها عادة في الأماكن العامة كالمساجد والمستشفيات ومراكز الخدمات العامة، حيث اختارت الشركة لمنتجها علامة تجارية دالّة أطلقت عليها "مُبرّدات المياه صدقة جارية" ، واستهلّت الفاصل الإشهاري خطابها بحديث رسول الله – ص –: **"إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَة أَوْ عَمَلٌ يُنْتَفَعُ بِه أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ"** بصوت أجشٍّ فيه من الصرامة والوقار ما يُلفِت انتباه السامع ويستقطب تركيزه، ويجعله يُحسُّ كأنّ الموت وشيك وعليه أن يسارع لتحقيق صدقة جارية تنفعه بعد موته، بثمن معقول وتسهيلات مُغرية، والحقيقة أنّ تضمين هذا الحديث الشريف هذه الوصلة الإشهارية يُنمّ عن عبقرية المروّج واقتداره وخبرته بخبايا النفس البشرية وآليات توجيهها والتحكّم فيها مستفيدا في ذلك من التأثير الدلاليّ العظيم الذي يُحدثه محتوى الحديث في نفس سامعه، وكم هي كثيرة هي المقطوعات الإشهاري التي تُوظّف آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة وأمثال وحِكم لتستعين بها على تبليغ مقاصدها والتأثير في المستهلك.

ب– **المثل: L'exemple** : " المثل ماثل في خاطر الإنسان أبدًا وشاخص وأعون شيء عن البيان"[2]، "والأمثال زيادة في الكشف وتتميما للبيان ، تضرب العرب الأمثال لإبراز جليّات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق حتى تُريك المتخيَّل في صورة المحقّق والمتوهّم في صورة المتيقّن، والغائب كأنه مشاهد"[3].

---

1): الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) ، البيان والتبيين، ج ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، د.ت ، ص 86

2): الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله) ، البرهان في علوم القرآن ، ج 1 ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت، لبنان، 1988 ص417.

44): الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر)، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج 1، شرحه وضبطه وراجعه يوسف الحمّادي ، مكتبة مصر ، القاهرة ، د.ت ، ص 204.

يُوظّف المثل – عادةً – في الخطاب لاستجلاء لبس ، أو توضيح معنى أو زيادة في البيان، وأهم ميزة له ، قُدرتُه على التكثيف الدلالي ، و نقل تجربة سابقة حدثت في زمان ومكان مختلفين ، إلى بيئة جديدة تربطها بالأولى علاقة شبه تشمل الظروف والملابسات التي قيل فيها أوّل مرّة[1]، كأن نقول مثلا: "يداك أوكتا وفوك نفخ" وهو مثل عربي مشهور يُضرب للحثِّ على تحمّل تَبِعات تصرّفاتنا، لأنّ المشاكل التي نقع فيها هي في الغالب صنائع أيدينا، وكم هي كثيرة المقامات الدلالية التي يُمكنها أن تستدعي هذا المثل للاستفادة من التجربة السابقة. أضف إلى ذلك قدرة المثل على الحجاج وإقناع المتلقّي، لأنّ يُغني المتكلّم عن الشروح المطوّلة المِملّة ، ويضع المتلقّي في حالة من التخيّل واستدعاء الماضي ، في محاولة لإدراك وجه الشبه بين مقام المثل ومقام الخطاب، فتلك فُسحة للتأمّل والتفكير في محتوى الخطاب قد تفضي به إلى الاقتناع ، وثمّة تكمن فائدة الحجاج في الخطاب .

ج- **النموذج والنموذج المضاد: (Modèle/ Anti modèle):**"هو وسيلة تعبيرية مؤسّسة على حجّة السلوك ، باعتبار السلوك قدوة تستوحى من الأشخاص أو الجماعات أو المذاهب تؤكّدها قيمة الأفعال ، وذلك الميل الطبيعي في الناس نحو الاقتداء بنماذج معيَّنة، حيث تُعتبر في القول الحجاجي مقدّمات تستخلص منها نتائج معيّنة تؤدي إلى امتداح سلوك خاص يمتلك بعض مظاهر التميّز"[2] .

يُعتبر اعتماد صيغة النموذج والنموذج المضاد في الخطاب مدخلا إقناعيا على درجة كبيرة من الفاعلية والكفاءة، لأنّ الفرد يتطلّع دائما إلى تلك النماذج المتميّزة ويسعى إلى تقليدها، حيث تقوم هذه الحُجّة على فكرة الضِدّ والنقيض ، والرغبة في الانتقال من حالة إلى حالة أفضل تُحقّق رضى المتلقّي واستقراره النفسي، حيث يتجلى ذلك في صفات الناس وأحوالهم، وتطلُّع كلّ منهم إلى وضعيات يرون فيها القدوة والمثال الذي يجب أن يُحتذى، ويمكن أن نُلخّص ذلك في ثنائيات (الفقير والغني)، و(المغمور والمشهور)، و(المريض والسليم)، (الانطوائي والانبساطي)، و(الجبان والشجاع) ... وغيرها من الصفات المتضادة. وتحضرني في هذا السياق ثنائية (البدين والرشيق) ، التي تستغلها معظم الوصلات الإشهارية التي يُروّج أصحابها لأدوات التخسيس الرياضية والأعشاب الطبّية والأدوية الكيميائية المصنَّعة لهذا الغرض، لأنّ البدين يتطلّع دائما إلى الرّشاقة ولا يدّخر جهدا أو مالا في سبيل الوصول إليها، لذا يسهل التأثير فيه وإقناعه بالشراء، وقد أبدعت بعض المقطوعات الإشهارية حين صوّرت هذه الوضعية في موقف هزلي ، بطله زوج شاب ينظر بعين إلى زوجته البدينة ذات الجسم المترهّل وهي منكبّة على التهام الطعام بشراهة ، وينظر بالعين الأخرى من النافذة إلى فتاة جميلة غاية في الأنوثة والرّشاقة تمارس حركات رياضية مثيرة ، ويلتف حول خصرها حزام (Vibra tone)[3] الذي يُصدر ذبذبات قويّة تؤدي إلى حرق الدهون وتنشيط العضلات ، واعتقادا من هذا الزوج أنّ الحزام هو سبب رشاقة الفتاة، ونتيجة للصدفة المفبركة التي شاءت أن يتصادف هذا الموقف مع بث إشهار Vibra tone ، الذي يعرض مزايا هذا الحزام مرفوقة ببيانات الشركة

---

1): لكل مثل مورد ومضرب، حيث يتعلّق المورد بالأصل الذي قيل فيه أوّل مرّة ، في حين يُقصد بالمضرب المقامات الدلالية المختلفة التي يمكن أن نستدعيه فيها لشبه دلالي يربطهما بمقام المورد – ورد هدا الطرح في محاضرات الأدب الشعبي التي ألقاها الأستاذ الدكتور محمد عيلان على طلبة السنة ثالثة ، ليسانس قديمة / دفعة 2002 .

2): عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغيّر، ص 95.

3): وصلة إشهارية تُروّج لحزام (Vibra tone) الذي يُستعمل في عملية التخسيس وإنقاص الوزن، تعرضها قناة "Panorama".

المصنّعَة وأرقام هاتفها ؛ سارع الرجل إلى الهاتف واتصل بمقر الشركة قائلا بتأثّر واضح: "أنا عايز واحد!!" ، سعيا منه إلى الانتقال بزوجته من النموذج السلبي الأوّل إلى النموذج المثالي الثاني عن طريق هذا الوسيط الفعّال حزام التخسيس "vibra tone".

أنواع أخرى من الحجج:

يُضيف بعض الدّارسين أصنافا أخرى من الحجج ، تمنح دلالة إقناعية للنص الذي ترد فيه ، وتناسب المقامات التي تستدعيها لتبليغ مقصود أو تحقيق غاية أو تجسيد معنى ، ومن أهمّها:

1. "حجّة التبرير L'argument de gaspillage " وأداتها "بما أنّ".
2. حجّة الاتجاه Direction وغرضها التحذير من انتشار أمر ما.
3. الحجّة التواجدية: تبنى على علاقة الشخص بعمله (...).
4. الحجّة الرمزيّة: فللرّمز قوّة تأثيرية في الذين يُقرّون بوجود علاقة بين الرامز والمرموز إليه كدلالة العلم في نسبته إلى وطن مُعيَّن"[1] .

وهي حجج مُتعلّقة بطبيعة الخطاب وموضوعه، تقترح عليه إضافات دلالية تدعم أفكاره وتُؤيّدها ، وتحقّق لها الرواج والمصداقية، فحجّة التبرير مثلا تقوم على القياس المنطقي الذي أداته "بما أنّ ... فإنّ" وهي بذلك تسلك مسلك البرهان الصارم ، الذي ينطلق من معطيات بعينها ليصل إلى نتيجة حتمية ، فيسُدّ المنافذ أمام شكّ المتلقي أو عدم اقتناعه ، عن طريق الاستدلال المنطقي الذي يُعدّ أيسر السبل للإقناع، أمّا حجّة الاتجاه فدورها تنبيهي يُطلِع المتلقّي مُسبَقا على تبعات أعماله ، ويقترح عليه النتيجة قبل حصولها، وسُمّيت بحجّة الاتجاه لأنّها تجري في اتجاه واحد ولا تنفتح على تعدّد الاحتمالات، لأنّها تنطلق من فروض مُعيّنة تُفضي إلى نتيجة متوقّعة كأن نقول:

- إذا لم تجتهد وتثابر فلن تنجح.
- من يكذب يلقى غضب الله والناس.
- إذا اشتريت مكيّف الهواء "Union Air"[2] فستنعم بالراحة والإنعاش والنوم الهانئ.

كما تحظى الحجّة الرمزية بمكانة ذات امتياز في الخطاب، لأنّها تُلمّح ولا تقترح ، وتُظهِر ما لا تبطن ، وتُمارس لعبة الإغراء ببراعة، وتجعل المتلقّي يُعمل فكره لاستجلاء الدلالة المقصودة ، وذلك بفضل الرمز وقدرته على التكثيف والانزياح الدّلالين، فقد يكون الرمز "علامة تدلّ على معنى له وجود قائم بذاته (...) وقد يُستخدم بقصد الإيجاز ، وقد يعني الإيماءة والإشارة، وقد يُعبّر عن المعاني بالإيحاء ليدع للمتلقي نصيبا في فهم الصورة أو تكميلها أو تقوية االعاطفة بما يضيف إليه من توليد خياله"[3] ، ليُفسح المجال

---

1): Perlman et Tytica, Traité de l'argumentation, p.p 501 – 527 ، نقلا عن صابر الحبّاشة، التداولية والحجاج (مداخل ونصوص)، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2008، ص 48.

2): تعبير مأخوذ من وصلة إشهارية تُروّج لمكيّفات الهواء "Union Air" تُعرض بين الحين والآخر على قنوات MBC ودبي.

3): أحمد مختار عمر وصالح جواد طعمة وآخرون، المعجم العربي الوسيط (للناطقين بالعربية ومتعلميها) ، مادة (ر، م، ز)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، جامعة الدول العربية، لاروس، 1989، ص 550.

واسعا أمام التأويل وممارسة فعل القراءة في العلاقة بين الرمز وما يدلّ عليه، ففي "التأويل يجري ردّ الظواهر إلى دلالاتها ومعانيها، إنّه استكشاف مستوى آخر ومرحلة أخرى من مراحل ومستويات الفهم (...) إنّه استشراف للمعنى وبحث عن أسسه ومكوّناته العميقة، فهو التأليف الثاني ، أي إعادة إنتاج العمل المبدع سابقا وإتمام بنائه"[1] .

1): طاهر عبد مسلم، عبقرية الصورة والمكان (التعبير– التأويل – النقد) ، ط1 ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 2002 . ص 97.

المحاضرة الحادية عشر: تحليل المحادثة

تمهيد:

المحادثة عملية عقلية لسانية منظمة ذات طابع اجتماعي، تتعلق بقدرة الفرد على ترجمة أفكاره المجردة إلى قوالب لغوية تبلّغ مقاصده إلى مخاطبه، أو هي الإفصاح باللسان عمّا يدور في الذهن من أفكار، وهي المهارة الثانية التي يطورها الإنسان بعد مهارة الاستماع، وتتأتى أهميتها من غلبة المنطوق على المكتوب في تواصلنا اليومي، وأسبقية التواصل الشفهي على غيره من أنماط التواصل لذا وجب العناية بتطويرها وصقلها حتى يكون الفرد قطبا فاعلا في الشبكة التواصلية التي ينخرط فيها، فيحسن التعبير عن أفكاره والتأثير في مخاطبة، ولذلك شروط ومعايير يجب الالتزام بها حتى يكون التواصل ناجحا، وما يدعونا الى الاهتمام بتطوير مهارة المحادثة تنمية الكفاية اللسانية وإغناء الرصيد اللغوي للمتكلم، بما يكسبه قدرة على إدارة حوار جيد وتنشيط تفكيره وتنظيمه، وكذا تطوير شخصية الفرد الاجتماعية، ليكون فاعلا وإيجابيا في مجتمعه وإكسابه الجرأة الأدبية وروح المبادرة وحضور الذهن وقوة البديهية في مقامات التواصل المختلفة.

إذ تركز التداولية في تحليلها للمنطوقات، على توضيح الأفعال اللغوية التي تؤديها تلك المنطوقات، كما اعتنت علوم كثيرة بتحليل المحادثات، باعتبار هذه الأخيرة أهم أشكال التواصل، بل هي كما يعتبرها فان دايك، الشكل الوحيد للتفاعل الحقيقي، وهذا ما يقتضي، حسب هذا العالم، عدم التركيز في تحليل المحادثات على بنية النص فحسب، بل نعتني أيضا بمستوى التفاعل الاجتماعي الذي يعدّ المفهوم الأعلى "لتخصيص" المحادثة اليومية، والاهتمام بسمات التفاعل الاجتماعي على مستوى التواصل المباشر، وجها لوجه، بين الأفراد. ومن هنا، فقد زالت الحواجز القائمة بين النص والمحادثة، وأصبحت هذه الأخيرة موضوع اهتمام كثير من الباحثين[1]

مفهوم المحادثة:

يتمحور مفهوم تحليل المحادثة حول مفهوم التفاعل في أي ممارسة تواصلية، حيث طُوّر في أواخر ستينيات القرن العشرين في مباحث علم الاجتماع على يد كل من هارفي ساكس وإيمانويل شيغلوف وغايل جيفرسون، ويُعتبر تحليل المحادثة مقاربة فاعلة في تحليل أشكال التواصل القائمة على فعل المحادثة، يتواتر توظيفه في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا واللسانيات وعلم النفس والتداولية وله تأثير خاص في مجال اللسانيات الاجتماعية وتحليل الخطاب.

تعتبر المحادثات أحداثًا اجتماعية على مستوى عال من التخطيط والتنظيم، وذلك عندما تكون الأطراف المشاركة فيها قادرة على التمييز بين مقامات التخاطب وما يجب أن يتلفظوا به فيها، مع تحديد زمن التلفظ بدقة أو متى يكونون قادرين على الكلام مع ضرورة احترام مخاطبيهم وحسن الإصغاء إليهم واحترام الرأي الآخر... وغيرها من آداب التخاطب، كما يتعين عليهم أن يحترموا صمت الطرف الآخر إذا اقتضاه المقام، "وللمحادثة مظهر حواري، فهي تتناقض مع الخطاب المنولوجي من حيث عدد المشاركين وإسهاماتهم، والمحادثة هي في الآن نفسه تفاعل لفظي وخطاب حواري وحوار"[2]

---

1 : كايسة عليك، بنية المحادثة ومكوناتها الأساسية، مجلة الممارسات اللغوية، العدد: المجلد7/ رقم 1، جامعة مولود معمري- تيزي وزو/ الجزائر ص 101،

[2] Voir, Christian Baylon et Xavier Mignot, La communication, 2eme édition, Edition , Nathan, France, 1994. P : 194, 195.

خصائص المحادثة

تختلف المحادثة عن بقية أشكال التواصل في سمات بنوية ووظيفية، فمثلا تختلف المحادثة عن الحديث في أنّ للحديث معايير تصنيفية للأقطاب المشاركة فيه؛ حيث يشترك كل طرف منها في مقامات متباينة للحديث، حيث لا توجد قيود مضمونية ثابتة ومفروضة مسبقا، إذ يمكن أن يدور حديث ما حول أي موضوع يختاره الطرفان المرسل والمتلقي، مع التسليم بوجود قيود دلالية محددة تؤطر عملية التواصل وقليلا ما توجد قيود تداولية، وهذا ينطبق على الحديث اليومي الذي يجري في سياقات غير رسمية بين أطراف متقاربة، في الشارع والمدرسة والسوق والحافلة ...لكن هناك أحاديث مخصوصة مثل الحوار الطبي والمؤسساتي والإذاعي والتلفزيوني تستلزم أصنافا مخصوصة من المتحاورين وأفعالا كلامية تناسب مقاماتها المشروطة بقوانين وقيود ، إذ تدور هذه الحوارات في أماكن معينة وفي إطار اجتماعي خاص، حيث يلتزم المشاركون فيه بموضوع الحديث ويوظفون أفعالا كلامية معينة ، وعليه فإن الأحاديث يمكن تمييزها بناء على معايير: فئة المشاركين وعلاقاتهم المتبادلة وموضوع الحديث والسياق[1]

تحليل المحادثة

يعرّف تحليل المحادثة بأنه منهج لدراسة التفاعل الاجتماعي، متضمنًّا التواصل اللفظي وغير اللفظي، في مواقف الحياة اليومية نشأ كطريقة بحث وتحليل متبعة في علم الاجتماع، وتفرعت منه إلى تخصصات أخرى، يركّز على المحادثة العادية، لكن تطورت أساليبه ليشمل دراسة مهام تفاعلية متنوعة في مقامات تواصلية متعددة، مثل تلك المحادثات التي تجري في مكاتب الأطباء والمحاكم وفي عمليات تطبيق القوانين وفي الاتصالات الهاتفية المخصصة لتقديم المساعدة والأوساط التعليمية ووسائل الإعلام[2].

إنّ الغاية من تحليل المحادثة هي دراسة التحدث الذي يعدّ شكلا من أشكال التفاعل، ولكن ما الهدف من دراسة هذه التفاعلات؟ في الأساس، هو اكتشاف الاستراتيجيات العقلية والنفسية التي يسلكها المشاركون في المحادثة في تبليغ مقاصدهم وفي فهم مخاطبيهم وكيفية فهم المشاركين والرد على بعضهم البعض في دورهم في الحديث، بما يضمن حسن تأدية وظائفهم في الواقعة التواصلية، يضاف إلى ذلك إمكانية الكشف عن إجراءات الاستدلال الضمنية والكفاءات الاجتماعية اللغوية التي غالباً ما تكون أساسًا في إنتاج وتفسير الكلام في سلسلة من التفاعلات المنظمة .

تحليل المحادثة وفق نظرية (ساكس وشيكلوف) الذي يتكون من مجموعة قواعد متتابعة التي توزع سلطة التكلم على المشاركين في المحادثة، وهو نظام مرتبط بركنين اساسين هما (الأزواج المتوازية، و وتناوب الأدوار في الحديث) اللذان يغيران سلطة التكلم ويقسمان المحادثة الى (البداية، والوسط، والنهاية) ثم الى وحدات اصغر مثل القولة والعبارة وشبه الجملة[3]

يوجد منهجين لتحليل المحادثة: (طريقة افعال الكلام ، وطريقة تحليل المحادثة) نظرا لوجود بعض السلبيات للمنهج الأول تحلل المحادثة وفق منهج الثاني الذي يتضمن بصورة عامة :أسس التنظيم العام للمحادثة، التي تتكون من العنوان والمقدمة ومتن المحادثة، ومقارنة بين بداية المحادثات المسجلة ونهاياتها وكذلك ببيان علاقات بين الأقوال و خصائص الأزواج المتوازية وعلاقاتها بعضها ببعض.

1: ينظر تون أ. فان دايك، علم النص (مدخل متعدد الاختصاصات)، ترجمة: سعيد حسن بحيري، ط1 ، دار القاهرة للكتاب. القاهرة ، 2001، ص 375-377 بتصرف

2: Voir, Garfinkel, Harold (1967). Studies in Ethnomethodology. Englewood Cliffs NJ : Prentice Hall. P 18.

3 : Voir, C. Baylon et X. Mignot, La communication, p 196.

وفي السياق نفسه نجد جاك موشلر في دراسته للمحادثة وأساليب تحليلها، يدافع عن فرضية مهمة مفادها أن المحادثة خاضعة لمعايير محددة على مستويات مختلفة (التفاعلي والبنوي والتسلسلي) للتبادلات التي تشكّلها، وأن وجود التفاعل بين هذه العناصر هو المسؤول عن بنية المحادثة وليس فقط تغير مقامات المحادثة[1]، في حين تستعمل المحادثة حسب مونقانو للدلالة على نوع من الخطاب الشفوي ، أي تبادل الكلام بين أفراد متساوين من حيث مرجعياتهم اللغوية والثقافية نسبيا، حيث يكون التداول على الكلام حرا وليس فيه إكراه وإرغام، والمشاركون في الحديث هم قريبون في الزمان والمكان وبينهم علاقة ألفة، فتبدو المحادثة كأنها خالية من أي غاية نفعية[2]

يعتبر مفهوم المحادثة وخصوصياتها ومكوناتها وبنيتها... عناصر مهمة وأساسية في تحليل المحادثات، فقد وجّه هذا الاتجاه الحديث اهتماما خاصا لما أهملته لسانيات النص من أبعاد تفاعلية وتداولية للخطاب، ومنها اللغة المنطوقة والجانب التفاعلي للمنطوقات، والأدوار التي يقوم بها المتخاطبون، خاصة أن المحادثات لا تضبطها قيود لغوية تشكّل بنية المحادثة ومكوناتها الأساسية فحسب، بل تحكمها ضوابط تداولية واجتماعية، وهذا ما يسعى تحليل المحادثات إلي الكشف عنه، وذلك بالتركيز على عملية تبادل الأدوار أثناء الحديث، وعلى الحدث الخطابي، والكشف عن الكيفية التي تترابط بها الأفعال الكلامية المتجاورة ويحكم بعضها البعض مع التركيز على البعد الحجاجي والوظيفة الإنجازية.

1 : Voir, Moeschler, J., argumentation et conversation (élément pour une analyse pragmatique du discours), HTIER-CREDIF, Paris : 1985, p 32-33

2 : دومينيك مونقانو، المصطلحات المفاتيح لتحيل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، ط1 منشورات الاختلاف. الجزائر: 2005 ، ص 29.

المحاضرة الثانية عشر: الأنثروبولوجيا والتحليل الإثنوميتودولوجي للغة

الأنثروبولوجيا L'anthropologie:

الأنثروبولوجيا مصطلح مشتق من اللفظة اليونانية القديمة Anthroposlogos، التي تنقسم قسمان Anthropos وتعني إنسانا وLogos وتعني علما، تترجم في العربية بعلم الإنسان أو علم الإناسة، وهو الفرع المعرفي الذي يعنى بدراسة حياة الإنسان الاجتماعية والثقافية، ويبحث في أعمال الإنسان وسلوكه الفردي والاجتماعي وعلاقته بالمجتمع الذي ينشأ فيه والحضارة التي ينتمي إليها، كما يبحث في علم الحضارات والمجتمعات البشرية عبر العصور، ويتفرع هذا العلم إلى فروع أساسية: الأنثروربولوجيا الاجتماعية التي تدرس سلوك الإنسان المعاصر وأفعاله وإنجازاته... والأنثروبولوجيا الثقافية التي تهتم بدراسة ثقافات البشر ومظاهر تلك الثقافة من مأكل ومشرب وملبس وأنماط معمار ونظم تعليم وحضارة...والأنثروبولوجيا اللغوية التي تبحث في تأثيرات اللغة على حياة الإنسان كأنماط التواصل والتفاعل، يضاف إليها الأنثروبولوجيا الحيوية التي تهتم بالتطور البيولوجي للكائن الحي ، كما يندرج تحتها علم الاثار الذي يدرس مخلفات الإنسان الأثرية المادية والمعنوية عبر الحقب الزمنية المختلفة[1]

علاقتها بغيرها من العلوم:

هناك علاقة وطيدة بين الأنثروبولوجيا والعلوم الأخرى كعلم الاجتماع وعلم النفس والفلسفة والتاريخ... وترتبط فيما بينها من حيث النشأة والموضوع والمنهج المستعمل في هذه العلوم، وحتى وإن وجد اختلاف وتباين فيما بينها فإنها تشترك في الهدف وهو دراسة الانسان وأعماله، حيث تربطها بهذه العلوم وغيرها علاقات تأثير وتفاعل بخاصة العلوم الإنسانية والاجتماعية **كالإثنولوجيا** أو علم الأعراق، الذي يبحث في أصول الشعوب المختلفة وخصائصها وتوزيعها وعلاقاتها بعضها ببعض، كما يدرس ثقافاتها دراسة تحليلية مقارنة، وهو فرع من الأنثروبولوجيا، وكذا **الأركيولوجيا** أو علم الاثار الذي يختص بدراسة البقايا المادية التي خلفها الإنسان دراسة علمية لمخلفات الحضارة الإنسانية الماضية، ويستعان به في دراسة حياة الشعوب والحضارات القديمة، إضافة إلى **السوسيولوجيا** أو علم الاجتماع الذي يعنى بدراسة الظواهر الاجتماعية التي تترتب عن العلاقة بين المجموعات البشرية، بمعنى دراسة العلاقة بين الإنسان والمحيط الذي يعيش فيه، كما يبحث في المشكلات التي تتفشى في المجتمعات البشرية وحلّها.

بدأ الاهتمام بتدريس الأنثربولوجيا منذ أواخر القرن العشرين بعدما ثبت أهميته في فهم حياة الإنسان البيولوجية والثقافية والاجتماعية، حيث يعدّ من نواتج عصر النهضة في أوروبا الذي كان له تأثير في توليد نظريات جديدة عن العالم والإنسان، حيث اتفق المفكّرون والعلماء–رغم من تباين وجهات نظرهم– على مناهضة فلسفة العصور الوسطى اللاهوتية، التي أعاقت فضول العقل لإنساني إلى معرفة أصول الأشياء ومصادرها، وتكوين الطبيعة وقوانينها، وصفات الإنسان الجسدية والعقلية والأخلاقية[2]. وفي القرن التاسع عشر بدأت كتب الأنثربولوجيا القديمة في الظهور في أمريكا وأوروبا ، كما ظهرت في الوقت ذاته المدارس التي تعنى

1 : للاستزادة ينظر عيسى الشمّاس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، منشورات اتحاد الكتّاب العرب/دمشق 2004 ص 08.

2 : حسين فهيم، قصة الأنتروبولوجيا – فصول في تاريخ علم الإنسان، سلسلة عالم المعرفة، العدد 98، 1986، ص 86.

بهذا العلم ،كـ " المدرسةِ التطوريّة " ومدرسة " القانون المقارن " . ومن الأسماء الضخمة التي أسهمت في إثراء هذا العلم و تدريسه (جيمس فريزر) و(راد كلف براون) و(مالينوفسكي) و(البوت سميث) ... بالإضافة إلى مؤلفات ضخمة بهذا الشأن ومدارس مهمة أثرَتْ هذا العلم وجعلته من أهم علوم العصر الحديث[1]

الإثنوميتودولوجيا

هي مبحث من مباحث علم الاجتماع، ظهر في ستينيات القرن العشرين على يد عالم الاجتماع الأمريكي هارولد جار فينكل بعد أن احتدم الصراع بين العلماء على توحيد مباحث علم الاجتماع ومحاوره الرئيسية، وجاء هذا المبحث نتيجة نقد واع لعلم الاجتماع بصورته التقليدية، حيث ارتكز هذا المجال المعرفي المستحدث على مقولات الفلسفة الظاهراتية من ناحية وعلى فلسفة فنجنشتاين والألعاب اللغوية التي ازدهرت ضمن اتجاهات ما بعد البنوية وما بعد الحداثة من ناحية أخرى ، حيث ازداد الاهتمام بالبعد التواصلي التفاعلي للغة في مباحث الدراسات اللغوية المهتمة بالاستخدام اللغوي في واقع التواصل داخل المجتمع، ويشدد هذا الاتجاه على رفضه للطروحات التي تبنتها النظرية الوضعية، التي تعاملت مع الواقع الاجتماعي باعتبارة واقعا موضوعيا مستقلا عن ذوات الفاعلين الاجتماعيين، ترجع أصول هذه النظرية إلى الاتجاه الفينومينولوجي الذي طوره ألفريد شوتز في علم الاجتماع. فهذه النظرية عمقت البحوث الميدانية من خلال المنهجية الفينومينولوجية.

" فكلمة إثنو Ethno تعني إمكانية تكوين الحس أو الذوق العام للفرد، لإدراك المعرفة في مجتمعه، وهذا ما حاول جار فنكل دراسته"[2]، فالسابقة إثنو تعني أعضاء الجماعة الواحدة أما ميثودولوجي Méthodologie فتعني منهج أو طريقة البحث والدراسة، حيث عرفها بأنها " استقصاء الخصائص العقلية لمجموعة التعبيرات والأفعال العلمية التي تتم أثناء الحياة اليومية، أي دراسة المعاني التي يعطيها الناس لتصرفاتهم وأنماط سلوكهم في محيطهم الاجتماعي"[3].

يمكن فهم مفهوم مصطلح إثنوميتودولوجي من خلال تقسيمه إلى وحداته الأساسية، حيث يشير لفظ إثني إلى مجموعة لغوية ثقافية واحدة، وميثودولوجي يعني منهجية الدراسة ومجالها، أي الوصف المنهجي لطريقة البحث في الممارسات الثقافية والاجتماعية لطائفة اجتماعية مخصوصة، كما يعني الطرق والممارسات التي تستخدمها هذه الجماعة في أنشطتها اليومية ذات الطابع الاجتماعي.

إنّ المشتغل بالإثنوميتودولوجيا يبحث في اشتراك أفراد الجماعة الثقافية الاجتماعية الواحدة في إحساسهم المشترك في صنع ممارساتهم الثقافية، وبالتالي فثمة انعكاس طبيعي بين نشاطهم في المحيط الاجتماعي والإنتاج المستمر لذلك المحيط، والواقع أنهما متطابقان، أضف إلى ذلك أنّ هذه الممارسات هي متاحة للدراسة والبحث، بما يفتح المجال واسعا للتساؤل المنهجي حولها، ومنه نستنتج أنّ كلمة الإثنوميتودولوجيا Ethnomethodologie تتكون من ثلاثة أجزاء ethno ويراد بها الجماعة أو الشعوب وméthode وتعني الأسلوب أو الطريقة أو المنهجية، logie وتعني العلم، وعليه فإن الإثنوميتودولوجيا تعني منهجية الجماعة أو المنهجية الشعبية،

---

1 : ينظر المرجع السابق ص 87-88

2 : ينظر عبد الله محمد عبد الرحمان، النظرية في علم الاجتماع (النظرية السوسيولوجية المعاصرة)، ج2، دار المعرفة الجامعية، بيروت، ص 243-245

3 : طلعت ابراهيم لطفي وكمال عبد الحميد الزيات، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار غريب، القاهرة، ص 143

وسماها البعض منهجية النظام الاجتماعي، تشير إلى العلم الذي يهتم بمعرفة المناهج أو الطرق التي يستخدمها الناس أو الشعوب في إعطاء معنى لعالمهم الاجتماعي.

التحليل الإثنوميتودولوجي للغة:

يرفض أنصار هذا المنهج الاجتماعي المستحدث اعتبار العلوم الطبيعية أنموذجا تحاكيه العلوم الاجتماعية، مؤكدين على الفرق الجوهري بينهما، حيث تخضع الظاهرة الاجتماعية إلى جملة من المعايير والشروط يتقاسمها أفراد الطائفة الواحدة ويعيشون في الإطار الثقافي نفسه، وتختلف الظاهرة الطبيعية عنها، فهي لا تعبّر عن بناء خاص أو محدود أو نوعي من المعاني، بل تسمح بحرية الملاحظة والتفسير للظاهرة الطبيعية، ويطالبون في آن بتطبيق معايير منهجية مغايرة لفهم الظاهرة الاجتماعية موضوع البحث والوصف.

تعود أصول التحليل الإثنوميتودولوجي إلى الفلسفة الظاهرتية، باعتبارها توجها معرفيا خاصا بوصف الظواهر كما تبدو في الواقع ومن خلال وعينا بها، حيث يعتقد أنصارها أنّ معرفتنا بالواقع إنما تأتى من خبرتنا الذاتية، وهذه الخبرة هي التي تتيح لنا إمكانية إدراك جوهر الأشياء المؤثثة لهذا الواقع، ومن هنا تركز الفلسفة الظاهرتية على دراسة العملية التي نفهم بها العالم وليس على تفسير هذا العالم وهذا أسهم في تطوير مباحث علم الاجتماع من البحث في الأسباب إلى البحث عن المقاصد التي تشكل أفكار الأفراد وأفعالهم وهنا تتقاطع مع التفكير التداولي الحديث الذي يبحث في مقاصد المتكلمين أثناء تواصلهم لغويا.

يرتكز التحليل الإثنوميتودولوجي للغة على جملة من الأسس أهمها:

- يتعلّق مجال اهتمام الإثنوميتودولوجيا بنشاط الأفراد في حياتهم اليومية العادية الروتينية.
- تهتم بكيفية تنظيم الأفراد لحياتهم اليومية وكيفية جعل أنشطتهم ذات معنى لهم وللآخرين.
- هدف التحليل الإثنوميثودولوجي فهم الموقف الاجتماعي كما يشعر به من يعيشونه بالانطلاق من تشريحه من داخله.
- يؤمن أنصار هذا التوجه المعرفي الاجتماعي بعدم وجود نظام اجتماعي حقيقي، بل هو عبارة عن مواضعات مستقرة في الضمير الجمعي للجماعة اللغوية الثقافية الواحدة.
- يؤمنون كذلم أن الفرد في المجتمع غير مستسلم وغير خاضع للدور الذي يمنحه إياه لنظام الاجتماعي، بل هو فاعل فيه، وسبب في تشكله منذ البداية.
- يركز على وصف الواقع الاجتماعي كما هو لا كما يجب أ يكون، بعيدا عن كل أحكام قيمية أو إيديولوجية.
- تتجنب الإثنوميتودولوجية تقديم تفسيرات سببية للظواهر الاجتماعية، ولا تعطي أهمية للسياق والتحليل التاريخي.[1]

1 : للاستزادة حول المسألة ينظر : محمد الجوهري ، مناهج البحث العلمي، ومحمد سعيد فرح ، محاضرات في تصميم البحوث، و غريب سيد أحمد ، علم الاجتماع الريفي ، و عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي.

المحاضرة الثالثة عشر: ممارسات تطبيقية : 1/ التحليل التداولي للخطاب الإشهاري

يعد الخطاب الإشهاري خطابا متعدّدا، تتكثّف فيه الملامح السوسيو ثقافية للمجتمع الذي ينتجه فهو خطاب ثري ومتنوّع، يمتلك من المقوّمات اللّغوية والسيميائية والتداولية ما يغري الباحث بمساءلة مكوّناته اللسانية والأيقونية ، حتى يقف على قوته في استقطاب الجماهير وفي بلورة وعيهم ، وفي توجيههم حسب ما تقتضيه أهداف الصناعة الإشهارية.

وحتى يتسنّى لنا فهم آليات بنائه وأسرار تلقّيه، والبحث في كفاءته الحجاجية وطاقته الإقناعية ، وإدراك الأبعاد االأيديولوجية العميقة التي تتخفّى خلف رموزه وإشاراته، سنستعين بمقولات السيميائية التي وفّرت للباحث مقاربات ثرية، تمكّنه من قراءة هذا النمط من الخطابات قراءة واعية تستنطق رموزه ، وتطارد دلالاته في كافة مستوياتها التقريرية والإيحائية ، التي تجعله يتمنّع تمنّعا أقرب إلى الإغراء منه إلى التمنّع

الوصلة الإشهارية: "مُبرّد المياه صدقة جارية"

يرتكز خطاب هذه الوصلة على الحجّة العاطفيّة ذات البعد الديني، ورغم اختصاصه بالتّرويج لسلعة ماديّة هي مُبرّدات المياه، فإنّ القائم على صياغته يتجاوز مميّزات الجهاز وكفاءته الوظيفية، ليشتغل على استدرار مشاعر الناس وتحفيز عواطفهم ، وذلك بعقد صِلة بين مفهوم الصدقة الجارية والمبرّد الذي تعرضه الوصلة، حيث راح يُحاصر مخاطبَه بوابل من المصطلحات، والحجج الدينية المؤثّرة، التي عادةً ما يُذعن النّاس لها ويخشون مناقشتها أو الخوض فيها، ولأنّ المشهر يُدرك أنّ مخاطَبة العاطفة هي مدخل إقناعي فعّال وسريع التأثير، اختار أن يبني حجاجه بناءً عاطفياً ينهل من الحقل الدّلالي الديني، حيث يضمن لمنتوجه الرّواج وسرعة التسويق، رغم اعتراض كثير من الباحثين على هذا النّمط من الحجاج، الذي يعدُّونه ضربًا من المغالطة والتمويه والخروج عن المسار الحجاجي الذي يُخاطب العقل، ويسمو على العواطف، بخلاف المكوّن الحجاجي السّائد في خطاب هذه الوصلة، الذي تؤلّفه "جملة من الحيل الخطابية التي تقوم أساسًا إمّا على استغلال عواطف الجمهور، وإمّا على سعي المتكلّم على عرض نفسه في صورة جذّابة ومغرية، يبرز فيها قدراته وخبرته في المجال الذي يتحدّث عنه، فههنا خطأ في المناسبة، بمقتضاه تغدو الصّلة بين الفعل الحجاجي والمسألة المتنازع حولها واهية، فاستدعاء العواطف في هذه المقاربة يُعَدُّ بديلا غير شرعي لما ينبغي أن يكون عليه الحجاج، والعواطف إذا حلّت قطعت سير الحجاج الحقيقي، لذلك يحسن بالمحاور ألاّ يُفكّر في استدعائها، وأن يسدّ المنافذ حتّى لا تتسرّب، ولا تُفسد البناء الحجاجي"[1]، كأن يعمل على إبراز مميّزات السّلعة التي يروّج لها، أو أن يُضاهيها بمنافساتها في السوق التجارية، أو أن يستعرض طريقة تشغيلها عملياً أمام الجمهور ، وغيرها من الأساليب الحجاجية[2] التي تُسرّع اقتناع المشاهد، غير أنّ هناك من يعتقد أنّ الحجاج العاطفي هو ظاهرة خطابيّة يُحرّكها القصد، ولا بأس من توظيفه في الخطاب إذا ما اقتضاه المقام، لأنّه "مسلك آخر في الحجاج مهم،

---

1): حاتم عبيد، منزلة العواطف في نظريات الحجاج، مجلّة عالم الفكر، ع 02، المجلد 40، ص 284.

2): إنّ أنسب أسلوب حجاجي في مقام هذه الوصلة هو الأسلوب التوضيحي، الذي "يعتمد على شرح خصائص السلعة أو الخدمة المعلن عنها، ويطلق عليه البعض (الأسلوب التعليمي)، وذلك لأنّه يعتمد على شرح دقيق لكيفية استعمال السلعة أو الخدمة، كما أنّه يشرح الفوائد التي ستعود على الفرد من وراء شراء السلعة أو الاستفادة من الخدمة، بمعنى آخر، فإن كل شيء خاص بالسلعة يتم توضيحه في النص الإعلاني الذي سيقدّم على التلفزيون مصاحبا للصورة (...) فهو يُناسب تماما السلع التي تدخل السوق لأوّل مرّة، حيث يطلب المشاهد شرحاً وافيًا عنها ليس بالصورة فقط ولكن بالكلام أيضاً".

- انظر منى سعيد الحديدي، وسلوى إمام علي، الإعلان: أسسه، وسائله، فنونه، ص 214 وما بعدها.

يقوم على بناء العواطف داخل الخطاب بناءً حجاجيًّا يُساعد على تبرير ما يشعر به المتكلّم من عواطف ، وحمل المخاطب على الاعتقاد في صحّة ذلك الشعور، ومن ثمّ على تبنّيه"[1]، شرط أن يتحلّى المحاجج بالموضوعية والأمانة وصدق القصد، وهي صفات تَندُر في الصناعة الإشهارية، التي همُّها الأوحد هو البيع والربح، ولنا أن نتتبّع البرنامج الحجاجي الذي سطّره مصمّم وصلة "مُبرّد المياه صدقة جارية"، حتى نفهم قصده، وندرك أغراضه التداولية.

يمتد المسار الحجاجي في هذه الوصلة عبر جميع تمفصلاتها، بدءاً بالعنوان ومروراً بالمتن النصّي ووصولاً إلى الشِّعار الختامي، ولا شكّ أنّ تتبّع ذلك المسار سيمنحنا بيانات دقيقة عن واقع توظيف الحجاج في هذا الخطاب، ودوره في تحقيق تداوليته.

1- العنـوان:

يُلخّص هذا العنوان المركّب الفكرة الحجاجية التي بنى عليها المشهر خطابه، حيث اختار مصطلحا دينيا صِرفاً وجعله صفة لسلعته المادّية، ليتحوّل – جرّاء ذلك – المفهوم المعنوي المجرَّد إلى علامة تجارية "Logo" متداولة في السّوق، وتكمن أهمّية هذا العنوان في أنّه تسبيق للنتيجة التي ينشدها الفعل الحجاجي ، لأنّ المشهر يُريد أن يُقنع مخاطبه بأنّ عرضه هو أقصر طريق للفوز بثواب الصدقة الجارية، وأنّ اقتناء مُبرّد المياه هو فعل مأجور يُدخل صاحبه الجنّة (من منظور هذه الوصلة)، وليس العنوان الذي بين أيدينا سوى تكثيف دلالي لكلّ ما جاء في النّص، حيث قصد المشهر من ورائه، شدّ انتباه المخاطب وإثارة فضوله، واستقطاب تركيزه، لأنّه يُدرك جيّداً أنّ الظّفر بصدقة جارية قبل الممات، هي أمنية كلّ مسلم، وليس يدهشنا أن يمتطي المشهر مثل هذه المقاصد المؤثّرة حتى يُقنع مخاطبه، لأنّ الغاية التجارية تسمو عنده فوق أيّة غاية أخرى، ودليل ذلك أنّه لم يتحرّج من توظيف مفاهيم دينيّة مقدّسة من أجل تسويق أجهزة تبريد المياه، وما دامت النتيجة التي يُريدها المشهر حاضرةً في عنوان الوصلة، فلا بُدّ أن يُردفها بحجج كثيرة، تؤثّث المتن النصّي، وتخدم مقاصده المادّية.

2- المتـن:

استهلّه المشهر بشاهد ديني، هو حديث نبوي شريف، يُعلّم الناس فضل الصّدقة الجارية التي تشفع لصاحبها يوم القيامة[2]، حيث أقحمه بلفظه على خطاب الوصلة، ليستمدّ من سحره وقوّة تأثيره وإذعان الناس لأحكامه، ما يخدم أغراضه التجارية، ورغم ما يشوب هذا المسعى من مغالطة ومحاذير شرعية، فإنّه فعل حجاجي ذكي، يبدّد تردُّد السّامع ويُسرّع ردود أفعاله، فالشّاهد نوع من الحجج التي عرفها الفكر الفلسفي، منذ أرسطو إلى عصرنا الحالي، في إطار ما اصطلح عليه الباحثون بـ "النظرية الحجاجية"، وعادة ما يستدعيه الخطيب ليدعم به كلامه، وليجعله حُجّة على صدق طرحه وأصالة أفكاره.

ولم يكتف المشهر بتضمين خطابه هذا الحديث النّبوي الشريف، بل راح يسرد على سامعه قائمة طويلة من الحجج، استقاها من الحقل الدّلالي الديني، ورتّبها كالآتي:

---

1): حاتم عبيد، منزلة العواطف في نظريات الحجاج، مجلة عالم الفكر ع 2 / المجلد 40 ، ص240.

2): قال رسول الله – صلى الله عليه وسلّم : **إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ : صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ ، أَوْ عَمَلٌ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ** » صدق رسول الله – صلّى الله عليه وسلم –

أ- **حجّة التعريف:**

نستشفّها من قوله: "الصدقة الجارية: جبال من الحسنات وتكفير للسيّئات"، وهو تعريف بالإحاطة يحمل أبعادًا حجاجية، عَرّف فيه المشهر الصدقة الجارية بطريقة تداولية تُقنع السّامع، حيث "يرتكز التعريف بالإحاطة على تقديم الخصائص المميّزة للشيء، لإعطائه تمثيلاً ذهنيًّا مُجَرَداً، ويستثمر هذا النمط من التعريفات حين يتعلّق الأمر بمفاهيم مُجرّدة"[1]، وهنا حرص المشهر على تعريف الصّدقة الجارية باستدعاء مفاهيم مُجَرَّدة تتعلّق بها دلاليا، كمضاعفة الحسنات وتكفير السيئات، وهي مقاصد دينيّة يتوق كلّ مسلم إلى الفوز بها، ممّا يجعلها مداخل إقناعية فعّالة ومضمونة النتائج، وتكمن أهمّية حُجّة التعريف في أنّها "تستعمل أيضا استعمالاً جدليا حجاجيا، يهدف إلى الإقناع وتسخير الأذهان في كثير من الحالات، فتتمظهر في بنيات تركيبية ودلالية مشهورة في سياق حجاجي جدلي، لتنشئ علاقة مقارنة أو مشابهة بين مشبه ومشبه به مُجرّد في الغالب"[2]، كما هي الحال في تعريف الصدقة الجارية الماثل بين أيدينا، حيث راح المشهر يقارن بين مضاعفة الحسنات وتكفير السيئات، وهي مقارنة ضمنية تتمخّض نتيجتها عن مفهوم الصّدقة الجارية، فعندما يُدرك المتلقي أنّ الصدقة الجارية تضاعف حسناته وتمحو سيئاته، سيسارع إلى تحقيقها، وذلك – تحديداً – ما يُراهن عليه المشهر، الذي قرّر أن يزيد جرعة الحجاج ويحاصر مخاطبه، فاستدعى مجموعة أخرى من الحجج، التي يتزاوج فيها الحقل الدّلالي الديني بالحقل التجاري المادّي، ورتّبها كالآتي:

1- تاجر مع الله تجارة رابحة.

2- أفضل الناس تجارة، من هم أنفع للناس.

3- الماء هو الحياة.

سبقت الإشارة – في الفصل الثاني من هذا البحث – إلى الأساليب اللّسانية التي استثمرها المشهر في تبليغ مقصوده، كأسلوب الأمر الذي غرضه الطلب والتوجيه، البادي في الحجّة الأولى، واسم التفضيل بما ينطوي عليه من طاقة حجاجية، الحاضر في الحجّة الثانية، وأسلوب التعريف الذي نلمسه في الحجّة الثالثة، غير أنّ الذي يَهمُّنا – في سياق هذا لفصل – هو القدرة الإقناعية التي تمتلكها كلّ حُجّة، وكذا منزلتها في سلّم الحجج التي وظّفها المشهر في خطابه، والملاحظ أنّه وُفّق في اختيار الحجج المقنعة، كما وُفّق في ترتيبها وفق قوانين السلّم الحجاجي - لاحظ معي التمثيل البياني الموالي -:

1): محمد طروس، النظرية الحجاجية (من خلال المقاربة البلاغية والمنطقية واللسانية)، ص 26.

2): المرجع نفسه، ص 27.

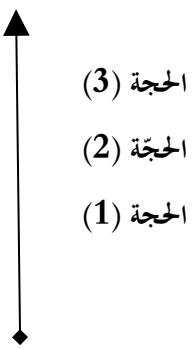

"الشكل (1): تمثيل بياني يشرح المسار الحجاجي في وصلة مُبّد المياه صدقة جارية"

حثّ المشهر مخاطبه على التّجارة الرّابحة مع الله عزّ وجلّ في الحجّة الأولى، ثمّ وجّهه إلى نوعيّة التجارة التي يقصدها، عن طريق التخصيص والتحديد في الحجّة الثانية، وحتى لا يُجازف بانشغال المتلقي في التفكير بأي باب من أبواب الخير، باغته بالحجّة الثالثة التي يقول فيها "الماء هو الحياة"، وهي حُجّة محدّدة تُقصر تفكير السّامع على نوع مخصوص من التجارة، وتجعله أسير العرض الذي تقترحه الوصلة الإشهارية، فما دام الماء هو الحياة، وما دامت مُبرّدات المياه هي صدقة جارية، فلن يُفوّت الفرصة دون الظفر بهذا الجهاز ، الذي سيحقق له شرف خدمة الناس ، ويمنحه أجر الصّدقة الجارية ، ويضمن له رضى الله ، ويدخله الجنّة – (من منظور هذه الوصلة)– فهو بحق، عرض مُغرٍ ومقنع ويستحقّ المشاركة.

وَأَودُّ أن أنبّه هنا، إلى أنّ المشهر رتّب حججه ترتيبا تصاعديًّا، راعى فيه معيار التأثير والقدرة على الإقناع، فبدأ بحجّة مقنعة تتعلّق بوصف التجارة الرّابحة، التي لن تكون إلاّ مع الله تعالى، لكنّها الأقل تأثيراً بين سائر الحجج الواردة في خطابه، ثمّ أردفها بحجّة ثانية، تعلوها في سلّم الحجاج من حيث قوة التأثير، حدَّد فيها مجال تلك التجارة الرابحة، وأقصره على كلّ ما يتعلّق بخدمة الناس وقضاء مصالحهم ، ثمّ حسم أمره في الحجّة الثالثة وقطع حبل تفكير مخاطبه، بأن أفصح عن مقصوده صراحة قائلاً: "الماء هو الحياة"، ليوجّه بذلك المتلقي إلى شراء مُبرّدات المياه التي سيخدم الناس بها، فينال صدقة جارية تدخله الجنّة، وهو برنامج حجاجي مدروس، احترم فيه المشهر قوانين السّلالم الحجاجية، التي تقضي بضرورة ترتيب الحجج في الخطاب، من الأضعف تأثيراً إلى أكثرها قُدرة على الإقناع، كما أنّ الحجج المستثمرة في هذه الوصلة، تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، لأنّها تخدم القضيّة نفسها، فالمشهر لم يضعنا في مقام تعارض حجاجي، يتنافس فيه خصمان، ويُلقي كل منهما بحججه ليدحض طرح الآخر ، بل إنّه اقترح سلعة ما وسعى إلى إبرازها وتثمينها حتى ينال رضى الزبون، وطبيعي أن تنتمي الحجج إلى المجال الدّلالي نفسه، لأنّها تسعى إلى تحقيق النتيجة عينها، هي شراء مُبرّدات المياه.

ب– **الاستمالة العاطفية:**

يعي المشهر جيّداً أنّ مثل هذه المقامات الإشهارية تستدعي مداعبة العاطفة، واستمالة المتلقي واسترضائه، فهو عندما يسأله قائلاً: "هل تستطيع أن تصف شعورك وأنت تروي ضمآن؟ هل تستطيع أن تصف شعورك والناس يدعون لك بالخير؟"، فكأنّما هو يُخاطب الإنسان الذي بداخله، ويجعله يتخيّل نفسه منقذًا للضمآن من الموت عطشاً، وأنّ الناس جميعًا يرفعون أكُفّ الرجاء، داعين للمنقذ بالأجر العظيم، وغيرها من الصور الخيالية التي تراود المتلقي حال سماع هذه العبارات المؤثّرة، التي تبعث على التعاطف والتضامن،

وتُسرّع ردود الأفعال، وهو أسلوب حجاجي ذكي، وحيلة إشهارية مقنعة، تنطلي بسهولة على ذوي القلوب الرحيمة الذين تؤرّقهم أوجاع الناس وتستهويهم الصّدقة الجارية ويرجون رضى الله تعالى، وهنا تكمن أهمّية الاستمالات العاطفية، التي "تركّز على الاحتياجات النفسية لجمهور المستهلكين، حيث إنّ أغلب قرارات الشراء، تستند إلى أبعاد عاطفية، حتى لو كانت المنتجات المعلن عنها يمكن النظر إليها على أنّها تعتمد على دوافع شراء منطقية، فالعاطفة تحوّل الحقائق المجرّدة إلى لغة حيّة نابضة مؤثّرة في الإقناع، لأنّها صارت تمسّ المشاعر وبدونها تكون الكلمات جامدة بلا تأثير"[1]، لذا يحرص مصمّم الوصلة على بث الرّوح في كلماته فيمنح الخطاب قدرة على التأثير، وتلك هي مفاتيح الاستجابة السّريعة.

يحتاج المشهر بعد تلك الاستمالات العاطفية إلى أن يؤكّد طرحه، ويُذكّر مخاطبه بالعلامة التجارية التي يعرضها، فيقول له: "نعم... إنّها الصّدقة الجارية" بصوت أجش خاشع، تزيده تقنية "صدى الصوت L'éco" وقاراً وتأثيراً حتى يُبعد الشّك من نفس السّامع، ويضفي على كلامه إيجازاً وقوّةً وتركيزاً يحقّقه التوكيد المعنوي الحاضر في عبارة "نعم... إنها..."، فتلك مسالك حجاجية مضمونة ومختصرة، يسلكها المشهر بين الحين والآخر، حتى يجدّد تركيز السّامع ويحوز اقتناعه.

يلجأ المشهر بعد ذلك إلى حيلة إشهارية معروفة، تمتلك طاقة حجاجية عالية تتعلّق باقتراح وصف جديد للسّلعة المعروضة يزاحم العلامة التجارية الأصلية، حيث اختار أن يسمّي جهازه – في هذه المرحلة من الوصلة – "مبرّد المياه المشتاقون إلى الجنّة"، وهو وعد مضاعف بالأجر والثواب، فبعد أن ارتبط مُبرّد المياه بمفهوم الصّدقة الجارية، نراه يُصَنّف الآن كمعبر إلى الجنّة، فمن أراد الفوز بالجنّة، واشتاق لأريجها، عليه باقتناء مُبرّد المياه، وهو وعد مشبوه فيه الكثير من المغالطة والتمويه ، لكن علينا أن نعترف بأنّه مدخل إقناعي مضمون، يعوّل عليه المشهر في الإيقاع بشريحة واسعة من المتلقّين ، يجمعهم حب الخير وخشية الله ، وشيء من السذاجة.

ولم يكتف المشهر بكل ما سبق توظيفه من صنوف الحجاج والاستمالات وأساليب الإقناع ، بل راح يؤسّس لعلاقة حميمة تربطه بجمهور المتلقين، يعمل بموجبها على استرضائهم وضمان راحتهم، فيقول لهم: "نصلكم أينما كنتم ... لأنّنا نريد أن نشارككم الأجر ... شعارنا: الصدق هو الأساس"، فأوّل ما استرعى انتباهي – في هذه الجزئية من الوصلة – بروز نون الجماعة في خطاب المشهر، فبعد أن كان يُخاطب سامعه قائلاً "تاجر، تصدّق، تربح، تستطيع، تصف، تحصل عليه..."، صار يُفضّل المشاركة (بعد أن يتمّ فعل الشراء)، لذا نراه يقول: "نصلكم، لأننا نريد، نشارككم الأجر، شعارنا"، ولا شكّ أنّه يبغي إضفاء الثّقة والمصداقية على عرضه، بإبعاد الهاجس التجاري وتقريب الخدمة من الزبون، وكأنّه لا يأبه للعائد المادي، بل يهمّه الأجر والثواب، وهو أسلوب تمويهي يُخفي بواسطته أغراضه المادّية، التي سرعان ما تتكشّف في العبارة التي وظّف فيها أسلوب القصر قائلاً: "هيّا... لن تستطيع أن تحصل على هذا العرض الرّائع إلاّ مع الناس TV Shop "، فالمعروف أنّ الصّدقة الجارية هي ملك لصاحبها، وهي وليدة قناعاته واختياراته ولا يجوز احتكارها من شركة تجارية، أو اختصارها في منتج صناعي، وهنا تبرز الأغراض المادية التي تتخفّى ببراعة خلف مفاهيم ومقاصد دينية مُقدّسة، طوّعها المشهر للتّرويج لسلعته العادية ، وسرعان ما تحوّل الخطاب الدّيني الدّعوي إلى خطاب إشهاري ترويجي، يعرض السّلعة ويحدّد أثمانها وطريقة التّسديد ومصاريف الشّحن وأرقام الهاتف.

---

1): السيد بهنسي، ابتكار الأفكار الإعلانية، ص 135.

ويختم المشهر وصلته بشعار ختامي، أراده سؤالاً يستنهض به همّة المتلقّي ويشحن عزيمته، فيقول له: "مُبرّد المياه صدقة جارية، فهل من مُشمِّر؟" ليدفعه إلى الإقبال الفوري على عرض محدود وحصري لشركة الناس TV Shop، لعلّه يظفر بصدقة جارية تشفع له بعد مماته.

وعلينا أن نُقرّ – في نهاية التّحليل الحجاجي لهذه الوصلة الإشهارية – أنّ مصمّمها سطّر برنامجاً حجاجيا كثيفاً، تراوح بين الحجج الصريحة والاستمالات العاطفية وأساليب المدح والوعد والترغيب، وبعض الأساليب اللّسانية كالأمر والاستفهام والتوكيد والقصر، التي صاغ في ضوئها محتوياته الإشهارية، دون أن يُغفِل اختيار بعض الأفعال الكلامية ذات القوّة الإنجازية: ك "تاجر، تصدّق، تروي..." التي تحمل طاقة حجاجية، تدفع المتلقي إلى الاستجابة الفعليّة، وغيرها من الأدوات الحجاجية، التي تساهم في تحقيق تداولية هذه الوصلة،غير أنّه أغفل الاهتمام بالمكوّن الأيقوني في برنامجه الحجاجي، إذ لم نلحظ سوى تركيز الكاميرا على شكل الجهاز المعدني، الذي كُتب عليه بخطّ سميك: "صدقة جارية – نسألكم الدّعاء – لا حول ولا قوّة إلاّ بالله" وكأنّ المشهر لا يدرك أنّه "تمّ الانتقال من نحوية الكلمة وإحكام النظم وبيان المعنى وجزالته، إلى نحوية الألوان التقنية ووسائلها التكنولوجية، إذ ألغيت المجازات وعنصر النظم، وبدلاً من التشبيهات والاستعارات والكنايات والمحسّنات اللفظيّة، جاءت بلاغة التكنولوجيا لتكسر الاحتكار اللغوي، وليحلّ إعلان الصورة محلّ إعلان اللغة، ليمارس على الإنسان هيمنة لا تسمح له بالتحرّك إلاّ باتجاه ما هو مرسوم له، وممارسة تأثيرات سيكولوجية وسلوكية عليه"[1]، ورغم ذلك ارتكزت هذه الوصلة على المكوّن اللّساني، الذي أحكم المشهر صياغته، وحبك حججه، غير أنّ إغفاله للحجاج الأيقوني أضعف تأثير الوصلة، وأضفى عليها مسحة من الرّتابة والملل والبساطة، خاصّة أنّها تمتدّ لأزيد من دقيقتين، وهو زمن إشهاري طويل وممتد – نسبيا – بما يقتضي تنويع الأساليب الإشهارية، وابتكار مداخل إقناعية مغرية، حتى لا يتسرّب الملل إلى نفس المتلقّي فيصرف النظر عن متابعة الوصلة ويُحجّم تأثيرها، ويُقصِره على فئة محدودة من جمهور المتلقين، الذين يتأثّرون بالخطاب الديني المجَرَّد.

1): هادي نهر، من بلاغة الكلمة إلى بلاغة التكنولوجيا في الخطاب الإشهاري، مقال في كتاب آليات الخطاب الإشهاري ورهاناته، تنسيق: محمد النّاهي، ص 73.

المحاضرة الثانية عشر: ممارسات تطبيقية:2/ التحليل التداولي للخطاب الكاريكاتوري

الخطاب الكاريكاتوري :

يُعرّف الكاريكاتور بأنه " خطاب مستقل بذاته ، له خصوصياته في التعبير من حيث الشكل والمحتوى وله طاقة تعبيرية تكاد تكون غير محدودة ، وقدرة على التواصل الفعّال مع المتلقي على اختلاف مستوياته وطبقاته الاجتماعية والثقافية ، وفاعليته في التبيين والكشف والفضح للمستور عن كل ما هو سلطة بخاصة السياسية منها "[1] ، وكذا الاجتماعية والدينية والثقافية عامة .

لطالما عُدّ الكاريكاتير ضربا من ضروب الخروج عن النص ، ليس بالنظر إلى أنّ النص – بالمعنى التقليدي – هو بناء متسق ومنسجم وتداولي من الكلمات والجمل فحسب ، بل لأنّ الرسم الكاريكاتوري تمرّد على طقوس الرسم الهندسي والطبيعي المتعارف عليهما منذ القديم ، وراح يمارس انزياحا وتخييلا تحرّكه مقاصد الرسّام ، وتكرّسه تلك الخطوط المتمردة الجريئة التي تنسج بسرعة وببراعة دلالة تباغت المتلقي وتستأثر بإعجابه وبتعاطفه أو ربما برفضه وامتعاضه ،كأن تُرسَم بطن الشخصية كبيرة نافرة مُتدلّية دلالة على الجشع أو أذنها كبيرة لافتة دالّة على التصنّت والتجسّس ، أو لسانها ملتفٌّ على جسدها إحالة إلى سلاطته ولذاعته وغيرها من المشاهد الإبداعية التي تختزل الدلالة وتوجهها نحو مقصد يروم المرسل تبليغه ، لذلك قيل عنه أنه " خطاب، تسكنه الأيدولوجيا ككل أنواع الخطاب "[2] ، فهو غير برئ ولا محايد ، ويتمنّع ليغري بفعل الحفر في رموزه وإيحاءاته ، فيُنظَر إليه على أنه رسم غير مكتمل اجتهد الرسّام في تشفيره ،فضمّنه مقاصده ودلالاته ولن تتحقق تداوليته حتى يفعل المتلقي فعله في إزالة التشفير الحاصل فيه وفهم مكنونه ، وكأنه مشهد درامي توزّعت أدواره بين مرسل معروف ومتلق مفترض ، يؤدي كلّ منهما دوره في اكتمال ذلك الرسم ، ويتحكّم في ذلك براعة الرسّام في استقطاب المتلقي ، وحنكة المتلقي ومهارته في قراءة الرمز والظفر بالدلالة .

كما يمكن إدراك التناص البصري الذي تنطوي عليه الصورة الكاريكاتورية دون عناء ، لأنها تمتح من الواقع وتوظف أدواته وتقتبس من أحداثه وشخصياته ، وتلك مفاتيح القراءة التي يعوّل عليها المتلقي في فهم المحتوى ، إذ يقبع في خلفية المشهد الكاريكاتوري رسّام موهوب معنيٌّ بقضايا مجتمعه ، يجيد تحويل الواقع الحي إلى رسم مدجّج بالأيقونات ، فيترجم مقاصده المجرّدة إلى رسم نابض بالدلالات الواقعية التي يألفها المتلقي في يومياته ، وموهبته تتجلّى في عمق فهمه وتحليله ونقده للقضايا المؤثثة للمشهد الثقافي في المجتمع ، فهو معارض من الطراز الأول ، ولا يؤمن بالمسكوت عنه ، ويكرّس ثقافة حرية التعبير ، ويأبى التخفّي أو التماهي ضمن شخصيات رسومه ، فهو حاضر دائما عبر توقيعه المميّز الذي يتحوّل شيئا فشيئا عبر الزمن إلى علامة مسجّلة تسهم في إشهار الوسيلة الإعلامية التي ينشط فيها .

تتجلّى الأبعاد التداولية في الرسوم الكاريكاتورية في قوة العبارة وانفتاح الصورة ، وارتباطهما ارتباطا وظيفيا وجوديا ، حيث يكمّل أحدهما الآخر ويتعاضدان في تبليغ الفكرة وفي الإقناع بها ،كما تتجلّى في القدرة على التكثيف الدلالي الذي يعكسه كل

---

[1] : بشير إبرير . *اللسانيات والأدب ودراسات أخرى* ، عالم الكتب الحديث ، إربد – الأردن ، 2020 ، ص 79

[2]: ميشال فوكو ، *جينيولوجيا المعرفة ، ترجمة أحمد السطاني وعبد السلام بن عبد العالي.* ، دار توبقال ، المغرب: ، 2008 ، ص 64 .

مشهد من المشاهد المختارة ، حيث يمكن صياغة محتواه في مقال صحفي مطوّل يشرح الفكرة ويسوق الحجج ليبلّغ المقاصد ، أمّا فن الكاريكاتير فيمنح الرسّام مساحة بصرية محدودة ، تزدحم فيها الأيقونات والإشارات بشكل متسق ومنسجم لتعبّر عن دلالات محدّدة يقصدها المرسل ، ويدعمها في عملية التدليل المكوّن اللساني الذي يكون كلمة أو عبارة أو حوارا ، دوره تحجيم ممكنات التدليل في الصورة وكبح جموحها وانفلاتها ، حيث يتوسّل المرسل بأساليب لغوية متنوعة تضفي جمالية وبلاغة على المشهد ، كالتشبيه والاستعارة والجناس ... وغيرها ، " فقوة الرسم الكاريكاتوري ليست في رؤيته البصرية فقط التي تعطي انطباعا بدائيا عن الرسم كشكل ساذج أو غير مكتمل ، وإنما في دلالته وفي تعليقه الساخر عن موقف أو تصرّف أو وضع "[1] ، بلغة قوية جريئة تتحدّى المسكوت عنه .

واللافت للانتباه غلبة المستوى العامي على المكوّن اللساني للرسوم المختارة ، لأنها أقرب إلى فهم المتلقي العادي وأوقع في نفسه من المستوى الفصيح الذي يمارس تمنّعا وتعاليا ويقصر فهمه على النخبة المثقفة في المجتمع ، كما أنّ العامية تخلق نوعا من الألفة والحميمية مع المتلقي ، لأنّها جنس من الخطاب الشعبي الذي يُؤلف سماعه في الشوارع والأسواق والمقاهي ... وهذا يضمن سرعة تفاعله معها والتأثر بها .

غير أنّ جلّ المشاهد الكاريكاتورية تتصدّرها عناوين رصينة بلغة عربية فصيحة ، توجّه قراءة الصورة نحو الدلالة التي يقصدها المرسل ، لأن الغاية من هذا الفن تتجاوز السخرية وإثارة الضحك إلى بثّ الوعي وكشف الحقائق وفضح المستور والبعث على التفكير العميق في الأوضاع التي تحتاج إلى تعديل في المجتمع دونما تجميل أو مجاملة .

1- المداخل المنهجية لتحليل الخطاب الكاريكاتوري :

تقتضي المقاربة التداولية للخطاب الكاريكاتوري معرفة بسياق المشهد السوسيو ثقافي الذي أُنتج ضمنه ، وإحاطة شاملة بأحوال طرفي الخطاب ودور كلّ منهما في بناء الفكرة الدرامية التي يقوم عليها وفي تلقّيها ، بغاية الوقوف على المقاصد التي يضمّنها المرسل خطابه ، والبحث في الاقتضاء وفي متضمّنات القول وما تحمله رموزه وأيقوناته من طاقة حجاجية تُسرّع ردود فعل المتلقي وتضمن تحقّق تداوليته ، (وبما أنّ الرسم الكاريكاتوري يقع في إطار التواصل الإنساني ، فإنّ تحديد دلالته ينهض على تفاعل الصورة مع اللغة في إطار جملة من الظروف المحيطة باللوحة الكاريكاتورية بفضائيها ، الداخلي المتمثل في الألوان والخطوط والظلال والكلمات والجمل والخارجي المتمثل في السياقات الواردة فيه من ظروف سياسية واجتماعية وثقافية وما يرافقها من مرجعيات ذات صلة بباث الرسالة)[2] ، فلا تكونُ مقاربةُ الخطابِ تداوليةً إلاّ "بالتركيز على مستعملي اللّغة وسياق(ات) الاستعمال، ومراعاة ظروف استخدام اللّغة الإنسانية كما يُقرّرها سياق المجتمع، وكذا الاهتمام بمظاهر التأويل بحسب السياقات، وتحليل مقامات الخطاب ومقاصده، إضافة

---

[1] : محمد التعمري ، *سخرية الخطاب من سلطة الكلمة إلى سلطة الصورة – فن الكاريكاتير – مقال ضمن كتاب المقارنون العرب اليوم* ، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الجزائر ، 2014 ، ص 490 .

[2] : ينظر فاطمة محمد العليمات ، مقاربات في تحليل الخطاب الكاريكاتوري . *مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية* ، (المجلد 44 ، العدد 1 , 2017). صفحة 15.

إلى دراسة معاني المنطوقات في علاقتها بالمتكلم (...) بعد استحضار الشروط التي تجعل المنطوقات مناسبة وناجحة إنجازيا، ودراسة العلاقة بين أفعال الكلام وسياقاتها غير اللغوية"[1] .

ولما كانت الصورة هي رابطة العقد وقطب الرحى في الخطاب الكاريكاتوري ، وجب إيلاؤها أهمية قصوى في عملية التحليل ، باعتبارها خزّانا للدلالات والمقاصد ، وهذا يستوجب استعارة بعض الإجراءات المنهجية من المقاربة السيميائية لاعتقادنا بأنها الأنسب لمطاردة الدلالة وقراءة الرمز واستجلاء المعنى في الصور المختارة عيّنة تطبيقية لهذه الدراسة ، فهي تُفصِح عن عمق دلالي مُثير لا يُمكن الاحتكام في فهمه إلى الظّن أو التخمين أو الافتراض ، بقدر ما يجب أن ينطلق من قرائن راسخة في الخطاب تعصمنا من الوقوع في هباء التأويل، لأنّ المنهج السيميائي " يرى في النص خزّانا من الاحتمالات الدّلالية ، لا تجميعاً كمّيًا لعلامات عرضية الوجود والاشتغال، فالسيميائيات هي كشف واستكشاف لعلاقات دلالية غير مرئية من خلال التجلّي المباشر للواقعة، إنها تدريب للعين على التقاط الضمني والمتواري والمتصنّع"[2] ، فيجب التنبّه أثناء قراءة هذه الصور إلى أنّ الدّلالة لا تتموقع في الأشياء ، بل هي خلاصة تسنين ثقافي مُسبق بلورته التجربة الإنسانية وغلّفت به الأشياء والموجودات ، ولا شك أنّ انفتاح الخطاب الكاريكاتوري على فضاءات دلالية متداخلة يُحقّقها غنى الصورة في تعاضده مع قوّة اللغة وتَغَذِّيهما معا على المعطيات الاقتصادية والسوسيو ثقافية للمجتمع ، يوسّع المجال أمام إمكانية استثمار أكثر من مدخل منهجي في مقاربة هذا النوع من الخطابات ، "كالتحليل المستمد من نموذج التواصل الذي يُحدّد معنى النص بطريقة شبه خطّية، يرتبط الماقبل بالمابعد ويُركّز على الغايات (غاية المتكلم والغاية التي يدركها المتلقي من خلال الخطاب) ، وتحليلٌ يرتبط بتصوّر المعنى المحايث للنص انطلاقا من النقط الدّالة واعتماداً على مفهوم الإيحاء الذي يسمح بتأسيس علاقة بين الخطاب وبين معطيات الإحالة الخارجية"[3] ، لأنّ مباشرة التحليل وفق رؤية منهجية أحادية التوجّه يؤدّي إلى شيء من القصور وضيق الرؤيا ، مردُّه إلى تكامل مناهج التحليل وتعاونها في محاولة إجلاء الدلالة المستترة خاصة فيما يتعلّق بخطاب متعدّد لا يتوانى يتناصّ مع غيره من الخطابات ويستدعي لمقاربته مزيجاً منهجيا فعَّالاً ، يسعى إلى الإحاطة بالدّلالة المنفلتة ويغوص في نسيج النص ، ليدرك العلاقات الرابطة بين عناصره وآليات اشتغالها .

2- مفاهيم أساسية في التحليل التداولي للخطاب :

تُجمع جُلُّ تعريفات التّداولية على جعل الخطاب موضوعاً للدّراسة اللّسانية، بعدما تقلّبت ردحاً من الزمن مع دراسة الكلمة ثم الجملة ثم النص، لتستقرّ – في إطار اللّسانيات التداولية – على دراسة مقام الخطاب وقوانين التّخاطب وأحوال المتخاطبين... وغيرها من المباحث الهامّة، التي أولت الأبعاد التواصلية والتّفاعلية أهمّية قصوى في دراسة اللّغة ، باعتبارها كينونة اجتماعية تواصلية

---

[1] : ينظر حافظ إسماعيلي علوي. ، *التداوليات – علم استعمال اللغة* ، عالم الكتب الحديث ، إربد – الأردن ، 2011 ، ص 2 وما بعدها .

[2] : سعيد بنكراد. ، *السيميائيات : مفاهيمها وتطبيقاتها* ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية – سورية ، 2005 . ص 15

[3] : محمد طروس ، *النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية* ، دار الثقافة للنشر ، الدار البيضاء – المغرب ، 2005 ، ص 88 .

ذات طابع خطابي. ولن تبلغ هذه الدراسة غايتها ، إلاّ بالبحث في أساليب الإقناع ومتضمّنات القول والاستلزام الحواري ... التي تُعدّ أبرز المقولات التداولية فعالية في بناء الخطاب وفي تلقيه .

اخترت – لذلك – عيّنة عشوائية من الرسوم الكاريكاتورية التي تمّ نشرها في الصحف الجزائرية[1] لتكون نموذجا تطبيقيا يمكّننا من إثبات الأبعاد التداولية التي ينطوي عليها هذا الخطاب المنتج ، الذي تجاوز وظيفة الإخبار والإمتاع إلى وظائف أعمق وأخطر تتعلّق بالنقد البنّاء والرقابة وتعزيز الوعي الجمعي ...

أودّ – بداية – أن أتوقف بإيجاز عند بعض المفاهيم التداولية التي تقوم مقام مفاتيح القراءة والتحليل بالضبط والنظر ، ليقيني بأنها مصطلحات على درجة عالية من الدقة والتخصص ، ولا يستغني عنها التحليل التداولي للخطاب ، أذكر منها مصطلحي : الاستلزام الحواري ومتضمّنات القول .

1.3: الاستلزام الحواري : Conversational implecature

أورد الفيلسوف اللساني بول غرايس P .Grice في كتابه المنطق والمحادثة مفهوما تداوليا جديدا عدّه من المفاهيم الأساسية في التحليل التداولي للخطاب اصطلح عليه بالاستلزام الحواري ، وهو من أبرز الظواهر التي تميّز الألسن البشرية ، باعتبار أنّ المعاني المنجزة أثناء عمليات التواصل لا تنحصر في ما تدلّ عليه صيغتها الشكلية ، فقد تعبّر عن معاني تقريرية ندركها من البنية السطحية للعبارة ،كما قد تومئ إلى معاني مضمرة تتعلّق بمقام التخاطب ، وإدراكها مرهون بامتلاك حصيلة معرفية وثقافية تقترب من تلك التي انطلق منها الباث في بناء خطابه ، وأهميته تكمن في أنّه (يتيح للمتخاطبين في حواراتهم عددا معيّنا من القواعد الضمنية اللاّزمة في أثناء تواصلهم ، وأنه في حالة ما إذا وقع خلل في تلك القواعد فإنّ عملية التواصل لن تتحقّق)[2] وهي قضايا جوهرية ارتكزت عليها البلاغة وعلم المعاني وعلم البيان ... التي تبحث في علاقة المعنى بمرسله وبمقام التخاطب ، حيث أدرك البلاغيون الأوائل أنّ الفهم الدقيق للمعنى المراد مرهون بربطه بمقامه ، فقيل لكل مقام مقال .

وحتى يشرح بول غرايس مفهوم الاستلزام الحواري أرفقه بمفهوم أساسي تقوم عليه عملية التواصل اصطلح عليه بمفهوم التعاون ، الذي يقضي بأن يتعاون المتحاورون في تحقيق الغاية من حوارهم ، وفهم تلك الإضمارات الحوارية المكنونة في بعض الخطابات ، حتى يتمكنوا من الوقوف على المعنى المقصود في التداول الفعلي ، حيث (يتفرّع هذا المبدأ إلى أربع قواعد أساسية يتضمّنها الجدول الموالي :

القاعدة	مضمونها
قاعدة الكم	**– لتكن إفادتك على قدر حاجتك** **– لا تجعل إفادتك تتجاوز الحدّ المطلوب**
قاعدة الكيف	**– لا تقل ما لا تعلم خطأه**

[1] : تمّ اختيار عيّنة من الصور الكاريكاتورية بشكل عشوائي تمّ نشرها في *جريدة الشروق اليومي* خلال شهر جويلية 2019 للرسّام الكاريكاتوري الجزائري باقي بوخالفة .

[2] : فيليب بلانشيه ، *التداولية من أوستين إلى غوفمان* ، *ترجمة صابر الحباشة* ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية – سورية ، 2007، ص 84 .

	– لا تقل ما ليس لك عليه دليل
قاعدة الملاءمة	– مناسبة المقام للمقال
قاعدة الجهة	– احذر الالتباس – احذر الإجمال والتعميم – تكلّم بإيجاز – رتّب كلامك

1

تشكّل هذه القواعد استراتيجيات دقيقة لبناء خطاب ناجح شكليا ، لأنها تراعي كافة الشروط الشكلية والمقامية التي تمنع التشويش عن الرسالة وتضمن وصولها إلى المتلقي بنجاح .

فهل يخضع الخطاب الكاريكاتوري في بنائه وتلقيه إلى هذه القواعد ؟ وهل يُشترط تحققها جميعا في هذا الخطاب حتى تتأكّد فاعليته ؟ وإلى أيّ مدى يراعي الباث تعاون مخاطبه معه في إدراك التسنين الحاصل في لوحاته الفنية ؟ ... وغيرها من الأسئلة التي يروم التحليل التداولي للمدونة المختارة الإجابة عنها لاحقا .

السؤال الملِحّ الآن: ماذا لو خُرِق مبدأ من هذه المبادئ ؟ ماذا لو خُرِقت هذه المبادئ جميعها ؟ هل يمكن أن نلتزم في كافة أنماط التواصل بإنتاج خطابات تُفهم دلالاتها النهائية عند المستوى التقريري فحسب ؟ كيف نفسّر الإيحاء والرمز والانزياح في الخطاب ؟ كيف سيتحقق مفهوم التعاون الذي اشترطه بول غرايس لنجاح التواصل ؟... للإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها ، اقترح التداوليون مفهوم الاستلزام الحواري الذي هو " عمل المعنى ، أو لزوم الشيء عن طريق قول شيء آخر ، أو قل إنه شيء يعنيه المتكلم ويوحي به ويقترحه ، ولا يكون جزءا ممّا تعنيه الجملة بصورة حرفية "[2] ، ما يعني أنّ خرق قواعد مبدأ التعاون حاصل لا محالة في كل الخطابات التي تتجاوز المعنى التعييني إلى معاني مضمرة يدركها المتلقي عن طريق التأويل والاحتكام إلى تجاربه السابقة في فهم التسنين الحاصل في الخطاب ، وأنّ مفهوم التعاون بين طرفي الخطاب قد يتجاوز البنية اللسانية والسياق اللغوي إلى استدعاء مرجع لغوي ثقافي معرفي يشتركان فيه ، يكون بمثابة القواسم المشتركة التي منحتها إياهما التجربة الإنسانية وظروف الحياة الاجتماعية ، خاصة إذا علمنا أنّ مفهوم الاستلزام الحواري يرتد في العرف التداولي إلى أنّ " معنى جمل اللغات الطبيعية إذا روعي ارتباطها بمقامات إنجازها لا ينحصر في ما تدلّ عليه صيغها الصورية من استفهام وأمر ونهي ونداء وإلى غير ذلك من الصيغ المعتمدة في تصنيف الجمل "[3] ، لذا وجب التريث قبل الجزم بوجود دلالة نهائية مضمونة لخطاب يبوح بدلالات ويسكت عن أخرى ، يلمّح ولا يصرّح ، ولا ينفك

---

[1] : طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء– المغرب ، 1998، ص 238

[2] : صلاح إسماعيل ، *نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس* . الدار المصرية السعودية للنشر والتوزيع ، القاهرة – جمهورية مصر العربية ، 2005 ، ص 78 .

[3] : ينظر باديس لهويمل ، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي .*مجلة رفوف ، العدد 09، عدد خاص بأعمال ملتقى المنهج التداولي ، جامعة أدرار – الجزائر*، 2016 .

يُخصّب في كل قراءة معاني جديدة ، شأن الخطاب الكاريكاتوري الذي يثور على نمطية النصوص الجاهزة ويكسر قوانين الخطاب المرسل .

وحتى يكتمل هذا الطرح المعرفي ويُؤتي أُكله وجب دعمه بمصطلح تداولي لا يقل عنه من حيث الأهمية والجدوى وهو مصطلح متضمّنات القول .

2.3: متضمّنات القول : Saying implicit

عندما نتكلم تفيض مقاصدنا عن الأقوال التي ننجزها ، فالقصد عمل عقلي هلامي الأبعاد والمرجعيات تمثّله المضامين التي يبغي المتكلم تبليغها إلى مخاطبه ، في حين يُعدّ القول عملا لسانيا موجّها تحكمه قوانين التأليف وتجسّده الكلمات والجمل بما تحمله من شحنات دلالية ، لذا يُعوّل المتكلم على فهم المتلقي وقدرته على إدراك ما يسكت عنه القول من إيحاءات وتضمينات يشي بها سياق التخاطب ، " فالمرسل لا يلجأ إلى التضمين إلاّ إذا اطمأن بأنّ المتلقي قادر على الوصول إلى المعنى الضمني ، أو له إمكانية استدلالية للوصول إلى مضمون الخطاب "[1] ، فحسن التلقي مرهون بوجود معرفة أساسية سابقة يشترك فيها المساهمون في عملية التواصل وبسرعة استحضارها إذا ما اقتضاها المقام ، لأنّ التضمين يؤدي إلى تحميل الكلام أوجه خفية ومعاني ضمنية يفهمها المتلقي بالاحتكام إلى مرجعه اللغوي والثقافي والمعارف التي يتشاركها مع المرسل وقد يلجأ المرسل إلى التضمين مرغما تحت وطأة المعوقات التي تمنعه من التصريح في بعض الأحوال خوفا من العاقبة أو هروبا من المسؤولية ، ومن ذلك محظورات السياسة والدين والأعراف ...

يرى أوزفالد ديكرو " أننا بحاجة مستمرة إلى التعبير عن أشياء مخصوصة ، والتظاهر في الآن نفسه بأننا لم نعبّر عنها ، بطريقة تنأى بنا عن تحمّل أي رقابة أو مسؤولية "[2] ، مثلما هي الحال في الخطاب الكاريكاتوري الذي يخلق لنفسه هامشا من الحرية المنفلتة من أي رقابة أو مسؤولية ، لأنه يتدثّر بدثار السخرية ويمرّر مقاصده عبر رموز وأيقونات يقرأها المتلقي الفطن قراءة تداولية تمكّنه من مكنون الخطاب .

يقسّم التداوليون متضمنات القول إلى قسمين متكاملين : الافتراضات المسبقة والأقوال المضمرة ، وكلاهما مهم في استجلاء المقاصد الضمنية التي يجبل بها الخطاب ، وحتى لا يرتبك القارئ في الفصل بينهما نتيجة تداخلهما وجب عرض كلّ منهما بشيء من الضبط والتمثيل .

أ- الافتراض المسبق : Présupposition

تقول أوركيوني : " تصنّف في خانة الافتراضات المسبقة كل المعلومات التي وإن لم تكن مقررة جهرا ، إلاّ أنها تنتج تلقائيا من صياغة القول الذي تكون مدونة فيه ، بغض النظر عن خصوصية النطاق التعبيري الأدائي"[3] ، بمعنى هي منطلقات الخطاب القابعة

---

[1] : حسن بدوح ، *المحاورة : مقاربة تداولية* . عالم الكتب الحديث ، إربد – الأردن ، 2012 ، ص 164 .

[2] : جواد ختّام ، *التداولية أصولها واتجاهاتها* ، دار كنوز المعرفة ، عمان – الأردن ، 2016 ، ص 141 .

[3] : كاترين كيربرات أوركيوني ، *المضمر ، ترجمة ريتا خاطر.* ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت – لبنان ، 2008 ، ص 48

في الخلفية التواصلية للمتخاطبين ، حيث ينطلق المرسل من افتراضات مسبقة يعتقد توفرها لدى مخاطبه ، وتُعدّ مفاتيح فهم الخطاب باعتبارها وضعا مشتركا يتفق عليه المتخاطبان ، وهي معنوية تُدرك من السياق ولا يتيسّر الكشف عنها في ثنايا العبارة .

فلو قلنا مثلا : " هدوء من فضلكم "، سيكون افتراضها المسبق لدى طرفي الخطاب أنّ ثمّة ضوضاء ، أو قلنا : " أغلق الباب ، فردّ آخر قائلا : لا تغلق الباب " ، سيكون الافتراض المسبق لديهما أنّ الباب مفتوح يقول غوفمان : " إنّ المتكلمين يدركون في اللاوعي أنّ سامعيهم يعتمدون على الافتراضات السابقة في محاولتهم فهم ما يقال لهم ، ويُعتقد أنّ المتكلمين بدورهم يدركون أنّ مسؤوليتهم تقديم مهماتهم في المحادثة الدائرة بطريقة تمكّن سامعيهم من فهم المقصود بالاعتماد على الافتراضات السابقة المتوفرة لديهم "[1] ، وعلى أساسها يضمّن المرسل خطابه مقاصد مضمرة يطمئن إلى قدرة المتلقي على فهمها وإدراك أبعادها السياقية ، لأنه ينطلق في قراءتها من مرجع سابق يشترك فيه مع المرسل ، بما يتيح لهما التواصل دونما تشويش والأمر نفسه بالنسبة للخطاب الكاريكاتوري الذي ينطلق من افتراضات سابقة لدى المتلقي تمكّنه من فهم الانزياحات الدلالية التي تحرك الصورة وتوجّهها نحو قصد مخصوص ، وعليه نستنتج أنّ الافتراض المسبق يُبنى على الخلفية الذهنية المشتركة بين الأطراف المتحاورة بغاية تحقيق تواصل اجتماعي ناجح .

ب- القول المضمر : Tacit statement

يختلف القول المضمر عن الافتراض المسبق بأنه ينتج عن تأويل الأقوال المنجزة فعلا ، للظفر بما يمكن أن تبوح به من دلالات ، في حين يرافق الافتراض المسبق عملية إنتاج الخطاب ويستشرف قدرة المتلقي على فهم الرموز والإيحاءات بالاحتكام إلى مرجعه اللغوي والمعرفي ، حيث يرتبط الافتراض المسبق بفعل التشفير ويرتبط القول المضمر بإزالة التشفير ، لأنّ القول المضمر هو "كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها ، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث "[2]، فلو قلنا مثلا : تأخّر الوقت ، سنتمكن من إدراك جملة من الإضمارات يحققها تسييق العبارة ، من قبيل : _ **سأذهب إلى النوم لأني أعمل باكرا** ، أو– **اعتذارك غير مقبول أو – انتشر المرض ولا جدوى من التدخل الجراحي**... وغيرها من الدلالات السياقية التي يمكن أن تتلون بها العبارة .

اللافت للانتباه غنى الخطاب الكاريكاتوري بالأقوال المضمرة ، لأنّ وظيفته تشريح الظاهرة ولفت الانتباه إليها في قالب ساخر بغاية نقدها وعلاجها ، ومادامت أدواته التبليغية محدودة ، فإنه يُحمّل رسومه وعباراته دلالات إضافية تتموقع في نسيجها الداخلي وتعمل على تخصيب معاني ضمنية يدركها المتلقي .

3- إجراءات التحليل التداولي لنماذج مختارة من الخطاب الكاريكاتوري :

تتميّز الرسوم الكاريكاتورية بالطرافة وبالقدرة على جذب انتباه القارئ ونقل الفكرة إليه والتعبير عن وجهة نظره بالرسم ، في شكل فكاهي يساعد على تكوين رأي عام ، فالحديث عن البعد التواصلي التفاعلي في الخطاب الكاريكاتوري يستحضر لا محالة

---

[1] : نادية رمضان مختار ، *الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي* ، مؤسسة حورس الدولية للنشر ، القاهرة ، جمهورية مضر العربية ، 2013 ، ص 104 .

[2] : ينظر حافظ إسماعيلي علوي ، *التداوليات – علم استعمال اللغة* ، 2011 ، *ص 44* .

فعل السخرية الذي يشترك فيه طرفا الخطاب ، باعتباره خطابا ساخرا يعمل على عرض الأفكار والوقائع بأسلوب مميز يثير الضحك ليحشد التأييد ويضمن الاقتناع ، والسخرية فيه تتجاوز الترفيه والإقناع وتكسر نمطية التواصل المباشر لتعالج الخلل الذي رصدته ريشة الفنّان أو على الأقل لفت انتباه المتلقي إليه ، فهي فعل إنجازي يؤدي معنى الإخبار مع الإنكار ، وهو صنف من الأفعال الإنجازية غير المباشرة التي تثير الضحك فضلا عمّا لها من تأثير في قناعات المتلقي ، لذا سنركّز أثناء قراءة الصور على تأثير السخرية في تبليغ المقاصد وفرض وجهات النظر .

لاحظ معي الصورة الأولى :

– اختار لها الرسّام عنوان : " **إجراءات جديدة لتسهيل الحصول على الفيزا تخص سفارات فرنسا ، إسبانيا ، ألمانيا** " ، وهو عنوان طويل شارح لمحتواه ، يتضمّن إعلان خبر يهمّ شريحة واسعة من المتلقين بخاصة الشباب الذين تستهويهم الهجرة إلى أوروبا ، حالمين بمستقبل أفضل من واقعهم ، حيث الوظيفة والمال والاستقرار .

يتضمّن هذا العنوان فعلا كلاميا يندرج ضمن الوعديات (حسب تصنيف سيرل)[1] تحقّقه عبارة : " **لتسهيل الحصول على الفيزا** " ، بمعنى الخبر الذي يتضمّن الوعد حسب قانون الاستلزام الحواري لغرايس ، وهو صنف من الأفعال الكلامية الاستلزامية التي تسرعّ ردود فعل المتلقي وتيسّر اقتناعه .

كما نلمح فعلا كلاميا مضمرا في عبارة "**إجراءات جديدة**" ... التي أصلها نعلن إجراءات جديدة ... أو نُقرّ إجراءات جديدة ... ، ويندرج ضمن صنف الإعلانيات ذات الطاقة الإنجازية القصوى التي تعد بتحقق تداولية الخطاب الذي ترد فيه .

– تحت العنوان نشاهد صورة مزدحمة بالأيقونات تمثّل مقرّا لاستقبال طلبات التأشيرة ، كُتب عليه بالفرنسية تأشيرات الاتحاد الأوروبي ، أمامه صف طويل من الأشخاص حاملين ملفات ، تبدو عليهم ملامح التقدّم في السّن (الصلع ، النظّارات الطبّية ، اللّباس) ، وكأنّ الرسّام يومئ إلى أنّ الشباب قد يئس من هذا المسلك القانوني الرسمي لطلب التأشيرة ، وقرّر الهجرة غير الشرعية عن طريق قوارب الموت .

[1] Sealer, J. : Edition de Mimiuit , Paris. *Sens et expression , trad Joellel Pruste.* p 49 .(1979)

– مفتاح قراءة هذه الصورة تجسّده الواقعة الحوارية التي دارت بين شخصين من شخصيات المشهد ، حيث قَدِم أحد الأفراد متأخرا راكضا وسأل شخصا في الطابور قائلا بالعامية : **ياك سويسرا ثاني هنا ؟** فأجابه الثاني : **لالا... سويسرا بلا فيزا ... شدّ بن عكنون – دالي ابراهيم ... راك ف لاسويس** .

تؤدي جملة السائل : **ياك سويسرا ثاني هنا ؟** معنى الاستفهام الذي غرضه التأكيد ، وهو يستند في سؤاله هذا على قرينة بصرية تُجسّدها لافتة عُلّقت على مقر طلب التأشيرات دُوّن عليه : تأشيرات UE اختصارا لعبارة Union Européenne ، وهنا نلمح استلزاما حواريا واضحا يفسّر سؤال المرسل الذي يعوّل على فهم مخاطبه ، حيث يتشاركان العلم بانتماء سويسرا إلى الاتحاد الأوروبي ، لذلك دلّ الاستفهام على معنى التأكيد وليس على معنى السؤال ، كما نلمح افتراضا مسبقا في هذا السؤال ، سببه أنّ السائل يفترض أنّ طلب تأشيرة سويسرا سيكون من المقر نفسه الذي تُطلب منه تأشيرات فرنسا وإسبانيا وألمانيا بحكم انتمائها جميعا إلى الاتحاد الأوروبي ، وهذا ما يفسّر مرّة أخرى الاستفهام الذي يؤدي معنى التأكيد .

– خرقت إجابة السؤال أفق انتظار السائل ، حيث قال المجيب : **لالا ... سويسرا بلا فيزا ... شدّ بن عكنون – دالي ابراهيم ... راك ف لاسويس** .

من الواضح أنّ هذه العبارة قد هشّمت قوانين الاستلزام الحواري والافتراض المسبق وقبلها قانون التعاون لبول غرايس ، فهل سيرهن هذا الجواب تحقّق تداولية هذه الصورة الكاريكاتورية ؟ أم أنّ الخرق والتهشيم جاء بغاية إعادة بناء الخطاب وفق تسنين جديد يُحمّل العبارة مقاصد ضمنية يقصدها المرسل وتُشكّل بؤرة المشهد و فكرته الرئيسية .

– يتبادل شخوص المشهد الأدوار ، حيث يتحوّل (السائل / المرسل) إلى متلقي ، ويتحول (المجيب/ المتلقي) إلى مرسل ، وكلّ منهما ينطلق من فضاء مرجعي يختلف عن مرجع مخاطبه ، ولولا الصورة وما يؤثثها من أيقونات لاستعصى فهم الطُرفة التي بُني عليها المشهد .

– يؤسس المرسل الجديد مستوى جديدا من التواصل يتجاوز المستوى التعييني المعطى مسبقا ليدجج خطابه بكمّ من الرموز والإيحاءات ، ويراهن –في الآن نفسه– على قدرة مخاطبه على فهم مقصوده الذي أسسه على لفظة : سويسرا ، التي تمثّل دولة من دول الاتحاد الأوروبي ، تحوّلت إلى أيقونة دالّة على الاستقرار والرفاهية والسلام والملاذ الآمن لرجال المال والأعمال ، وقِبلة يقصدها كل من ينوي تهريب أموال الدولة إلى بنوكها المضمونة ، وربما يكون سؤال الشخص الأول بريئا ومحايدا وينوي فعلا استخراج تأشيرة سويسرا ، لكن الإجابة المباغتة التي تستقر في الضمير الجمعي الجزائري جاءت على لسان الرجل الثاني الذي راح يصف له اتجاه أحياء حيدرة والمرادية ونادي الصنوبر ... التي توصف لدى الجزائريين – تجوّزا– بسويسرا ، لأنّ سكانها ينتمون إلى طبقة مخصوصة ويحظون بامتيازات لا تخطر على بال أبناء الشعب البسطاء كالنوادي والملاهي والقصور والسيارات الفارهة ، ونمط معيشة يضاهي بل قد يفوق ما نعرفه عن سكان سويسرا الحقيقية ، والمحزن في هذه الصورة أنّ الشباب يموت غرقا في البحر سعيا وراء مستقبل أفضل في أوروبا ، في حين تنعم طبقة من المتسلّقين والمنتفعين بثروات عظيمة مكّنتهم من استنساخ مستوى معيشي فاره يضاهي العيش في أوروبا .

خرق المرسل الثاني قانون التعاون ومبادئه الأربعة لغرايس ، الذي ينص على ضرورة تعاون أطراف الخطاب في إنجاح التواصل ، حيث جاءت إجابته مخالفة لمبادئ الكم والكيف والملاءمة والاتجاه ، وراح يوجّه الحوار وجهة ساخرة تنطوي على كثير من المعاني الضمنية ، وحتى يضمن انخراط مخاطبه في لعبة الإيحاء والترميز راح يؤسس تعاونا جديدا عبر رسم مسار أو اتجاه يألفه الجزائريون ويصطلحون عليه بسويسرا ، تمثّله الأحياء الراقية في العاصمة ، فسرعان ما سيدرك السائل الطُرفة التي يقصدها محاوره ، ويفهم النقلة

النوعية التي مارسها الخطاب ، من سؤال مغلق يستوجب إجابة محدّدة ، إلى سؤال مستفز تقابله إجابة موحية تبعث على التأويل ، والجدول الموالي يشرح آليات خرق مبادئ التعاون لبول غرايس :

المبدأ	ينص على	تحقّقه	تفسير خرقه
مبدأ الكم	– إفادتك على قدر حاجتك	– لم يتحقق	– الحاجة التعبيرية للمجيب تفيض عن مطلوب السائل وتخالف توقعاته .
	– إفادتك لا تتجاوز المطلوب	– لم يتحقق	– السؤال المطروح إجابته بنعم أو لا ، لكن الإجابة جاءت شارحة ومعلّلة وموضّحة الاتجاه .
مبدأ الكيف	– لا تقل ما لا تعلم خطأه	– لم يتحقق	– المجيب يعلم تقريريا أنّ إجابته خاطئة ، وأنّ طلب تأشيرتها يكون من مقر تأشيرات الاتحاد الأوروبي .
	– لا تقل ما ليس لك عليه دليل	– لم يتحقق	– كلام المجيب مرسل ، ولا دليل على وجود سويسرا في الاتجاه الموصوف .
مبدأ الملاءمة	– مناسبة المقام للمقال	– لم يتحقق	– يختلف مقام السؤال المتعلق بتأكيد فرضية أوردها المتكلم عن مقام الإجابة المتعلق بوصف اتجاه .
مبدأ الاتجاه	– احذر الالتباس	– لم يتحقق	– طُرفة المشهد تتأسس على الالتباس الذي حصل بين معنى السؤال ومقاصد الإجابة .
	– احذر الإجمال والتعميم	– لم يتحقق	– السؤال محدّد وواضح والإجابة حمّالة أوجه ومعاني
	– تكلّم بإيجاز	– لم يتحقق	– السؤال مغلق والإجابة مفتوحة .
	– رتّب كلامك	– تحقق	– الكلام مرتب شكليا ولا إشكال في نسقه .

من قراءة هذا الجدول نستنتج أنّ خرق مبادئ قانون التعاون لا يعني تهشيم التواصل أو استحالة تحقق الخطاب ، بل يعني أنّ المتحاورَيْن قد انتقلا إلى مستوى آخر من التواصل ، عن طريق تأسيس مبادئ جديدة للتعاون مبنية على امتلاكهما كفاية معرفية وثقافية مشتركة ، تسمح لهما بالتفاهم عبر قوانين الاستلزام الحواري والافتراضات المسبقة ... " لأنّ الجانب الأساسي في متابعة الظاهرة التواصلية عموما يتمثل بالضرورة في تفاعل الأطراف المشاركة ، فتدشين التواصل يعني تدشين نوع خاص من العلاقات التفاعلية "[1] ، وهذا ما يفسّر فهم المتلقي فكرة الصورة الكاريكاتورية التي تحبل بكثير من الإضمارات التي تستوجب فعل التأويل المتأسس على قرائن لسانية وأيقونية تشي بها الصورة ، لأنّ " المعوّل عليه في السخرية ليس هو الخرق وحده ولا القصد وحده ، وليس القصد الناتج عن الخرق ، وإنما هو الخرق الذي يؤدي إل القصد ، والذي ينبغي التأكيد عليه أيضا ، هو أنّ هذا الخرق ينبغي أن يكون سافرا وغريبا ، لأنّ سفور الخرق وغرابته هما ما يثير الضحك[2] ، وهذا ما تحقّق في الصورة التي بين أيدينا وحقّق تداوليتها .

---

[1] Ducrot, O. : Coggection *Dire et ne pas dire , Principes de sémantique linguistique , Hermann.* Savoir , (1972). p 02

[2] : عبد السلام إسماعيلي علوي ، *حدود الفهم : دراسات سيميو لسانية في تدبير الاختلاف* ، الدار التونسية للكتاب تونس ، 2019 ، ص 124 ,

أمّا متضمنات القول التي أمكن رصدها في هذه الصورة فقد ضمّنتها الجدول الموالي :

متضمنات القول	الصورة الكاريكاتورية
الافتراض المسبق	**في العنوان : – إجراءات جديدة ⟵ يعني ثمة إجراءات قديمة يعرفها المتخاطبان** **– لتسهيل الحصول على الفيزا ⟵ يعني الحصول على الفيزا صعب** **في السؤال :– ياك سويسرا ثاني هنا ؟ ⟵ يفترض السائل أن تُسحب تأشيرة سويسرا من المقر نفسه الذي تُسحب منه تأشيرات باقي دول الاتحاد الأوروبي رغم أنها لا تظهر على لافتة المقر في الصورة ، كما يفترض مسبقا إحاطة مخاطبه بالإجابة التي يتوقعها ، لذلك يُفهم من سؤاله معنى التأكيد وليس معنى الاستفهام .** **في الجواب : – لالا ، سويسرا بلا فيزا ، شد بن عكنون دالي ابراهيم ، راك في لاسويس** **⟵ يفترض السائل أنّ المجيب يسخر منه ، ثم يدرك المقصود بفعل التأويل** **⟵ يتشارك المجيب مع السائل مرجعا ثقافيا يجعله يفترض مسبقا فهمه للتسنين الحاصل في الرسالة .**
القول المضمر	**في العنوان : – صعوبة الحصول على تأشيرات دول الاتحاد الأوروبي ، ووعود بتسهيل الإجراءات من أجل زيادة الإقبال وتحقيق أرباح مادية طائلة ، فإيداع الملف يُرفق بدفع مبلغ مالي كبير لا يُسترد في حالة رفض الطلب ، الذي غالبا ما يُرفض .** **في السؤال : – تأشيرة سويسرا من أصعب التأشيرات في العالم ، وذلك سبب غياب مقر لها في المشهد ،رغم وجود مقر كُتب عليه الاتحاد الأوروبي ، لأنها صارت الوجهة المفضلة لرجال الأعمال ، فتضمّن السؤال سخرية وتهكّما من المواطن البسيط الذي يسلك هذا المسلك للحصول على تأشيرة VIP .** **في الجواب : بؤرة المشهد الكاريكاتوري وثمرته تكمن في إجابة السؤال الذي تضمّن مضمرات كثيرة سكت عنها الخطاب وفضحتها الرموز والإشارات ، ومن ذلك :** **– لا حاجة للسفر بغاية الاستمتاع ، فالمتعة كل المتعة في الأحياء الراقية بالعاصمة** **– طلب الرفاهية لا يستوجب طلب فيزا ، بل يكفي أن تكون من المرضي عنهم** **– ارتباط مفهوم الفساد في الجزائر بالنظام والدليل أنه ربط لفظة سريسرا بحيدرة والمرادية حيث توجد مقرات تسييير الدولة ....**

إنّ إكراهات العجز والمنع والحظر والتحريم ، وغيرها ممّا تفرضه سلطة ما خفية أو معلنة تضطرنا إلى أن لا نتواصل بطريقة مباشرة ، فنعمد إلى تكسير القواعد حين لا تتسع الأنساق ، ونعمد إلى خرق المبادئ حين لا تسمح السياقات ، وبهذا يمكن أن نتواصل باللغة رغما عنها[1] ، لهذا يلجأ رسّام الكاريكاتير إلى لعبة الترميز والتخفي وحمل مقاصده على أيقونات يدركها مخاطبه ، ليتحرّر من

[1] : عبد السلام إسماعيلي علوي ، *حدود الفهم : دراسات سيميو لسانية في تدبير* ، 2019 ، *ص 121* .

قيود الرقابة المفروضة على حرية التعبير في إعلام العالم الثالث ، خاصة إذا تعلّق الموضوع بفساد سياسي أو اقتصادي يملك أصحابه سلطة المنع التي قد تصل إلى القمع ، فيلجأ المرسل إلى فعل السخرية ليفضح ظواهر سلبية في المجتمع ، وهو أسلوب مشترك وسائد في فن الكاريكاتير عامة مهما تنوعت توجهاته وأنواعه ومدارسه ، غايته خلق هامش من الحرية يسمح للمبدع بنقد الظاهر السلبية في قالب ساخر يرفع عنه اللوم والمساءلة ، وهذا ما سنلحظه في المشاهد الكارريكاتورية الموالية .

الصورة الثانية :

تكتنز هذه الصورة الكاريكاتورية بدلالات متشابكة تقتضي حنكة تحليلية وإلماما بقضايا اجتماعية وسياسية تميّز المجتمع الجزائري ، كقضية الهجرة غير الشرعية عبر قوارب الموت أو ما يُعرف بالحرقة ، وقضية تعديل قانون الصحة لتشريع التبرّع بالأعضاء من الميت إلى الحي ، وقضية تزوير الانتخابات باحتساب أصوات المتوفين ضمن قوائم الهيئة الناخبة ...

تبدو هذه القضايا متنافرة ولا علاقة لبعضها ببعض ، لكن رؤية الرسّام المبدع استطاعت أن تجمعها في مشهد واحد يقطر ألما ، ويفضح سلوكات تصنّف ضمن خانة الجرائم فرضها منطق الفساد الذي عشّش في قطاعات مختلفة من المجتمع الجزائري ، فأصاب الجماهير العريضة بالقنوط والإحباط ودفعه إلى الانسحاب الكلي من الحياة السياسية .

يُقرأ هذا المشهد الكاريكاتوري قراءة سيميائية تحاور الرموز وتُؤوّل القرائن البصرية التي تؤثثه حتى تظفر بالدلالة الضمنية التي يوميء إليها ، فالكاريكاتير أثر فني يهدف إلى إثارة التأويل ، " والتأويل يعني شرح ، كي تحيل الكلمات في ذاتها على معاني دون معاني أخرى ، ويروم الإمساك بالمقاصد الأصلية للمؤلف "[1] .

يتصدّر المشهد عنوان واضح صريح اختاره الرسّام بعناية ليوجّه القراءة نحو دلالة يقصدها ، حيث كتب : **" يمكن للحكومة التصرّف في أعضاء الميت مالم يترك وصية "** : وهو عنوان صادم مستفز يثير حفيظة المتلقي ويدفعه إلى الاحتجاج والتذرع بقدسية

[1] : أمبرو إيكو ، *التأويل بين السيميائية والتفكيكية ، ترجمة وتقديم : سعيد بنكراد* ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب ، 2004 ، ص 23 .

الموت وحرمة الجسد ، ويفتح المجال أمام التأويل المفضي إلى دلالات الوصاية حتى على الأجساد ، أو تجارة الأعضاء المشبوهة ، أو مصادرة الحريات للأحياء وللأموات ... وغيرها من الدلالات الضمنية اتي يشي بها هذا العنوان .

تحت العنوان صورة واضحة قليلة الأيقونات لكنها دالّة بجلاء ، تُبرز جثة لفظتها أمواج البحر على الشاطيء وفي الخلفية مقر أو مبنى يشبه مراكز المراقبة المخصصة للشرطة أو الدرك ،كما يشبه إلى حدّ ما صناديق الاقتراع ... ينبعث منه صوتان متحاوران ، **يقول الأول** : **"ما عندك ما تخرّج منو!"** ، **فيجيب الثاني** : **"سي ... صوتو !"**، وكأنّ الجثة غنيمة يمكن الانتفاع بأعضائها ، ولكن في حالة الغريق يصعب ذلك لأنّ مكوث الجثّة في الماء مدّة طويلة يتلف كل أجهزتها الحيوية ، ويجعلها غير صالحة لإعادة زرعها والاستفادة منها ، ورغم ذلك يصرّ الصوت الثاني في الخلفية على أنها لا تخلو من فائدة عندما قال :**"سي ... صوتو !"** **"سي"** بمعنى **"بلى"** وهو حرف جواب يقع بعد النفي فيجعله إثباتا ويفيد الاختصار ، أمّا لفظة **"صوتو"** فلا تحتاج من المتلقي كبير عناء حتى يدرك أنّ المقصود منها هو الصوت الانتخابي وليس الصوت البشري المادي ، وهنا نسجّل خرقا واضحا لمبادئ قانون التعاون لبول غرايس ، حيث توقع المحاور الأول أن يصدّق محاوره على قوله باستحاله الاستفادة من جثة الغريق ، لكن الإجابة خرقت أفق انتظاره وأخذته إلى مستوى آخر من التلقي يستلزم تأويل الملفوظات ضمن مقام آخر يتجاوز المقام الذي قيلت فيه الجملة الأولى : **" ما عندك ما تخرّج منو ! "** ليناسب القصد المضمر الذي يومئ إليه المحاور الثاني عندما قال : **" سي ... صوتو !"** قاصدا صوته الانتخابي ، والخرق هنا وقع أساسا في مبدأ الملاءمة ، أي ملاءمة المقال للمقام ، فالجملة الأولى تخدم مقام الاستفادة من أعضاء الجثة (بطريقة شرعية عن طريق التبرع أو بطريقة غير شرعية عن طريق الاتجار) ، أمّا الجملة الثانية فتناسب مقام التزوير الانتخابي باحتساب أصوات المتوفين .

بؤرة المشهد أو لحظته الحرجة تكمن في دلالة الحوار المنبعث من مركز المراقبة ، ولو حذفنا النفي الحاصل في القول : " ما عندك ما تخرّج منو !" سنجد أنّ الجثة أصبحت مستباحة ويمكن للوصاية التصرّف في أعضائها وفق منطوق قانون الصحة الجديد[1] ، لكن مياه البحر أتلفت هذه الجثة ، ولم يبق منها إلاّ صوتها الانتخابي حسب تأويل الأيقونات التي تؤثث هذه الصورة الكاريكاتورية ، والتي يمكن أن تقودنا إلى القراءات الآتية :

[1] : حوار إذاعي على قناة البهجة مع وزير الصحة والسكان وإصلاح المستشفيات عبد المالك بوضياف (2014) ، عنوان الحوار قانون الصحة الجديد يقنن زرع الأعضاء والنشاط التكميلي ، بثت الحصة بتاريخ 14 جويلية 2014 ، تمّ الاطلاع على أرشيف الحصة بتاريخ 2020/08/02 .

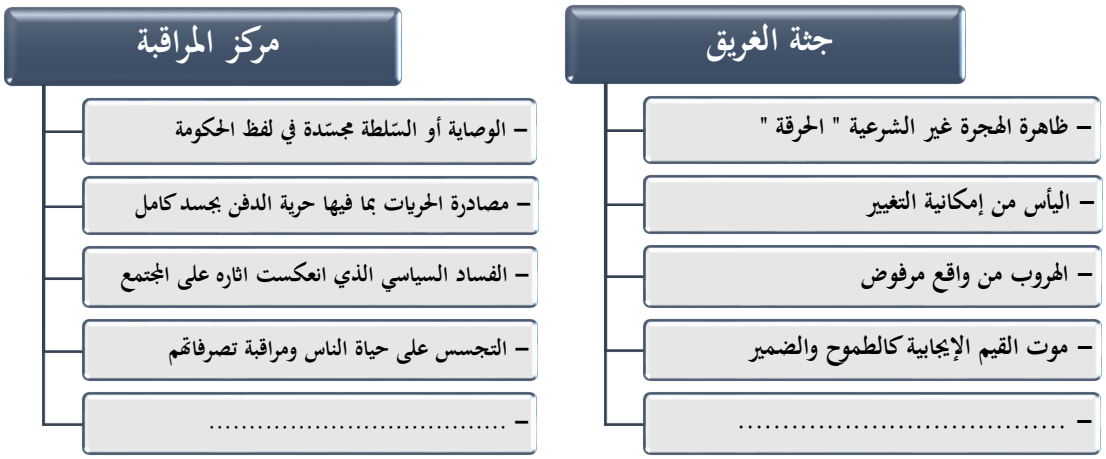

تجعلنا هذه الانزياحات الدلالية نتجاوز الدلالات التعيينية للعلامات الموظفة في المشهد الكاريكاتوري لنظفر بالمقاصد المضمرة التي تبطنها الصورة ويلمّح إليها الرسّام ، وهو مستوى عميق من التلقي يمكّن القارئ من الوقوف على الأقوال المضمرة التي سكت عنها الخطاب وفضحها التأويل الواعي الذي يرتكز على قرائن بصرية في الصورة ، ومن الأقوال المضمرة التي قد تنفسح عنها هذه الصورة ما يحويه الجدول الموالي :

القرائن اللسانية والأيقونية	الأقوال المضمرة
العنوان : " يمكن للحكومة التصرّف في أعضاء الميت مالم يترك وصية " . **الصورة : جثة الغريق + مركز المراقبة** **الحوار : يقول الأول : "ما عندك ما تخرّج منو!" ، فيجيب الثاني : "سي ... صوتو !" .**	**– التزوير الانتخابي باحتساب أصوات المتوفين وعدم غربلة قوائم الهيئة الناخبة عند كل موعد انتخابي جديد .** **– الشبهات التي تحوم حول قانون الصحة الجديد المتعلقة بالتصرّف في الأعضاء الحيوية للمتوفين .** **– التضييق على الحريات والمراقبة اللصيقة التي تمارسها الوصاية على الأفراد والجماعات وعلى الأحياء والأموات .** **– الفساد الذي عشّش في كافة قطاعات المجتمع وأصاب الشباب بالقنوط واليأس من إمكانية التغيير .** **– الهجرة غير الشرعية التي تفضح وضعا مأساويا يتساوى فيه الموت والبقاء في أرض الوطن لدى شباب آثر المغامرة بحياته أملا في مستقبل أفضل من واقعه .**

وجب أن نلفت انتباه القارئ إلى أن هذه التأويلات ماهي إلاّ قراءة خاصة في أيقونات الصورة ، تُغذيها مرجعيات المحلّل ورؤيته الشخصية للأحداث ، ولن تكون نهائية ولا يقينية لأنها تقوم على الممكن والمفترض وتحكمها قناعات القارئ وفهمه لما تحيل عليه العلامات اللسانية والأيقونية في الخطاب ، وهذا ما يفسح المجال أمام تعدّد القراءات وانفتاحها على تأويلات جديدة تقرأ المشهد من زوايا مختلفة ، على أن تلتقي هذه القراءات المتنوعة عند مقاصد المرسل التي تأسّس عليها الخطاب وقد تتجاوزها إلى دلالات سياقية يُمليها المقام لذي أُنتج ضمنه .

الصورة الثالثة :

تشكّل هذه الصورة الكاريكاتورية خطابا سياسيا ساخرا يعبّر عن الأزمة السياسية التي عايشتها الجزائر خلال سنة 2019 ، اختار لها الرسّام عنوانا صادما ليعبّر عن الوضع الحرج الذي مرّت به بلادنا ، ومازالت تبعاته قائمة إلى يومنا هذا ، العنوان هو : " **الفراغ الدستوري** " ، وهو مصطلح سياسي يعبّر عن " مرحلة من أخطر المراحل التي قد تمرّ بها الدول بسبب تعطّل مرجعيتها الدستورية ، وتعطّل كافة الآليات الدستورية لإدارة عملية نقل السلطة بسبب غياب أي نص قانوني أو مخرج دستوري سليم لحلّ مسألة الشغور الرئاسي وما يترتّب عنه من عرقلة عمل مؤسسة الرئاسة والحكومة والمجلس الدستوري والسلطة القضائية والبرلمان بسبب غياب نص دستوري يحدّد طريقة تسيير الدولة حال فراغ السلطة ، وله آثار سلبية للغاية على نتيجة غياب أي أثر قانوني للقرارات الصادرة عن السلطة التنفيذية أو التشريعية أو القضائية"[1] وهو وضع خطير سعى إليه طيف من أطياف الشعب الجزائري خدمة لأجندات معيّنة ، وتمهيدا لدخول البلاد في مرحلة انتقالية غير مضمونة العواقب لولا القرارات الحازمة التي طبّقتها المؤسسة العسكرية وأفضت إلى انتخابات رئاسية بتاريخ 2019/12/12 .

بعد الاستفاضة في شرح مفهوم الفراغ الدستوى ، بدا جليا ذلك الخلط الذي وقع فيه الرسّام بين مفهومي الفراغ الدستوري والشغور الرئاسي (بغض النظر عن عفويته أو قصديته) ، إذ تندرج الصورة تحت عنوان الفراغ الدستوري ، لكنها تعبّر بجلاء عن قضية شغور منصب رئيس الجمهورية بسبب الاستقالة أو الموت أو العجز ، والشغور لا يفضي بالضرورة إلى الفراغ الدستوري الذي يُعدّ وضعا استثنائيا للغاية ينتج عن تعطّل عمل كافة مؤسسات الدولة وليس مؤسسة الرئاسة فقط ، وما يؤكد هذا الطرح الحوار الدائر بين

[1] : محمد لخضر حرزالله ، *الفراغ الدستوري ظاهره فيه الرحمة وظاهره من قبله اعذاب ، مقال إلكتروني تمّ نشره سنة* (2019) ، و تمت زيارة الموقع بتاريخ 02/ 2020/08 ، الموقع : https://www.sasapost.com/opinion/constitutional-absence-in-algeria/

- 2019 .

شخوص المشهد وهما رجلان : أحدهما شيخ مسنّ يحمل عصا ويرتدي زيّا تقليديا ، والثاني شاب جاثم على ركبتيه يرتدي ملابس عصرية ، دار بينهما الحوار الاتي :

" الشيخ : قالك رانا بلا رايس – الشاب : ما تقوليش مبولحي تبليسا "

الاستلزام الحواري في المشهد : أنتجت عبارة الشيخ المنفعل : **" رانا بلا رايس "** استلزاما حواريا مردُّه إلى خروج العبارة عن معناها الحرفي المتعلّق بخوفه من شغور منصب رئيس الجمهورية وما يترتّب عنه من مخاطر إلى معان مستلزمة حواريا حدّدها مقام المشهد الكاريكاتوري دليله ردّ المتلقي:**"ما تقوليش مبولحي تبليسا "** وتفسير ذلك أنّ طرفي الخطاب ينتميان إلى مرجعين مختلفين ، وتحركهما هواجس ودوافع متباينة ، ففي حين يهتم الكهول والشيوخ بالمصير الذي ستؤول إليه البلاد في وضع الشغور والفراغ ، نرى الشباب يلتف بلهفة وترقّب حول فريقه الوطني لكرة القدم باعتبارها متعته الوحيدة ، لاسيما أنّ الأحداث السياسية الدائرة في الجزائر في تلك الفترة قد تزامنت مع منافسات كأس إفريقيا للأمم ، وتفسير الاستلزام الحواري في هذه الواقعة التواصلية متعلّق بلفظة **" رايس "** التي تؤدي معنى المنصب أو الوظيفة " وظيفة رئيس الجمهورية "عند المرسل لكنها استدعت معنى اسم العلم " رايس مبولحي " لدى المتلقي ، بما يفسّر إجابته غير المتوقعة :**"ما تقوليش مبولحي تبليسا "** ، لهذا تنص مقولة أحوال المتخاطبين في المقاربة لتداولية للخطاب على ضرورة انتماء طرفيه إلى مرجعين متفاربين يضمنان تأطير لرسالة ومنع التشويش عنها .

خرق قانون التعاون لغرايس : سبقت الإشارة في موضع متقدّم من هذا المقال إلى أنّ قانون التعاون لبول غرايس ينص على أنّ نجاح الخطاب وتحقّق تداوليته مرهون بتعاون طرفيه في أداء وظائفهما التي يُفترض فيها التكامل ، وأنّ أي خرق لمبدأ من مبادئه الأربعة سيترتب عنه استلزامات حوارية تنقل الخطاب إلى مستوى آخر من التلقي يراعي تغيّر مقامه ، بما يعصمه من الاستحالة وعدم التحقّق ، وفي الصورة التي بين أيدينا تمّ خرق قانون التعاون بمادئه الأربعة ، ما أفرز استلزامات حوارية نقلت طرفي الخطاب إلى مستوى جديد من التفاعل ، يتجاوزان فيه المستوى التعييني التقريري للخطاب ، إلى مستوى أعمق من التلقي يُحتكم فيه إلى السياق الثقافي لفهم المقام الذي تدور فيه أحداث المشهد الكاريكاتوري ، والجدول الموالي يشرح آليات الخرق وما ترتّب عنها من دلالات إضافية هي خلاصة سلسلة من الاستلزامات الحوارية التي تحقّقت جرّاء تحميل الأنظمة الإشارية في الصورة بإيحاءات تومىء إلى مقاصد مضمرة يسكت عنها خطاب الصورة .

المبدأ	ينص على	تحقّقه	تفسير خرقه
مبدأ الكم	– إفادتك على قدر حاجتك	– تحقق	– العبارات موجزة وواضحة وتعبّر عن مقاصد الرسّام في العنوان ، وعن غايات المتحاورين في الحوار ، دون أن تفيض عن حاجاتهم التعبيرية .
	– إفادتك لا تتجاوز المطلوب	– تحقق	– جمل الحوار موجزة دالّة وكذلك جملة العنوان ، بل قد تستوعب مزيدا من الشرح حتى تؤدي المطلوب .
مبدأ الكيف	– لا تقل ما لا تعلم خطأه	– لم يتحقق	– ثمّة مغالطة معرفية في هذه الصورة جعلت الرسّام يخلط بين الفراغ الدستوري والشغور الرئاسي .

	– لا تقل ما ليس لك عليه دليل	– لم يتحقق	– الأخبار الواردة في العنوان وفي الحوار لا دليل عليها ، فهي كلام مرسل والحجة من كلام الشيخ عندما استعمل عبارة " قالك ..." التي تفيد رواية الخبر المتواتر دونما دليل ، كما هي الحال في نشر الإشاعات .
مبدأ الملاءمة	– مناسبة المقام للمقال	– لم يتحقق	– بؤرة المشهد وطُرفته تتأسّس على خرق هذا المبدأ إذ يؤسّس المرسل خطابه على مقام سياسي تتأصّل مرجعيته لدى كل متلق جزائري ، ثم يخرقه بكلام دخيل يخدم المقام الرياضي ممثلا في المحاور الثاني غايته من هذا التشكيل مفاجأة المتلقي وكسر توقعاته ورسم بسمته بعد ضمان فهمه النقلة الدلالية الحاصلة
مبدأ الاتجاه	– احذر الالتباس	– لم يتحقق	– مثار السخرية وإثارة الضحك في هذه الصورة تعلّق بالالتباس الذي حصل بين المقام السياسي ممثلا في العنوان وكلام الشيخ والمقام الرياضي ممثلا في كلام الشاب محاور الشيخ .
	– احذر الإجمال والتعميم	– تحقق	– مقصود الكلام واضح ومباشر ويفهم من السياق اللساني للعبارة .
	– تكلّم بإيجاز	– تحقق	– الجمل موجزة ومعبّرة .
	– رتّب كلامك	– تحقق	– الكلام مرتب شكليا ولا إشكال في نسقه .

تجعلنا القراءة الواعية في متن الجدول السابق ندرك أن خرق بعض مبادئ قانون التعاون لغرايس وتحقّق مبادئ أخرى لا ينسف الواقعة التواصلية ، ولا يرهن تحقّق تداولية الخطاب ، ولا يقلّل من حظوظ الفهم والإفهام ، وإنما يُنتج استلزامات حوارية تنقل طرفي الخطاب إلى مستوى آخر من التعاون يفرضه المقام الجديد الذي أحدث فعل الخرق ، غير أنّ هذه النقلة النوعية تستوجب امتلاك المتحاورَيْن مرجعَيْن معرفيَيْن متقاربَيْن يضمنان توفر افتراضات مسبقة تَعِد بفهم مقاصد الخطاب سواء كانت مباشرة أم مضمرة .

متضمنات القول في هذه الصورة :

سبقت الإشارة إلى أنّ متضمنات القول تشتمل على افتراضات مسبقة وأقوال مضمرة ، وأنّ حسن الفهم مرهون بالانطلاق من الأولى لإدراك الثانية ، لأنّ اشتراك المتخاطبين في الافتراضات المسبقة حول موضوع الخطاب هو ما تتأسّس عليه عملية التشفير وإزالة التشفير وبالتالي نجاح الخطاب ، وعليه يمكن اختصار الافتراضات المسبقة وعلاقتها بالعبارات التي تدلّ عليها في هذه الصورة الكاريكاتورية في النقاط الآتية :

- (الفراغ الدستوري) ⟵ مرض الرئيس بوتفليقة وعجزه عن أداء مهامه الدستورية
- (رانا بلا رايس) ⟵ حالة العشوائية السياسية والتدهور الاقتصادي والاجتماعي
- (ما تقوليش مبولحي تبليسا) ⟵ القاسم المشترك في فرحة الشباب الجزائري هي كرة القدم، كما يمكن تأويل الأقوال المضمرة في هذا المشهد معتمدين على القرائن اللسانية والبصرية الواضحة في الصورة على النحو الآتي :

العبارة	القول المضمر الذي تحيل إليه
– الفراغ الدستوري	**– حالة التخبّط والفوضى في أعلى هرم السلطة** **– ثمّة من يتربّص سوءا بالبلاد داخليا وخارجيا** **– تعمّد إدخال البلاد في وضع غير دستوري تمهيدا لمرحلة انتقالية**
– رانا بلا رايس	**– حالة الشغور الرئاسي (وفاة الرئيس بوتفليقة أو عجزه)** **– غياب سياسة رشيدة لتسيير البلاد وتولي من يرفضهم الشعب** **– فوضى عارمة تعمّ كافة القطاعات السياسية والاقتصادية ...**
– ما تقوليش مبولحي تبليسا	**– ذروة المشهد ومقصده الأساس يتمثل في عزوف الشباب عن الوضع السياسي الخطير في البلاد جرّاء فقدان الثقة في إمكانية تغيير حقيقي يحسّن أوضاعه الاجتماعية ، وتعلّقة بمتعته الوحيدة في بلده وهو فريقه الوطني لكرة القدم ، فالانسحاب واللامبالاة هي أسوء أنواع اليأس .**

سعى هذا المقال إلى إلقاء الضوء على واحد من الخطابات الفاعلة في الساحة الثقافية المحلية والعالمية وهو الخطاب الكاريكاتوري السياسي الذي صار واحدا من أقوى أساليب التعبير والنقد بعدما كان وسيلة للترفيه والإضحاك ، فهو ينتهج النقد اللاذع والسخرية من الأنظمة السياسية والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية عامة ... باعتباره لغة كونية تتجاوز الكلمات والجمل كما تتجاوز التعبير المباشر إلى التعبير غير المباشر ، ساعيا إلى تعرية الواقع وإزالة الأقنعة لاستجلاء الحقائق وكشف مكامن الدّاء . تشترك الصور التي اخترناها عيّنة تطبيقية للدراسة في عمق الطرح بأقل الوسائل التوضيحية ، ودقّة عناوينها التي تُعدّ مفاتيح قراءة الصورة ، كما أنّ حواراتها مقتضبة وتعبّر في مجملها عن هموم المواطن الجزائري ، وتتكئ على الدلالة الرمزية التي تعدّ النسق الذي يعتمده الفنّان باقي بوخالفة في رسومه التي تجمع بين بساطة الأسلوب وعمق الطرح ولذاعة السخرية الناقدة ، لذا بات معروفا لدى الجميع أهمية دراسة هذا النمط من الخطابات المعنية بقضايا المجتمع ، ومقاربته مقاربة سيميائية تداولية تطارد الدلالة في كافة تمظهراتها ، وتستجلي أبعاده التواصلية لفهم استراتيجيات التفاعل بين أقطابه .

المحاضرة الثانية عشر: ممارسات تطبيقية:3/ المقاربة التداولية للخطاب التعليمي

يعدّ الخطاب التعليمي ممارسة تواصلية تحصل بين طرفين متفاعلين يسعى أحدهما إلى التأثير في الآخر عبر سلسلة من الاستراتيجيات العقلية والنفسية والمعرفية والتداولية ... فحتى يتمكّن المعلم من تبليغ مقاصده وتحقيق غاياته عليه أن يحسن اختيار المداخل الإقناعية التي تضمن له تحقيق تداولية خطابه، كمراعاة الظروف المقامية التي تجري ضمنها الممارسة الصفية، والاهتمام بأحوال مخاطبيه، وتسطير برنامج حجاجي رصين يضمن تركيز المتعلم وينهي ارتباكه ويسرّع ردود أفعاله، دون أن يُغفل تأثير الأفعال الكلامية ذات الطاقة الإنجازية التي تحوّل الأقوال إلى أفعال... وغيرها من المرتكزات التداولية التي يؤدي حسن استثمارها إلى تحسين الكفاية التواصلية لدى المتعلمين، لذا تسعى هذه الورقة البحثية إلى إبراز إمكانية الاستفادة من إسهامات اللسانيات التداولية في تطوير الكفاية التواصلية لدى متعلم المرحلة المتوسطة من خلال نشاط التعبير الشفوي الذي اخترته عيّنة تطبيقية لهذه الدراسة، فكيف يمكن الاستفادة من محاور اللسانيات التداولية في تطوير مناهج تعليمية اللغة العربية؟ وهل يمكن تأهيل بعض المقاربات التعليمية المعتمدة فعلا في الجزائر –شأن المقاربة بالكفايات والمقاربة النصية – لتناسب التوجه اللساني التداولي الحديث؟ وما هي المقولات التداولية التي يمكن اعتمادها أثناء الممارسة الصفية لتحسين الكفاية التواصلية للمتعلمين؟

إنّ عناية اللسانيات التداولية بالبعد التواصلي للغة، واشتغالها بالسياق الذي تنتقل ضمنه الرسالة بين متخاطبَيْن متفاعلَيْن يسعى أحدهما إلى التأثير في الآخر، يجعلها قادرة على تحسين مردود التعليم باعتباره واقعة تواصلية بامتياز، يسعى المعلم فيها إلى تبليغ مقاصده التعليمية إلى عيّنة دارسة، ضمن مقام تعليمي يُعدّه مسبقا مع مراعاة حالاتهم النفسية واستعداداتهم العقلية، ويمارس كافة أنواع الحجاج والاستمالات العاطفية والعقلية للظفر باقتناعهم وتعزيز دافعيتهم، مع تدريبهم ووضعهم ضمن بيئات افتراضية تحاكي المحيط الذي يعيشون فيه، ليضمن لهم حسن التأقلم والقدرة على حلّ المشكلات التي تصادفهم في الواقع، فيتحول التعليم من مجرد استهلاك للمعارف إلى استثمار لها، تمهيدا إلى تحقيق طموح التعليمية الأسمى وهو الانتقال الآمن من التعليم إلى التعلم، وهو طموح مشروع وممكن التحقق إذا انتقلنا من التفكير في المحتويات المعرفية إلى الاشتغال على المقاربات الوظيفية، التي تهتم بالتفاعل الإيجابي وتشجع التعليم النشط والتعليم التعاوني... وغيرها من الطرائق التعليمية الحديثة التي تتأسس على محورية المتعلم في العملية التعليمية، وتعمل على تنمية الكفاية التواصلية لديه، لاعتقادها الراسخ بأنه السبيل الأمثل لتطوير قدراته.

وقبل تفصيل الحديث عن المرتكزات التداولية الواجب اعتمادها أثناء الممارسة الصفية نظريا وتطبيقيا وجب ضبط مصطلحات الدراسة ومفاهيمها، بالنظر إلى جدّة المقاربة التداولية من جهة، وحداثة استثمارها في حقل تعليمية اللغة العربية من جهة ثانية.

1. المقاربة التداولية:

شكّلت اللسانيات التداولية رد فعل طبيعي على انكفاء التوجه البنوي على البنية اللسانية وفصلها عن كافة مسوغات إنتاجها، وكذا تعنّت التوجه التوليدي التحويلي الذي أصرّ على استقلالية التركيب وبالغ في الاهتمام بتفسير الظاهرة اللغوية عقليا، وأغفل الجانب الاستعمالي الذي تلقّفته التداولية وجعلته موضوع فرع معرفي جديد اصطلح عليه باللسانيات التداولية.

تُعنَى اللسانيات التداولية " بأي إنتاج لغوي منظور إليه في علاقته بظروفه المقامية وبالوظيفة التواصلية التي يؤديها في هذه الظروف "[1]، وبآليات تخصيب الدلالة بين طرفي الخطاب، ويشمل ذلك كافة مظاهر التواصل العفوي أو الرسمي بما فيها الخطاب التعليمي موضوع بحثنا، وظهر هذا الفرع اللساني الحديث في سبعينيات القرن العشرين، عندما باتت الحاجة مُلحّة إلى العناية بالجانب التواصلي للغة، بعدما أغفلته التوجهات البنوية ردحا من الزمن، حيث أقر فلاسفة اللغة أمثال أوستين Austin، وسيرل Searle، وغرايس Grice* ضرورة تجاوز البنية اللسانية للغة إلى ظروف تحقّقها الفعلي في واقع الاستعمال، مع حتمية مقاربة الظاهرة اللسانية مقاربة تداولية تعنى بأحوال المتخاطبين، وبمقاصد الخطاب، وبالمقام الذي تتحقق فيه، وببعده الحجاجي التأثيري ، دون إغفال وظيفة الأفعال الكلامية التي تدعم الحجاج وتضمن التأثير، (غايتها شرح وضعية التواصل وسياقه، وفتح أبواب البحث في ما لم يُقَل، ودراسة الضمني في الخطاب)[2]، لأنها تقترب من الخطاب في علاقته بمرسله ومتلقيه لترصد قوانين التخاطب وتكشف شروط نجاحه أو تبرّر ملابسات إخفاقه، وهذا ما يجعل المقاربة التداولية صالحة لمعاينة العملية التعليمية – التعلمية، فالمعلم يبلّغ ويفسّر ويسأل ويحاجج ليقنع، والمتعلم يتفاعل بالإجابة والسؤال وحتى الحجاج ليبرّر موقفا أو يشرح رأيا، وغيرها من المواقف التواصلية المتكررة التي تحتاج إلى إعداد مسبق يرتكز على فهم أن اللغة هي نسق من العلاقات المجردة: الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية والدلالية والتداولية، ونجاح تعليمها وتعلّمها مرهون بالاعتناء بوظيفتها التواصلية وبعدها التأثيري، لذا يجب أن تُبنى المناهج التعليمية في ضوء رؤية تداولية عميقة تكرّس مبدأ الوضع والاستعمال، وتعوّل على قوانين بناء الخطاب وحسن تلقيه، كنظرية أفعال الكلام لأوستين وسيرل، وقانون التعاون** لبول غرايس بمبادئه الأربعة: الكمية والكيفية والملاءمة والاتجاه، وقوانين الاستلزام الحواري والاقتضاء ... التي تضمن تبليغ المقاصد إذا ما أحسن المعلم توظيفها في بناء درسه.

([1]): أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية – بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب ط1، 2001، ص 17

*** : لم تصبح التداولية مجالا معرفيا يعتد به في الدرس اللغوي المعاصر إلاّ في العقد السابع من القرن العشرين، بعد أن قام بتطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى جامعة أوكسفورد وهم جون أوستين وسيرل وغرايس ، حيث انصبّت اهتمامات هؤلاء الباحثين حول دراسة استعمال اللغة عوضا عن دراسة اللغة ، وزادت عنايتهم بقواعد التخاطب ومبادئ التعاون الحواري ومنطق التأدب، كل ذلك جاء تيسيرا لعملية التواصل في ظل اللغة الطبيعية ومقتضيات الأحوال ... ينظر : محمد مدور، نظرية الأفعال الكلامية بين التراث العربي والمناهج الحديثة – دراسة تداولية، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المركز الجامعي بغرداية، العدد 16 / 2012 ، ص 48.**

([2]):Voir : Gilles Siouffi et Van Raemdonk , 100 fiches pour comprendre la linguistique, Bréal , Rosny , Novembre , 1999 , p 51 .

**** : (يقضي قانون التعاون بأن يتعاون المتحاورون في تحقيق الغاية من حوارهم، وفهم تلك الإضمارات الحوارية المكنونة في بعض الخطابات، حتى يتمكنوا من الوقوف على المعنى المقصود في التداول الفعلي، حيث يتفرّع هذا المبدأ إلى أربع قواعد أساسية هي:**

قاعدة الكم التي تنص على أن تكون الإفادة على قدر الحاجة وأن لا تتجاوز الإفادة الحدّ المطلوب، وقاعدة الكيف التي تشترط عدم قول ما لا يُعلَم خطأه، وعدم قول ما لا دليل على صحته، وقاعدة الملاءمة التي تشترط مناسبة المقال للمقام، وقاعدة الاتجاه التي تحذّر من الالتباس والإجمال والتعميم، وتحثّ على إيجاز الكلام وترتيبه)

ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–المغرب، 1998، ص 238

2. الكفاية التواصلية : La compétence communicative

عرّف اللسانيون[1] الكفاية اللسانية " La compétence Linguistique " بأنها مجموع المعارف الكامنة في ذهن الإنسان تمكّنه من إنتاج الجمل وفهمها، وهي ذات طبيعة مجردة نستدل على وجودها بالإنجاز "La performance "، الذي يعرّف بأنه التجسيد الفعلي لجانب من جوانب تلك الكفاية في مقام تواصلي محدّد، أمّا المقصود بالكفاية التواصلية هو امتلاك الفرد قدرة على استعمال النظام اللغوي بنجاح قصد تبليغ أغراضه والتعبير عن مقاصده، وهي ليست مركوزة في الإنسان بالولادة، إنما يكتسبها وينمّيها تباعا من خلال المواقف التواصلية التي يتواجد فيها، والحق أنّ نعوم تشومسكي Chomsky Noam من أوائل اللسانيين الذين اهتموا بالكفاية اللغوية وأولوها عنايتهم، غير أنه أغفل مفهوم الإنجاز وما يترتب عنه من وظيفة تواصلية تنهض بها اللغة، ما جرّ عليه نقدا لاذعا ترتّب عنه ازدهار التوجّه التبليغي التواصلي مع ديل هايمس Hymes Dell الذي أسس لمفهوم جديد أصطلح عليه بالكفاية التواصلية La compétence communicative ، وعرّفها قائلا:" تتيح الكفاية التواصلية للمتعلم معرفة متى يتحدّث ومتى لا يتحدّث ؟ وعن أي شيء يتحدث؟ ومع من يتحدّث؟ حتى يصبح طرفا فاعلا في النشاط اللغوي، كما يتمكن من تقييم الكيفيات الأدائية لهذه الأنشطة اللغوية "[2]، فما أشبه هذا التعريف بالأسئلة التي تطرحها التداولية في مقاربتها للخطابات من قبيل: من يقول؟ لمن يقول؟ كيف يقول؟ وبأي تأثير؟، ثمّ إن ميزته تكمن في تعلّقة بالمتعلم ورصد سلوكه التواصلي داخل القسم.

تتعلّق الكفاية التواصلية بالقدرات الذهنية الكامنة: كالحدس والذكاء والإدراك والدافعية والذاكرة... كما هي الحال عند التوليديين، وبأشكال إنجازها أو كيفيات تحقّقها ضمن مقام اجتماعي محدّد، كما هي الحال عند التداوليين الذين تجاوزوا مفهوم البنية اللسانية وآليات توليدها وارتباط مستوياتها من منظور التوجهات البنوية والتوليدية التحويلية؛ إلى البحث في بعدها الوظيفي وتجلّيها في واقع الاستعمال ضمن سياقات اجتماعية لأن التواصل هو ربط للبنية اللسانية بواقع الاستعمال.

والواقع أنّ جل الطرائق التعليمية القديمة أسهمت في ضعف الكفاية التواصلية لدى المتعلمين، لأنها منحت مركزية العملية التعليمية التعلمية للمعلم، وقلّدته مهام التبليغ فاحتكر وظيفة المرسل، واكتفى المتعلم بدور المتلقي السلبي، يضاف إليها المبالغة في الاهتمام بالكم المعرفي على حساب ميول المتعلم وطاقاته الإدراكية والفروق الفردية التي تميّزه عن أقرانه ، وغيرها من العوامل التي أسهمت في صرف نظره عن الرغبة في التحصيل إلى أن ظهرت مقاربات تربوية جديدة ذات أبعاد وظيفية وتوجهات تفاعلية تنادي بانفتاح المدرسة على المجتمع وإعادة الاعتبار إلى دور المتعلم في تسيير الدرس وتشجيع التواصل والتفاعل المنتج، غايتها تخريج أفراد أسوياء يملكون حصيلة معرفية، وعُدّة منهجية، وكفاية تواصلية، تمكّنهم من حل المشكلات التي تواجههم في محيطهم وفي مقام

---

(3) : عرّف نعوم تشومسكي الكفاية اللغوية قائلا: " من الواضح أن نعتبر الكفاية اللسانية معرفة باللسان كنظام مجرّد متضمن في الإنجاز ومكوّن من قوانين تسمح بتحديد الشكل والمعنى الأصلي لعدد غير منته من التراكيب الجملية " .

Voir : Chomsky Noam : Le langage et la pensée, traduit par Louis Jean Clavet , petite bibliothèque, Payot , Paris , 1986, p 106

)[2](: Voir : Hymes Dell : Vers la compétence de communication , traduit par Louis Jean Clavet , petite bibliothèque, Payot , Paris , 15 /11/ 1984, p 74.

هذه الدراسة سأختبر جدوى استثمار المقاربة التداولية في تحسين الكفاية التواصلية لدى متعلم المرحلة المتوسطة، مرتكزة على أهم مقولاتها :كنظرية أفعال الكلام ، والنظرية الحجاجية ،وأحوال المتخاطبين في علاقتها بالنظرية السياقية.

3.1 : المرحلة المتوسطة :

اشتُقَ اسمها من الموقع الذي تحتله بين مرحلتي الطفولة والنضج الجسمي والعقلي، لأنها تتوسط المرحلتين الابتدائية والثانوية من التعليم العام، وفيها تبرز ميول المتعلمين وتتطور مداركهم استعدادا للانفتاح على الحياة الاجتماعية ولعب دور إيجابي فيها، وكثيرا ما توصف هذه المرحلة التعليمية بالحرجة، لأنها تتزامن مع سنّ المراهقة التي تطبع المتعلم بكثير من التغيرات الجسمية والنفسية تؤثر في سلوكه وميوله وقناعاته، لذا وجب إيلاؤها عناية خاصة تستهدف مسايرة تلك التغيرات الجوهرية، فثمة من يصطلح عليها بالمرحلة الإعدادية، لأن المتعلم يُعدّ فيها ليكون شابا نافعا يتمتع بقدرات عقلية ومهارات جسمية تضمن له حسن التأقلم في مجتمعه، لكنها تتميّز كذلك بالاندفاعية والانفعال العاطفي والتقلبات المزاجية السريعة... بما يقتضي معاملة خاصة تستوعب حساسية هذه المرحلة، التي يُنظر إليها على أنها مرحلة البناء الذاتي والاختيارات المستقبلية والصراع بين الهوية الذاتية والهوية الاجتماعية، والسعي إلى فرض قراراته واختياراته... وغيرها من التناقضات التي جعلت علماء النفس يطلقون عليها تسمية مرحلة الأزمات، (فهي بحث عن الاستقلالية الاقتصادية والاندماج في المجتمع بعيدا عن رقابة العائلة، وبهذا تعد المراهقة مرحلة انتقالية خاصة تسعى إلى تحقيق الاستقلالية النفسية والتحرّر من التبعية لمرحلة الطفولة، الأمر الذي ينتج عنه تغييرات على مستوى الشخصية لا سيما في علاقتها الجدلية بين الأنا والآخر)[1].

ورغم كثرة التغيرات الجوهرية التي تحصل في شخصية المراهق أثناء انتقاله من مرحلة الطفولة إلى مرحلة النضج العقلي، آثرت أن أحصر بعض مظاهر ذلك التغيّر في المخطط الموالي:

)[1]: Voir Le Hall, H: Psychologie des adolescents, Presse universitaire, Dunad, Paris, 1998, p13

مخطط يوضح بعض سمات الشخصية لدى المراهق

تمكننا القراءة الفاحصة في محتوى المخطط من استنتاج أهم المرتكزات النفسية والسلوكية التي يمكن اعتمادها منطلقات قاعدية تُبنَى في ضوئها المناهج التعليمية، وتُختَار المقاربات البيداغوجية المناسبة لاحتواء شخصية المراهق، وبما أنّ موضوع بحثنا يتعلّق بتنمية الكفاية التواصلية لدى متعلم المرحلة المتوسطة في ضوء مقولات المقاربة التداولية؛ وجب التنويه بأننا سنشتغل على مهارة فهم المنطوق وإنتاجه (التعبير الشفوي) لدى عيّنات مختارة من تلاميذ هذه المرحلة التعليمية، لتقييم أدائهم البيداغوجي ومدى تجاوبهم مع موضوعات التعبير الشفوي المقرّرة عليهم، وكذا معاينة الطرائق التعليمية التي يطبّقها المعلمون في تدريس هذه المادّة، والبحث في إمكانية تكييفها تداوليا حتى تستوعب الفروق الفردية بين المتعلمين، وتعزّز ثقتهم بأنفسهم وبقدراتهم وتشجعهم على التواصل الشفوي والكتابي الناجح بعد التغلّب على مشاكلهم النفسية والمعرفية .

4.1 : التعبير الشفوي :

يقول تمام حسّان واصفا مهارة التعبير الشفوي: "عندما يتكلم الفرد فهو يقدّم إنجازا لغويا فرديا في سياق اجتماعي، يخضع لمواصفات وتقاليد وخصائص تميّزه عن التعبير الكتابي، أبرزها النبر والتنغيم، ممّا يجعله أقدر في الكشف عن ظلال المعنى ودقائقه "[1].

ميزة هذا التعريف تداوليته، فهو يجمع كافة مرتكزات المقاربة التداولية للخطابات الشفوية، إذ يعرّفه بأنه تلفّظ في سياق يحبل بمقاصد مرسله، ويتميّز عن النمط المكتوب بالظواهر الصوتية الوظيفية التي تضفي عليه فاعلية وتأثيرا، ومن خصائصه التداولية ما يلي:

- يتعلّق بمرسله، ويرتبط بالسياق الذي قيل فيه، ويستشرف ردود فعل متلقيه.
- يعوّل على الظواهر الصوتية: كالنبر والتنغيم والتكرار والوقف ... في تبليغ المقاصد، وبذلك يحقق مبدأ الاقتصاد اللغوي الذي يُعدّ خصيصة من خصائص اللسان البشري.
- تأثيره مضمون لأن متلقيه حاضر، وتغلب عليه ذاتية مرسله لأنه متحرّر من قيود الكتابة.
- يهتم بتبليغ المقاصد أكثر من عنايته بقوانين التأليف، ويستعين على تحقيق ذلك بلغة الجسد من إيماءات وإشارات ووضعيات ...
- يعتمد على الافتراض المسبق والتواطؤ والاتفاق مع المتلقي حتى يضمن تبليغ مقاصده وإفهام رسالته.

مدونة البحث ومنهجية الدراسة:

ترتكز مدونة الدراسة التطبيقية على محاور ثلاثة:

1- قراءة اشتكشافية في بعض الوثائق التربوية: كالوثيقة المرافقة لمنهاج اللغة العربية للمرحلة المتوسطة، وبعض المذكرات البيداغوجية التي يُعدّها أساتذة المادّة.

([1]) : **اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، (د،ت) ، ص 47** .

2- حوارات ومناقشات أجريتها مع بعض أساتذة المرحلة المتوسطة ومفتشي اللغة العربية لعدّة مقاطعات تعليمية بولايتي عنابة وسكيكدة.

3- تجربة ميدانية أشرَفْتُ على تنفيذها في العام الماضي 2018-2019 مع عينة من طلبة السنة الثانية ماستر تخصص لسانيات عامة، حيث كلّفتهم -في إطار مقياس التحليل التداولي للخطاب- بدراسة تداولية الخطاب التعليمي، في ضوء زيارات ميدانية لبعض المدارس المتوسطة، لمعاينة الخطاب التعليمي أثناء تحقّقه الفعلي.

أودّ أن أشير إلى أنّي انتقيت من المعطيات الميدانية المتوفرة لدي مادّة يسيرة تناسب مقام هذه الدراسة المقيّدة بحجم المقال، لذا سأكتفي بعرض بعض النماذج التمثيلية التي تخدم مطالب الموضوع المطروق.

1- الأبعاد التداولية في الوثيقة المرافقة لمنهاج اللغة العربية:

توحي القراءة الأولية في منهاج اللغة العربية للمرحلة المتوسطة، وتحديدا فيم يتعلّق بنشاط بناء المنطوق وإنتاجه؛ بتبني القائمين على إعداده تصورا نظريا مستوحى من النظرية التداولية وما انبثق عنها من مقاربة تواصلية وأفعال كلامية...ومن ذلك ما ورد في الجدولين المواليين عن تفاصيل الممارسة البيداغوجية وكذا أساليب التقويم ومركبات الكفاية الختامية:

1.1 -الممارسة البيداغوجية:

المعيقات التي يطمح المنهاج إلى تجاوزها	الممارسات البيداغوجية التي يجب أن يتدرّب عليها المتعلم	الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها
- انحباس التواصل - ضعف التفاعل الاجتماعي - اهتزاز الثقة بالنفس - فقدان الدافغية والرغبة	- القدرة على التخطيط السليم - تنظيم الوقت وحسن إدارته - مشاركة الاخرين مشاعرهم واهتماماتهم - تنمية مهارة الاتصال والتفاعل - تنمية مهارة التفكير الناقد والإبداعي - التدريب على حلّ المشكلات - اتخاذ القرار وتقدير قيم الحرية والمساواة والعدل واحترام الاخر	- تنمية قدرات البحث والتفكير - زيادة التحفيز وتنمية الثقة بالنفس - تعزيز التنافس الإيجابي - تعزيز روح المسؤولية - بناء العلاقات الاجتماعية والإنسانية

1( )

تنطوي محاور الممارسة البيداغوجية المرصودة في الجدول على أبعاد تداولية جمّة تكشف اهتمام القائمين على إعداد منهاج اللغة العربية أهمية الاشتغال على البعد الوظيفي للغة العربية، وتؤكد على الاهتمام بتنمية كفايات المتعلم: اللغوية والمعرفية والتواصلية، وما اهتمامها بالبعد الاجتماعي التواصلي للغة وإيلاؤها عناية خاصة للجوانب النفسية والإدراكية والفروق الفردية؛ إلاّ دليل على

([1]): **ينظر: اللجنة الوطنية للمناهج (المجموعة المتخصصة للغة العربية)، الوثيقة المرافقة لمنهاج اللغة العربية – مرحلة التعليم المتوسط، وزارة التربية الوطنية، 2016، ص 29-30.**

وعي بأهمية تثمين البعد التداولي في العملية التعليمية، وهذا ما تؤكده أساليب تقويم التعلّمات والكفايات الختامية الواردة في الجدول الموالي:

2.1: أساليب التقويم ومركبات الكفاية الختامية:

أساليب التقويم		الكفايات الختامية	
المعايير	المؤشرات	مركّباتها	مؤشراتها
الوجاهة	– الاستهلال – سلامة وضعية الجسم – مستوى الصوت – احترام زمن العرض	– يستمع إلى خطابات متنوعة يغلب عليها السرد والوصف. – ينتج خطابات شفوية موظفا رصيده اللغوي المناسب لها. – يستنتج قيما ومقاصد يتضمّنها الخطاب.	– يحدد الفكرة العامة للخطاب المسموع – يبرز عناصره الأساسية. يوظف العبارات المناسبة لمقام الخطاب، ويؤديها بالتنغيم المناسب. – تنفيذ التعليمات. – انسجام الروابط المستعملة.
البناء اللغوي	–جمل تامة المعنى –احترام أزمنة الأفعال –التمثّل الصحيح للمعنى –احترام علامات الإعراب		
انسجام الإنتاج	–طرح الرأي وتعليله –تلاؤم الأفكار مع الموضوع –عدم التناقض		
التميّز	– إدراج قيمة –اقتراح حل وإبداء رأي –شدّ الانتباه وقوة التأثير		

(1)

يعكس محتوى الجدولين السابقين رؤية نظرية مثالية عن ممارسة بيداغوجية تنطوي على أسباب نجاحها وتحيط بالممارسة الصفية من كافة جوانبها المعرفية والتداولية، ويشرح آليات تفاعل أقطاب العملية التعليمية التعلمية، لكن سرعان ما تقوّض القراءة التحليلية الفاحصة تلك النظرة الاستشرافية الواعدة التي يبديها ظاهر النص، لتكشف عن صعوبات حقيقية أظهرتها الممارسة البيداغوجية في الميدان، وتؤكّد على (عدم نضج التصور التعليمي الإجرائي المستوحى من النظرية التداولية، وإجماع التعليميين على صعوبة تعليم هذا النشاط وتقييمه بالإضافة إلى صعوبة التمييز بين النسقين الشفهي والكتابي، وصعوبة تقييم نماء الكفاية الشفوية نتيجة غياب الأثر الذي يمكن الرجوع إليه أثناء هذا التقييم، ناهيك عن ارتباط اللغة الشفوية بمظاهر متنوعة من شخصية المتكلم

[1]): **ينظر المرجع السابق ، ص: 17–21**(

كالحركات وتعابير الوجه، وندرة الوسائل التعليمية الملائمة لتدريس هذا النشاط، وكذا غياب تكوين محترف للمعلمين)[1]، وليس أدلّ على هذا الطرح من الشهادة التي أدلى بها معلمو ومفتشو اللغة العربية للمرحلة المتوسطة، وهو المحور الثاني من محاور الدراسة التطبيقية.

2- حوارات ومناقشات مع أساتذة ومفتشي اللغة العربية للمرحلة المتوسطة[2]:

توزعت الحوارات والمناقشات بين مباشرة؛ التقيت فيها عيّنة من الأساتذة في جلسات غير رسمية بسبب الحجر المنزلي الذي عاشته الجزائر مدّة شهور طويلة، وافتراضية؛ اتصلت فيها بعينة من الأساتذة عبر شبكة الأنترنيت... وجّهت إليهم جملة من الأسئلة حول واقع التواصل الشفوي أثناء الممارسة الصفية، ورأيهم في الكفاية التواصلية للمتعلم وسبل تنميتها.

أجمع جل الأساتذة والمفتشين -الذين أثروا هذه الدراسة بتجاربهم البيداغوجية القيّمة -على تدني مردود التواصل الشفوي لدى شريحة واسعة من متعلمي المرحلة المتوسطة، وأرجعوا ذلك إلى أسباب متشابكة ومتعددة ضمّنتها الجدول الموالي:

([1]): ينظر حفيظة تازروتي، تعليمية التعبير الشفوي في مناهج الجيل الثاني للمرحلة الابتدائية ونظرية أفعال الكلام، مجلة لغة – كلام، عدد خاص بأعمال الملتقى الوطني:" تدريس اللغة العربية في ضوء النظريات اللسانية الحديثة "، مخبر اللغة والتواصل، المركز الجامعي بغيليزان/ الجزائر، السنة الثالثة، المجلد الثالث، العدد الأول، مارس 2017، ص 58.

([2]): من بين الأساتذة الذين حاورتهم وسمحوا بتدوين أسمائهم: صالح علي الشريف: متوسطة التراقي بعزابة، حفصة مسعودي: متوسطة أحمد باي بحجر الديس عنابة، هناء ثوامرية: متوسطة 19 مارس 62 بالبوني عنابة، إضافة إلى 18 أستاذ اكتفوا بالإجابة عن الأسئلة دون إدراج أسمائهم... ومن بين الأسئلة الموجّهة إليهم مايلي:

- **هل تعتمدون طريقة تعليمية واحدة في تدريس كافة الأنشطة التعليمية؟**
- **إذا كانت الإجابة: لا، ما هو تصوركم حول مسألة تنويع الطرائق التعليمية بتنوع الأنشطة البيداغوجية -كيف يتفاعل المتعلم أثناء نشاط التعبير الشفوي؟**
- **قدّم أمثلة مشروحة عن النموذجين: السلبي والإيجابي؟**
- **يشترط نجاح المقاربة بالكفايات في التعليم تنمية الكفاية التواصلية لطرفي الخطاب: المعلم والمتعلم، ما هو تقييمكم للكفاية التواصلية لتلاميذ المرحلة المتوسطة في ضوء معيار التدرج؟**
- **ما هي أهم مظاهر الفروق الفردية التي يمكن رصدها بين تلاميذ القسم الواحد، وفي النشاط التعليمي الواحد؟ وكيف تتعاملون معها خاصة في حصة فهم المنطوق والتعبير الشفوي؟**
- **هل تسمعون بالمقاربة التداولية للخطاب التعليمي؟ إن كان الجواب نعم، فما رأيكم فيها؛ خاصة إذا علمتم أنّ جلّ الوثائق البيداغوجية التي أعدّتها وزارة التربية تمّت صياغتها في ضوء رؤية تداولية تعي ضرورة انفتاح المدرسة على المجتمع؟**
- **ما هي اقتراحاتكم لتحسين مهارة التعبير الشفوي لدى التلميذ المتعثر وتنمية كفايته التواصلية؟**

أسباب متعلقة بالمعلم *	أسباب متعلقة بالمتعلم	أسباب متعلقة بالمحتوى التعليمي
• الاهتمام بالمحتوى المعرفي على حساب التواصل الشفوي • نمطية الطرائق التعليمية المعتمدة ورتابتها • حاجة جل معلمي الطور المتوسط إلى التدريب والخضوع إلى دورات تكوينية على التواصل الشفوي وفن إدارة الحوار • إقحام اللهجة ومشكلة الازدواجية اللغوية • قصور طرائق تقويم مهارة التعبير الشفوي . • محورية المعلم واحتكاره وظيفة المرسل في إدارة الدرس	• نفور متعلم المرحلة المتوسطة من التواصل الشفوي لأسباب نفسية أو معرفية • الخوف من التنمر أو التعزيز السلبي الذي يمكن أن يتعرّض إليه أثناء وقوعه في الخطأ. • قلة تقدير الذات وعدم الثقة في قدراته المعرفية والخوف من الوقوع في الخطأ • الانطواء والخجل أو العزوف واللامبالاة • ندرة التعزيز الإيجابي والتقدير وتشجيع التعبير الإبداعي • الخوف من الانخراط في الحوار الجماعي والارتباك في المواقف الاجتماعية	• تعارض جل مواضيع التعبير الشفوي مع ميول متعلمي هذه المرحلة مما يؤدي إلى عزوفهم عن التفاعل . • تكريس الفصل بين مكونات الوحدة التعليمية : استقلال مواد النحو والصرف والقراءة والتعبير عن بعضها البعض • قلة الحصص البيداغوجية المخصصة لنشاط التعبير الشفوي بدعوى ضيق الوقت وكثافة برنامج اللغة العربية • افتقار المواضيع المختارة إلى عنصر البهجة والتشويق لأنها تختار في ضوء معايير لا تتوافق مع أذواق المتعلمين

أسباب تدني التواصل الشفوي لدى تلاميذ المرحلة المتوسطة

يمنحنا محتوى هذا الجدول نظرة إجمالية عن الأسباب المؤدية إلى تدني الكفاية التواصلية لدى معظم تلاميذ المرحلة المتوسطة، وأنّ هذا التدني سببه قصور الكفايات اللغوية والمعرفية لهؤلاء المتعلمين؛ يضاف إليها عوامل أخرى تتعلّق بالمعلم وبالمحتوى التعليمي...ما انعكس سلبا على قدرتهم على التواصل الشفوي الناجح.

*: الأسباب المتعلقة بالمعلم رصدها المفتشون أثناء زياراتهم التقييمية الدورية للمؤسسات التعليمية، وقد كانت موضوع عديد الندوات التربوية التي عقدها المفتشون مع معلمي اللغة العربية للمرحلة المتوسطة.

3- التجربة الميدانية*:

أشرَفْتُ في العام الماضي(2018-2019) على تنفيذ تجربة ميدانية مع عينة من طلبة السنة الثانية ماستر تخصص لسانيات عامة، حيث كلّفتهم -في إطار مقياس التحليل التداولي للخطاب -بدراسة تداولية للخطاب التعليمي في ضوء زيارات ميدانية لبعض المدارس المتوسطة، لمعاينة الخطاب التعليمي أثناء تحقّقه الفعلي، وتحليله بالارتكاز على أقطابه المتفاعلة والبحث في أبعاده التداولية، التي يمكن الاستفادة منها في اقتراح مقاربات تعليمية جديدة تغطي مكامن النقص التي خلّفتها سابقاتها.

وتجدر الإشارة إلى أنّ مهام الطلبة انحصرت في حضور الحصص التعليمية وتسجيلها صوتيا، ووصف مراحل تنفيذ الدرس وجمع الملاحظات عن تفاعل المتعلمين مع المعلم، ثم نقوم بعرضها على زملائهم في الجامعة في إطار الحصص التطبيقية لمقياس التحليل التداولي للخطاب، ونشتغل معا على استجلاء الأبعاد التداولية في خطابات المعلمين والمتعلمين، في ضوء رؤية تداولية تبحث في تفعيل نظرية أفعال الكلام، ونظرية المقاصد والنظرية السياقية، والنظرية الحجاجية... وغيرها من النظريات التي تثمّن البعد التواصلي في الخطاب، حيث ركّزت هذه التجربة على نشاط التعبير الشفوي أو ما يُصطلح عليه في إطار المقاربة بالكفايات بفهم المنطوق وإنتاجه، لأنه أقرب إلى مفهوم الخطاب في تمظهراته الشفوية، إذ يحدّه اللسانيون بأنه " الملفوظ منظور إليه من وجهة آليات اشتغاله في التواصل، بمعنى أنّ الخطاب هو الفعل الحيوي لإنتاج ملفوظ ما بواسطة متكلم معين في مقام معين بغاية التأثير"[1].

بعد تفريغ التسجيلات وتصنيفها توفّرت لدينا عيّنة تمثيلية عن الخطابات المتداولة داخل الفصول الدراسية في مقامات التواصل الشفوي، فقرّرنا مقاربتها تداوليا كالآتي:

---

* : **عناصر الدراسة الميدانية :**

الباحث: عيّنة من طلبة السنة الثانية ماستر تخصص لسانيات عامة، بإشراف د/ وفاء صبحي، في إطار مقياس التحليل التداولي للخطاب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باجي مختار – عنابة

النشاط: فهم المنطوق وإنتاجه

الهدف: رصد الأبعاد التداولية في نشاط التعبير الشفوي لطلبة المرحلة المتوسطة

العيّنة الدارسة: عيّنة من تلاميذ السنة الرابعة متوسط

المؤسسات التعليمية التي تمّت زيارتها: متوسطة التراقي بولاية سكيكدة، ومتوسطة 19 مارس 62 بولاية عنابة

عدد الحصص البيداغوجية التي حضرها الطلبة: تمّ حضور أربع حصص تعليمية مع أستاذين، بمعدل حصتان يحضرهما طالبان مع كل أستاذ

الوسائل المعتمدة: التسجيل الصوتي، بعد أخذ إذن المعلم والمدير، والوصف العيني لمجريات الدرس مع تدوين الملاحظات، مع تسجيل رفض الأساتذة والمديرين التصوير بتقنية الفيديو.

عناوين الدروس التي حضرها الطلبة: ثقافة الصورة – مفاخر الأجناس، (لم يختر الطلبة هذه المواضيع، بل تزامن تقديمها مع وقت السداسي الأول في السنة 2 ماستر، وهو سداسي قصير، مما اضطرنا الى الاكتفاء بالدروس الأولى في مقرّر فهم المنطوق وإنتاجه)

([1]) : Voir Benveniste Emile, Problèmes de linguistique générale, T.2, Gallimard, Paris, 1974, P.

أ. **أحوال المتخاطبين:**

تتعلّق فعاليات العملية التعليمية التعلمية بطبيعة العلاقة التي تجمع طرفي الخطاب وهما المعلم والمتعلم، ونجاحها مشروط بنجاح التفاعل بينهما، وحتى يتحقّق الخطاب التعليمي في ظروف تداولية جيّدة وجب أن يمتلك كلّ منهما جملة من الخصائص والصفات تساعده في أداء دوره حسب مقامه في العملية التواصلية القائمة على فعْلي التشفير وإزالة التشفير.

– **المعلم/ الباث:**

من شروط نجاح المعلم في تسيير درسه[1] امتلاك كفاية تواصلية جيّدة تمكّنه من حسن تخيّر اللفظ المناسب للمقام، بما يضمن تبليغ المقاصد والإقناع بها، وهي مشروطة بامتلاك كفاية لسانية تمكّنه من ربط النظام اللغوي بواقع استعماله، لأنّ الإحاطة بالجانب المعرفي لنظام لغوي ما؛ لا تعني بالضرورة القدرة على توظيفه في مقامات التواصل المختلفة، يُضاف إليها كفاية تداولية، تمكّنه من مراعاة أحوال المتلقي؛ بالاحتكام إلى خلفيته النفسية والاجتماعية والثقافية، وكذا حسن اختيار المقاربات البيداغوجية المناسبة لإيصال المحتوى التعليمي، دون أن نغفل أهمية امتلاك كفاية معرفية تتجلّى في الإلمام بموضوع الخطاب من زاوية نظر ابستيمولوجية، لأنّ الإفهام مرهون بالفهم.

بعد دراسة الممارسات الصفية التي تمّ اختيارها للتطبيق، جمّعنا الملاحظات في الجدول الموالي:

الكفاية	المعلم(ص.ع.ش) متوسطة الترقي ولاية سكيكدة – خبرة في الميدان 17 سنة	المعلمة (ح.م) متوسطة19 مارس 62 عنابة – خبرة في الميدان خمس سنوات
اللسانية	– لا يظهر عليه أي عيب من عيوب الكلام – التحدّث بطلاقة بلسان فصيح – خلو العبارات المستعملة من أخطاء لغوية – استعمال العامية في بعض الأحيان	– لا يظهر عليها أي عيب من عيوب الكلام –تتكلّم بسرعة ، وإن أبطأت تخطئ، مع التحكم في جل القواعد – تخطئ في بعض الأحيان في حركات أواخر الكلم – استعمال العامية في بعض مقامات الشرح والتوضيح
التداولية	– تبدو عليه ملامح الجدّية والصرامة أثناء الكلام – يقف باستمرار أمام السبورة مقابلا للمتعلمين – يحتكر الكلام بشكل لافت ويغلب عليه التلقين – يختار من يجيب عن السؤال ولا ينتظر المبادرة	– مرحة ، ضحوكة ، كثيرة الكلام ، تستعمل بكثرة لغة الجسد – تتحرّك باستمرار بين الصفوف والطاولات وفي كل أركان القسم – تحتكر الكلام ، وتسارع بالإجابة عند طرحها للأسئلة – تجتهد في تحفيز الممتنعين عن الكلام وتشجّعهم على المحاولة

(1) : **للاستزادة حول هذه الشروط ينظر:**

– **فراس السليتي ، استراتيجيات التعلم والتعليم – النظرية والتطبيق ، عالم الكتب الحديث ، إربد– الأردن ، ط 1، 2008 ، ص 20– 22**

– **لبوخ بوجملين وشيباني الطيب، العناصر التداولية التواصلية في العملية التعليمية، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، ع 10، مارس 2011 ،ص 67**

المعرفية	– إلمام واضح بموضوع الدرس وتحضير جيد – يمتلك المعلم حصيلة ثقافية واسعة تبهر التلاميذ – يجيد اختيار الأمثلة التوضيحية التي تيسر الفهم	– تخطيط جيد للدرس وإحاطة معرفية بموضوعه – التقيّد بعناصر الدرس دونما استطراد أو توسيع – توظّف المثال والشاهد، وتطلبها أحيانا من التلاميذ
التواصلية	– يتكلّم باستمرار ولا يمنح الفرصة للمتعلم إلاّ إذا سأله، أو طلب منه الإجابة. – يوجّه نقدا لاذعا خاصة إذا تكرّر الخطأ من التلميذ – عبارات الشكر رتيبة: جيد، أحسنت ...	– محاورة جيّدة تبعث الراحة في نفس مخاطبها – تبالغ في المدح والتعزيز الإيجابي حتى في غير محلّه – تمنح فرصة الكلام للمتعلم لكن سرعان ما تقاطعه. – تبالغ في الاحتفاء بمحاولات التلاميذ، وإن كان بعضها خاطئ

تبيّن القراءة الفاحصة في محتوى الجدول تقاربا بين النموذجين في امتلاك المهارات اللسانية والمعرفية وتفاوتا في المهارات التداولية والتواصلية، وسبب ذلك أنّ تكوين معلمي اللغة العربية يرتكز بالأساس على الجانبين: اللساني والمعرفي، حيث يهتم المعلم أثناء إعداد درسه بالعناصر المعرفية للموضوع، مع الحرص على السلامة اللغوية أثناء التواصل الشفوي، ولا شك أنّ هذا المسار هو موروث الطرائق التعليمية التقليدية التي تركز على المحتوى المعرفي وتغفل دور المتعلم.

أمّا التفاوت البيّن بين النموذجين في امتلاك المهارات التداولية والتواصلية فيرجع بالأساس إلى انتماء النموذج الأول إلى المدرسة التقليدية (17 سنة أقدمية في الميدان)، التي ترفع من دور المعلم وتجعله رابطة العقد وقطب الرحى في العملية التعليمية، والمتعلم فيها يتلقى المعارف ويتماهى ضمن بقية عناصر المنهاج، على عكس النموذج الثاني (خمس سنوات أقدمية في الميدان)خريج تخصّص تعليمية اللغة العربية في الجامعة الجزائرية، وهو تخصص يسعى إلى مواكبة راهن الطرائق التعليمية الحديثة في العالم، التي تركّز على محورية المتعلم في مساره التعليمي وتدعو إلى الاهتمام بظروفه النفسية والعقلية والاجتماعية، واعتبار كل متعلم حالة خاصة ويستدعي معاملة خاصة، وهذا ما يبرّر اهتمامها الواضح بالمتعلم والعمل على تحفيزه وشحن دافعيته ومراعاة ميوله، وليس يدهشنا ذلك لأنّ التوجهات اللسانية التعليمية الحديثة تدعو إلى الانفتاح على نظريات علم النفس المعرفي واللسانيات التداولية التي تُعلي من شأن البعد التواصلي التفاعلي في التعليم .

- **المتعلم/ المتلقي:**

تكشف الممارسات الصفية المختلفة عن تبادل للأدوار بين طرفي الخطاب، بعدما كرّست المقاربات التعليمية الحديثة مبدأ الشراكة بين المعلم والمتعلم في بناء تعلماته وصناعة معارفه، غير أنّي أبقيت –في سياق هذا المقال– على الدور الكلاسيكي الذي يؤديه المتعلم، حتى أحافظ على منطق القطبية في الخطاب، ورصد آليات انتقال الرسالة من الباث إلى المتلقي، بغاية الوقوف على المداخل الإقناعية التي يمرّر عبرها المعلم مقاصده إلى المتعلم، بعدما صار المتعلم جزءا فاعلا في بناء الخطاب التعليمي، يستوجب حسنُ تعليمه إذعانُه وتسليمُه وتَرْهَنُ جودة تعلّمه باقتناعه وتأثره، باعتماد الحوار البنّاء والمناقشة الإيجابية، والتوسّل بالحجاج العقلي والاستمالات العاطفية، لإنماء تردّده ودفعه إلى المشاركة الإيجابية في صقل مهاراته وتنمية كفاياته.

وحتى أتمكّن من استنباط الأبعاد التداولية المتعلّقة بتنمية الكفاية التواصلية لدى المتعلم؛ سأكتفي برصد الأخطاء التي اعترت خطابات المتعلمين الشفوية في حصص فهم المنطوق وإنتاجه، ثم إحصاؤها وتصنيفها في ضوء الكفايات التي يجب أن يمتلكها متعلم المرحلة المتوسطة (عيّنة من تلاميذ السنة الرابعة متوسط) واقتراح أساليب تقويمية علاجية في ضوء المقاربة التداولية، وفق الجدول الموالي:

أنواع الأخطاء	مظاهرها في واقع الاستعمال	مقترحات لعلاجها في ضوء المقاربة التداولية
أخطاء ذات منشأ نفسي	– الارتباك والخجل والتردّد أثناء الكلام – انعدام الحركة والجمود وعدم توظيف لغة الجسد – انخفاض الصوت والتلعثم وزلات اللسان – الآلية والرتابة في الكلام كأنه يستحضر محفوظا أو يقرأ من كتاب.	– اصطناع مواقف تواصلية يُعدّها المعلم مسبقا بالاعتماد على بعض التلاميذ الذين لا يعانون من هذه الاضطرابات، لتشجيع زملائهم على الاقتداء بهم، وتوفير جو من البهجة والفرح والانطلاق حتى يقلّل من ارتباكهم وترددهم، والعمل على تعزيز ثقتهم بأنفسهم وبقدراتهم، والمبالغة في المدح وغض الطرف عن بعض الأخطاء، وفق قانون التعاون لبول غرايس.
أخطاء متعلقة بالكفاية اللسانية للمتعلم	– الخلط بين أزمنة الفعل الماضي والمضارع – العجز عن توظيف الروابط المنطقية بين الجمل – عدم التحكّم في القواعد النحوية والصرفية في واقع الاستعمال وإن كان يحفظها. – فقر الحصيلة المعجمية للمتعلم	– التأكيد على أنّ نمو الكفاية التواصلية مشروط بامتلاك كفاية لغوية تغطي الحاجات التواصلية للمرحلة العمرية للمتعلم. – إحصاء المعلم للأخطاء الشائعة والمتواترة بين المتعلمين وتبويبها والاشتغال عليها في كافة الأنشطة التعليمية على مدار الوحدة. – العمل على أنّ الغاية من القاعدة النحوية أو الصرفية أو المعجمية ليس فهمها أو حفظها، بل القدرة على توظيفها في مقامات التواصل الشفوي أو الكتابي، والتدخل لتصويب الأخطاء أثناء التعبير، ومن المناسب جدا الاعتماد على نظرية الأفعال الكلامية لأوستين وسيرل، والتأكيد على مناسبة كل صنف منها للمقام الذي يقتضيه موضوع التعبير الشفوي.
أخطاء متعلقة بقصور الكفاية التواصلية لدى المتعلم	– الجهل بقواعد الحوار البنّاء. – مقاطعة الآخرين وعدم احترام الرأي الآخر – العجز عن مناقشة قضية وإبداء الرأي فيها	– اصطناع مواقف حوارية مثالية مقتبسة من يوميات المتعلم ومن محيطه، يضمّنها كافة القواعد الشكلية والقيمية التي تضمن نجاحه. – وضع المتعلم في وضعية مشكلة ودفعه إلى اقتراح حلّ لها، شرط انتمائها إلى واقعه وتناسبها وقدراته الإدراكية ن ثم تثمين ما يقوله وتشجيعه على إعادة الكرّة حتى يتغلّب على تردّده وارتباكه.

	– عدم القدرة على الحجاج واختيار الحجج الداعمة للموقف. – عدم التحكم في مقامات توظيف الظواهر الصوتية كالتبر والتنغيم والوقف.	– تدريبه على طريقة النبر والتنغيم والوقف ومواطنها، عن طريق المحاكاة، مع توظيف الوسائط التكنولوجية السمعية البصرية المساعدة _ الانطلاق من النصوص الحجاجية لشرح فكرة البرنامج الحجاجي وآليات الانطلاق من وضعية انطلاقية للوصول إلى نتيجة مرتقبة عبر توظيف مجموعة من الحجج المترابطة منطقيا والمتنامية ديناميا وفق قانون السلالم الحجاجية لأوزفالد ديكرو[1]
أخطاء متعلقة بالجانب البيداغوجي والتداولي	– إهمال المعلم مبدأ الفروق الفردية. – نقص التعزيز الإيجابي والتشجيع وتثمين المنجز. – عدم تنويع الطرائق التعليمية بما يتناسب وتنوّع الأنشطة التعليمية والمهارات المستهدفة. – تكريس الفصل الحقيقي بين علوم العربية واستقلال كل مادة بحصة منفردة. – ضيق الحجم الساعي المخصص لنشاط التعبير الكتابي، وعدم تشجيع استعماله في غيره من الأنشطة التعليمية.	– التعامل مع كل متعلم على أنّه حالة خاصة ويستدعي معاملة خاصة، فقد يستلهم المعلم من محيط كل متعلم وميوله وهواياته ما يشجعه على التعبير والتواصل الشفوي، خاصة إذا كان الموضوع المقترح عليه مشوقا ويلبي فضوله ويتوافق مع أفق انتظاره. – التعزيز الإيجابي وأسلوب المكافأة والإطراء لا يتناسب بالضرورة مع جودة المنتج، بل قد تكون بواعثه نفسية ترمّم ثقة المتعلم بقدراته وتشجعه على مزيد من الإنتاج والتفاعل وتعزّز ثقته بالمعلم وبزملائه. – اللغة العربية وحدة متكاملة ولا فائدة ترجى من فصل موادها أثناء العملية التعليمية، بل إن السبب في ضعف الكفاية التواصلية لدى المتعلم هو تكريس ذلك الفصل، مع ضرورة إدراك أن التعبير الشفوي السليم مؤشر على امتلاك المتعلم كفاية لغوية مناسبة، لذا يجب إعادة الاعتبار إليه أثناء توزيع الخريطة الزمنية للأنشطة التعليمية.

يتضمّن هذا الجدول وصفا لأحوال المتخاطبين أثناء ممارسات تواصلية مختلفة في حصص فهم المنطوق وإنتاجه، غايته الوقوف على أسباب فشل التواصل، أو حصول تشويش يعيق وصول الرسالة من الباث إلى المتلقي، حيث قمنا بتصنيف هذه الممارسات الخاطئة حسب الكفاية التي تقابلها كما هو واضح في الجدول غير أنّ الغاية من هذا الإجراء؛ اقتراح أساليب تقويمية علاجية تداولية تُعلي من شأن الظروف المقامية المحيطة بالعملية التعليمية التعلمية، وتوجّه النظر صوب أسباب الخطأ أو التردد والارتباك، بخاصة الأخطاء ذات المنشأ النفسي والأخطاء المتعلقة بالجانب التواصلي والتداولي، وهذا يستوجب عناية بالجانب البيداغوجي، واختيار مقاربات تعليمية تهتم بالفروق الفردية بين المتعلمين وبظروفهم النفسية والاجتماعية، مع إعادة النظر في أساليب التقويم ومنهجيات إعداد الدروس وتقديمها.

([1]): **تنص نظرية السلالم الحجاجية لديكرو وأنسكومبر على التنامي الدينامي للحجج في البرنامج الحجاجي، ويمثلان لها بسهم شاقولي رأسه جهة الشمال، يبتدئ من أسفله بوضعية انطلاقية، وينتهي عند رأس السهم بالنتيجة المرتقب تحقيقها في نهاية المسار الحجاجي، وتتوسطهما جملة الحجج التي ساقها المرسل لإقناع مخاطبة، شرط أن تُرتب على السهم من أضعفها إلى أقواها تإثيرا ، يقول ديكرو: " السلم الحجاجي : أي حقل حجاجي ينطوي على علاقة تراتبية بين الحجج، فالحجاج نظام داخلي للخطاب قائم على اللغة، يسهم في ترابط عناصر الخطاب وتناميها؛ فيظهر الخطاب على أنه سلسلة من المكونات التي تلبي اشتراطات محدّدة في هذا الاتجاه أو ذاك ",**

Voir : Ducrot. O, Anscombre. J.C, L'argumentation dans la langue, Mardaga coll, Philosophie et langage, Bruxelles, 1983, p 07

الأفعال الكلامية وتحسين القدرة التواصلية

الفعل الكلامي هو خلاصة التفاعل بين بنية لسانية ومقام اجتماعي، يستمد طاقته الإنجازية من توافقه مع الممارسات التواصلية التي يتواضع عليها أفراد المجتمع، دون أن نُغفل مقاصد المتكلم ونواياه، لأنها تتحكّم في ردود فعل المتلقي وتوجّه القول نحو دلالات يقصدها المرسل.

حظيت نظرية أفعال الكلام بمكانة ذات امتياز في الدراسات التداولية منذ ظهورها مع أوستينAustin الذي رفض حصر وظيفة اللغة في وصف الواقع؛ وما يترتب عن ذلك من إصدار أحكام بالصدق أو بالكذب، وذهب إلى أنّ ثمّة نمطا من العبارات الوظيفية لا يخضع إلى هذا المعيار، وأنّ مجرّد التلفظ بها يُنشئ فعلا إنجازيا، ولا يزال الجدل قائما حول أصولها المعرفية ومجالاتها التطبيقية، حيث يصنّفها اللسانيون البنويون ضمن حقول التداولية، أمّا اللسانيون التداوليون أمثال أوركيوني Orecchioni فيصرّون على انتمائها إلى حقل الدلالة بمفهومه الموسّع، ويؤكّد فلاسفة اللغة أمثال أوستين Austin وسيرل Searle واللساني بنفنيست Benveniste على ارتباط بنيتها بقيود لسانية وأطر فلسفية من جهة، وبأبعادها الاجتماعية وظروفها المقامية من جهة ثانية[1]، وحتى ندرك الصبغة التفاعلية للأفعال الكلامية؛ علينا أن ننطلق من أنّ الواقعة الحوارية التي تقوم عليها العملية التعليمية التعلمية هي نشاط مؤسسي يتشارك فيه طرفا الخطاب (المعلم/المتعلم) حيث يتحقّق التفاعل غالبا بالاستعمال المتناوب للأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة من قبل المتخاطبين كأن يقول معلم لمتعلم: "هل يمكنك إعادة سرد القصة التي سمعتها ؟"، فظاهر العبارة يوحي "بالاستفهام"، ولكن دلالتها السياقية المترتبة عن فعل التأويل الذي يؤديه المتلقي تتعلّق "بالطلب"، فكيف للمتكلم أن يقول شيئا ويقصد شيئا آخر؟ وكيف ينتقل المتلقي من المعنى المصرّح به إلى المعنى المستلزم حواريا؟... هذا ما اصطلح عليه سيرل Searle بالأفعال الكلامية غير المباشرة؛ التي يتوقف إدراكها على الممارسات اللغوية العرفية التي يتشاركها طرفا الخطاب.

يشير أوستين Austin إلى أنّ الفعل الكلامي يتضمن ثلاثة أفعال متكاملة تحقّق ماهيته ووظيفته، وأنّ استثمار الأفعال الكلامية في إنتاج الخطابات وفي حسن تلقّيها مرهون بفهم هذه الأبعاد، وهي[2]:

- فعل القول Acte locutoire : وهو فعل التلفظ، أي إنجاز متواليات لسانية تخضع لقوانين التركيب، حاملة لدلالة.
- الفعل المتضمن في القول Acte illocutoire: هو الفعل الإنجازي الذي يتضمّنه القول، وهو موضوع الدراسة التداولية.

([1]): للاستزادة حول هذه المسألة ينظر :

- Orecchioni, K.C, L'implicite, Armand Collin, Paris, p25-43
- Austin, I.L, Quand dire, c'est faire, Traduction Gille Lane, Editions du seuil, Paris, 1970, p79-88
- Searle, G.R, Les actes de langage, Essai de philosophie du langage, Traduction Pauchard, H, Préface : Ducrot, O, Hermann, Paris, 2008, p95-106

([2]): للاستزادة ينظر:

– رضا الطيب الكشو، لسانيات التعليمية، منشورات كلية الآداب منوبة، مطبعة السفير الفني، تونس، 2017، ص 73–76

– خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة– دراسة نحوية تداولية، كلية الآداب منوبة، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس2001،ص 497

– Searle, G.R, Les actes de langage, Essai de philosophie du langage, p 6-10.

- الفعل المترتب عن القول Acte perlocutiore : وهو الفعل التأثيري المترتب عن المظهرين السابقين ويتجلى في ردّ فعل المتلقي.

فلو قال المعلم للمتعلم:

تمكننا نظرية أفعال الكلام من جعل حصة فهم المنطوق وإنتاجه أكثر واقعية وقربا من اهتمامات المتعلم وبيئته التواصلية، ويشترط لتحقيق ذلك؛ إعادة النظر في طرائق تقديم المواضيع المقترحة، وجعلها أكثر قابلية للتعلم، بعدما لاحظنا أثناء الزيارات الميدانية توظيفا فعليا لبعض أصناف أفعال الكلام، سواء في خطابات المعلم أو في استجابات المتعلمين، لكن توظيفها كان عفويا لا يقف عند أهميتها في تحسين التواصل وتحديد مقاصد الخطاب، وهذا ما دعانا إلى اقتراح تصور أولي لحصة فهم المنطوق وإنتاجه بالاعتماد على نظرية أفعال الكلام كما هو موضّح في الجدول الموالي:

خطوات إعداد حصة فهم المنطوق وإنتاجه بالاعتماد على نظرية أفعال الكلام:

المرحلة	الهدف وطريقة التنفيذ	مثال
الاستكشاف	- تحديد الفعل الكلامي المستهدف - التعرّف على استعمالاته في وضعيات تواصلية مختلفة - فهم القيمة التداولية لهذا الفعل	-التقريريات، الطلبيات، الوعديات، التصريحيات، السلوكيات[1] - ربط كل صنف بالأغراض الإنشائية التي يؤديها: مثلا: التوجيهيات: يندرج ضمنها الأمر، الطلب، الالتماس... - التمييز بين درجات الفعل حسب الجهة التي أصدرته وقدرتها على إنفاذه، فالأمر مثلا لا يصدر إلاّ من الأقوى في الخطاب ويمتلك سلطة إنفاذ قراره، عكس الطلب أو الالتماس

(1): صنّف سيرل **Searle** الأفعال الكلامية حسب دلالتها خمسة أصناف كالآتي:

- **التقريريات (Assertives)**: تؤدي وظيفة نقل الواقع كما هو ، بما لا يتجاوز حدود الإخبار وتقرير واقعة ما.
- **الطلبيات (Directives)**: تعني حمل الآخر على فعل أو ترك ، كالأمر والنهي والطلب والالتماس ...
- **الوعديات (Commissives)**: تتعلّق بالتزام المتكلم بتنفيذ ما وعد به في المستقبل، سأفكر في المسألة ، أعدك بحضور الحفلة...
- **السلوكيات (Expressives)**: غرضها الإنجازي التعبير عن الحالة النفسية للمتكلم أو الإفصاح عن المشاعر : كالتهنئة والشكر

التدريب	– ترسيخ الموارد التي تعرّف عليها في مرحلة الاستكشاف – ربط عيّنة من الأفعال الكلامية بالمقامات التواصلية التي تناسبها	– اقتراح وضعيات تواصلية افتراضية تتعلّق بمقامات مختلفة: كوصف مكان، التعريف بالذات أو بالغير، إبداء الرأي في قضية خلافية. – تدريب المتعلمين على توظيف الأفعال الكلامية وربطها بالغرض الذي يقتضيها: كالوعد والتهنئة والشكر والتحذير...
الاستثمار	– يتم فيها إدماج التعلمات واستثمار ما تعلمه في إنتاج شفوي مرتبط بمقام يتطلب استثمار أفعال كلامية مخصوصة.	– كأن يحث المعلم تلاميذه على التعبير عن موضوع أضرار التدخين ويوجهه إلى نصح زملائهم بعواقبها وأخطارها ... في المقدمة: يوظف أفعال الوصف والتقرير والإخبار... في العرض: يستعمل أفعال التحذير والنهي والردع ... في الخاتمة: يستعمل أفعال النصح والإرشاد والاستمالة ...

يشير محتوى الجدول إلى أنّ إدراج نظرية الأفعال الكلامية في منهاج اللغة العربية، وتدريب المتعلمين على توظيفها حسب المقامات التي تستدعيها؛ يمنح الممارسة الصفية صبغة تداولية، وما يؤكّد ذلك؛ حضورها الفعلي في مجمل الحوارات الدائرة داخل الحجرة الصفية، من طرح لأسئلة وإجابة عنها، وما يرافق ذلك من تعزيز إيجابي أو سلبي يتبعه ترسيخ أو تصحيح، إضافة إلى ما يتخلّل الحصة التعليمية من توجيه أو نهي أو أمر... وغيرها من الأفعال الكلامية التي يحبل بها الخطاب التعليمي، كما تكمن أهمية الاشتغال عليها في:

- التمييز بين الخطابات، من حيث توجهاتها الفكرية وأساليبها اللسانية وأبعادها التداولية.
- التمييز بين المقاصد المعلنة والمضمرة في الخطاب، تبعا لتصنيف أوستين Austin أفعال الكلام إلى مباشرة وغير مباشرة.
- إجادة فعل التأويل المفضي إلى الظفر بنوايا مرسل الخطاب ومقاصده الحقيقية.
- التمرّس على ربط الأفعال الكلامية بالمقامات التواصلية التي تناسبها، بغاية إضفاء بعد حجاجي تداولي على الخطاب المنجز.
- التمكّن من اختيار الأفعال الكلامية المناسبة للموقف التواصلي الطارئ، وهي مواقف متنوعة يتواجد فيها المتعلم حتى خارج المدرسة، مما يتيح له المشاركة بفاعلية في الواقعة الحوارية دونما نقص أو ارتباك.
- امتلاك القدرة على تحليل الخطابات المتنوعة، وفهم أبعادها التداولية، وإدراك المسكوت عنه فيها... وغيرها من الغايات التي تجعل التعويل على هذه النظرية في بناء منهاج اللغة العربية في كافة المستويات التعليمية ضرورة لا غنى عنها.

–التصريحيات (Déclaratives) : يتعلّق بالفعل اللّغويّ الّذي يغيّر الواقع، كالإعلان عن وضع جديد: كإعلان القاضي المتهم بريئا أو إعلان الإمام الرجل والمرأة زوجين، أو إعلان كاتب العدل عن تحقق فعل البيع ...

ينظر – رضا الطيب الكشو، لسانيات التعليمية (مرجع سابق)، ص 55 –58.

– سيّد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، 1994 ص 30.

حجاجية الخطاب التعليمي ومقاصده:

يُعدّ الحجاج ممارسة لغوية مألوفة في خطاباتنا اليومية، ننجزه بعفوية تنتفي عنها القصدية في حالات كثيرة بغاية التأثير في المتلقي، حيث تتباين المقامات وتتنوّع السياقات بين النهي والنفي والشرط والتوكيد... وغيرها من الأساليب، التي تقتضي من المرسل أن يُضمّن خطابه حُججا تُقنع السامع بضرورة تبنّي فكر جديد، أو نبذ موقف معيَّن، أو تعديل سلوك قائم، لذا يُعرَّف بأنّه "العملية التي يسعى من خلالها المتكلم إلى تغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى مخاطَبه بواسطة الوسائل اللغوية"[1]، ضمن مشهد تواصلي مدروس تكون الرسالة فيه أهم مكوّن من مكوّنات عملية الاتصال، حيث يُضمِّنها المرسل أفكاره ومعتقداته بطريقة تُؤثّر في المرسل إليه، وتجعله يقتنع بأطروحاته ويتبنّى مواقفه، ويُوظّف -لتحقيق ذلك- شتى الوسائل اللغوية والأساليب البلاغية كالحجج والروابط الحجاجية وأساليب الشرط والتوكيد والمقارنة...وذلك للانتقال بالمتلقي من طور الاستماع والإدراك، إلى طور الرضى والتسليم والاقتناع بمضمون الرسالة، فـ "الحجاج هو فن إقناع المرسل المتلقي مستمعا كان أو قارئا، استنادا إلى عدد من الحجج المترابطة فيما بينها ترابطا منطقيا، والمتنامية تناميا ديناميا بغية التأثير فيه وجعله يعتقد في صدق وحقيقة وعدالة وفائدة ما يدافع عنه"[2].

أسفرت دراستنا الميدانية عن ملاحظة الطبيعة الحجاجية للخطاب التعليمي الدائر في غرفة الصف بين طرفيه: المعلم والمتعلم، خطاب يقوم على المناقشة والحوار والتوجيه وتوظيف الحجج للتأثير في المتلقي، ولن أبالغ إذا قلت: إنّ الخطاب التعليمي خطاب حجاجي بالأساس؛ لأنّ المعلم يسعى في كل مراحل الدرس إلى تبليغ مقاصده التعليمية بأسلوب حجاجي مدروس ينطلق من المكتسبات القبلية للمتعلم ويتدرّج في بناء التعلمات إلى أن يحقّق الكفاية الختامية، مكرّسا أدبيات الحوار البنّاء؛ من احترام الرأي الآخر، وعدم التعصب للرأي، واحترام الدور في أخذ الكلمة، وعدم مقاطعة المتكلم... بما يخدم تنمية الكفاية التواصلية لدى المتعلم، ولا يكفي أن يمارس المتعلم والمعلم الحجاج بعفوية في أثناء الحصة التعليمية، بل أعتقد أنّ إدراج الممارسة الحجاجية بأصولها المعرفية وإجراءاتها التطبيقية في مناهج التعليم صار ضرورة لا غنى عنها، وهذا ما دعاني إلى اقتراح تصور منهجي لتدريب المتعلمين على توظيف الحجاج توظيفا واعيا، يقف على أهميته في تبليغ المقاصد وتحسين مردود التواصل، فبعد المعاينة الميدانية قمنا بإسقاط أهم مبادئ النظرية الحجاجية وأكثرها ملاءمة للمرحلة المتوسطة على بعض الأمثلة من الممارسات التعليمية؛ حتى نتحقق من فاعليتها في بناء الدلالة وفي توجيهها الوجهة التداولية التي تناسب مرسل الخطاب، وذلك ما يوضحه الجدول الموالي:

---

(1): عبد الله صولة، الحجاج: أُطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجاج (الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتيكاه)، مقال في سلسلة آداب "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمّادي صمّود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس،1998، ص 350.

(2): البشير اليعكوبي، القراءة المنهجية للنص الأدبي (النصّان الحكائي والحجاجي أنموذجا)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص 218.

أساسيات النظرية الحجاجية	تمظهراتها في الخطاب التعليمي
الحجة: " عنصر دلاليّ متضمَّن في القول يُقدّمه المتكلّم على أنّه يخدم ويؤدّي إلى عنصر دلالي آخر، والذي يُصيِّرها حجّة أو يمنحها طبيعتها الحجاجية هو السياق "[1].	– تركز جل المقاربات التعليمية الحديثة على أهمية إقناع المتعلم وحسن التأثير فيه، لذا لا يخلو خطاب تعليمي من توظيف مكثّف للحجج تختلف أنواعها باختلاف الكفاية المستهدفة والمقام والمقاصد التعليمية.
أنواع الحجاج:[2] أشهرها وأكثرها مناسبة للخطاب التعليمي: الحجاج بالسلطة: يستمد قوته من السلطة التي ينتمي إليها: علمية، سياسية، دينية، قانونية... الحجاج بالشاهد: يستمد قوته من قوة مصدر الشاهد، وأهمها: القرآن، الحديث، الشعر، نظريات العلماء. الحجاج بالنموذج والنموذج المضاد: تُعتبر في القول الحجاجي مقدّمات تستخلص منها نتائج معيّنة تؤدي إلى امتداح سلوك خاص يمتلك بعض مظاهر التميّز"[3]، تقوم على شرح القضية بنقيضها أو ضدّها. الحجاج الانفعالي: أو ما يعرف بالاستمالة العاطفية، يتخذ من عاطفة المتلقي مدخلا إقناعيا يمرّر عبره مقاصده. الاستدلال المنطقي: أو البرهان، يُعدّ أقوى أنواع الحجاج لأنّ نتائجه يقينية يقوم على القياس، ويُفضي إلى نتيجة حتمية فيها صرامة وإلزام، وترتبط قضاياه وفق علاقة التعدّي حيث تقودنا إحداهما إلى الأخرى وجوبا.	سأمثّل لكل نوع بمثال من واقع الحصص التعليمية: – يقول المعلم: "يمنع منعا باتا الغش في الامتحان"، فهو يستند إلى سلطة القانون لإنفاذ قراره. – يشرح فضل الصدقة الجارية ويدعم قوله بحديث الرسول (ص): "إذا مات ابن ادم انقطع عمله من ثلاث ..." – يشرح الألفاظ بأضدادها، أو يعالج الظواهر السلبية بنقيضها الإيجابي، أو ينطلق من وضع مألوف لدى المتعلم ليشرح وضعا جديدا يختلف عن الأول، وهو أسلوب حجاجي شائع وقريب إلى فهم المتعلم. – يستهدف فيه المعلم عاطفة المتعلم وميوله، خاصة أثناء عرض قضايا إنسانية كالفقر واليتم، أو شرح قضايا تاريخية كالاستعمار وثورات التحرر. – الاستدلال المنطقي يتناسب مع المواد العلمية التي ترتكز على النظريات والبراهين العلمية، كقانون النسبية، والجاذبية، ودافعة أرخميدس، لأنها لا تشرح الظاهرة فقط بل تثبتها.

(1): **أبوبكر العزّاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب ط 1، 2006، ص 127.**

(2): ينظر وفاء صبحي، لغة الخطاب الإشهاري – دراسة في الحجاج ووسائل الإقناع ,Noor publishing International, Book Market, Omniscriptum publishing Group, ISBN: 978-620-2-35627-5, Berlin, p38-45

(2): عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغيّر (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج)، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص 95.

الروابط الحجاجية: حروف وأدوات لغوية تسهم في توجيه الدلالة والتحكّم في مسارات الخطاب، وهي حروف يألفها المتعلم لكنه يجهل وظيفتها في الحجاج منها: حروف تفيد الاستدراك: تنقل الخطاب من الحجاج إلى الحجاج المضاد مثل: لكن، إلاّ أنّ، إذا كان، مع أنّ، غير أنّ... حروف تفيد التوكيد: تؤكد فرضية المتكلم مثل: لأنّ، بما أنّ، لكون، بحيث، إذ إن ... حروف تحدّد التنيجة: مثل: إذا، والحالة هذه، بناء عليه، حينئذ	لا يخلو منها خطاب شفوي أو نص مكتوب، درسها المتعلم كحروف عطف أو استدراك أو تحقيق، لكن لم يتعرّف على وظيفتها في الحجاج، وهي وظيفة تدرك من السياق. - بما أنّ الجو جميل ...فإننا سنخرج = حجة تبرير - إنّ الجو جميل ... لكنني متعبة ولن أخرج = الاستدراك - إذا كان الجو جميلا ... حينئذ سنخرج = تحديد النتيجة - مع انّ الجو جميل ...غير أني لن أخرج = الاستدراك
السلم الحجاجي: تركز نظرية السّلالم الحجاجية على مبدأ التدرّج في توظيف الحجج، وضرورة احترام قاعدة ترابطها، أي تعلّقها بالموضوع نفسه، وكذا قوة تأثيرها أو ضعفه في الخطاب. ينبّه المعلم المتعلم إلى ضرورة ترتيب الحجج التي يوظفها في بناء خطابه ترتيبا ديناميا متناميا من أضعف حجة إلى أقواها، حتى يكون المسار الحجاجي منطقي ويفضي إلى تحقيق اقتناع المتلقي.	مثال عن ترتيب الحجج على السلم الحجاجي: النتيجة: إقناعه بالإقلاع عن آفة التدخين ح3 – يؤدي إلى الإصابة بسرطان الرئة والدم ثم الموت ح2 – يضعف الصحة ح1 – التدخين يهدر المال وضعية الانطلاق: شخص يدخن السجائر

يُتيح محتوى الجدول إمكانية التعرّف على عناصر النظرية الحجاجية، وكيفية استثمارها في تخطيط برنامج حجاجي مدروس يفضي إلى اقتناع المتلقي، وتكمن أهميته في تعويد المتعلم على ترتيب أفكاره وتنسيقها، خاصة أنّ سياق المحاجّة هو سياق مألوف ومتكرّر في شتى الأنشطة التعليمية، سواء كان حجاجا أحادي الاتجاه يدافع فيه المتكلم عن قضية يؤمن بصحتها، أو مضاد؛ تتعدد فيه الجهات الممارسة للحجاج؛ ابتغاء فرض منطقها وإفحام خصمها، ولا شك أنّ النصوص الشرعية كالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، يضاف إليها الأمثال، والحكم، وأقوال الفصحاء من شعر ونثر، ممّا ألف المتعلم توظيفه في تعابيره الشفوية والكتابية؛ تسمى بالحجج الجاهزة التي تعدّ من أقوى الحجج تأثيرا وإقناعا، خصوصا إذا تطابق سياقها الأصلي مع السياقات المتجدّدة التي ترد فيها، غير أنها تتطلب مهارة في استحضارها فيما يناسبها من ظروف مقامية.

نتائج الدراسة:

تقترح هذه الورقة البحثية اعتماد المقاربة التداولية مدخلا تعليميا مناسبا لتنمية الكفاية التواصلية لدى متعلمي المرحلة المتوسطة، وذلك بالاعتماد على النتائج الآتية:

- جلّ الممارسات التعليمية الدائرة داخل الصف الدراسي تندرج ضمن الخطاب التعليمي، وهو خطاب حجاجي تداولي بطبعه، يسعى المعلم فيه إلى تبليغ مقاصده إلى المتعلمين وإقناعهم بها.

- العلاقة بين المعرفة التداولية والمعرفة التعليمية وثيقة، فالإشكالات التي تطرحها تعليمية اللغات هي من صميم البحث التداولي، بما يشجّع التقارب بينهما نظريا وإجرائيا.
- تغلب على الخطاب التعليمي في المرحلة المتوسطة البنية الحوارية القائمة على المناقشة والتفاعل، حيث يتبادل طرفا الخطاب الأدوار؛ بين معلم: يشرح ويعبّر ويسأل ويوجّه، ومتعلم يجيب ويسأل... وهذا يدفع باتجاه الاشتغال على الكفاية التواصلية لدى المتعلمين، حتى يتسّم الحوار بالجدوى وبالإيجابية.
- تنطوي الوثائق التربوية كالوثيقة المرافقة لمنهاج اللغة العربية للمستوى المدروس على كثير من الأبعاد التداولية التي تشجّع على تطبيقها فعليا في الميدان، كالاهتمام بالجانب الاستعمالي للغة، والاحتكام إلى السياق الاجتماعي والثقافي، ومراعاة الظروف النفسية والاستعدادت العقلية للمتعلم...
- تكشف الدراسة الميدانية توظيفا واسعا لجلّ الأفعال الكلامية المتعارف عليها في أدبيات الدراسة التداولية كالتقريريات، والوعديات، والتوجيهيات، والسلوكيات، والتصريحيات، لكن حضورها عفوي تنتفي عنه القصدية، بسبب غياب تكوين المعلمين في مثل هذه المقاربات المتخصصة، رغم ما تمتلكه هذه النظرية من قدرة على تحسين تأويل الخطابات وفهم الدلالات المباشرة والمتوارية.
- الخطاب التعليمي خطاب حجاجي بطبعه، لأنّ الحجاج سمة من سمات اللغات البشرية، وهو حاضر بقوة في كل مراحل الدرس وفي جميع الأنشطة التعليمية، ورغم ذلك تفتقر المقاربات التعليمية المعتمدة في المدرسة الجزائرية لأنشطة تعليمية تطوّر مهارة الحجاج لدى المتعلمين، وتشتغل على بنيته وأنواعه واستراتيجيات تخطيطه وشروط نجاحه.
- الخطاب التعليمي خطاب ذو مقاصد، لا يتوانى المعلم في السعي إلى تبليغها، سواء كانت صريحة مباشرة كالمحتويات التعليمية التي يتضمنها الدرس، أو مضمرة مسكوت عنها، كبعض الأفكار والأخلاقيات التي يتضمنها المحتوى، والظفر بالمقاصد مرهون بتطبيق قانون التعاون لبول غرايس بمبادئه: الكم والكيف والملاءمة والاتجاه؛ المسؤولة عن تنظيم إنتاج الخطاب وحسن تلقيه، وأنّ أيّ خرق يطال مبدءا من مبادئ هذا القانون يترتّب عنه استلزام حواري مبني على افتراضات مسبقة يملكها طرفا الخطاب.
- أودّ — في نهاية هذه الورقة – أن أشير إلى أنّ مقام المقال المحدود يضيق عن الاستفاضة في كثير من المرتكزات التداولية التي تفيد الممارسة التواصلية خاصة، والفعل التعليمي إجمالا، شأن الاقتضاء والإشاريات والإحالات والافتراضات المسبقة ومضمرات القول ... وغيرها من المقولات التداولية الأساسية في تحليل الخطاب تحليلا تداوليا.

قائمة المصادر والمراجع:

المراجع العربية:

معاجم:

1. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت–لبنان، 1414هـ،
2. أحمد مختار عمر وصالح جواد طعمة وآخرون، المعجم العربي الوسيط (للناطقين بالعربية ومتعلميها)، مادة (ر، م، ز)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، جامعة الدول العربية، لاروس، 1989.
3. الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، الجزء 1، دار الكتب العلمية، ط 1 / 1998.

كتب:

4. ابن جني، الخصائص، تح: علي محمد النجّار، المكتبة العلميّة، بيروت، دت.
5. أبوكر العزّاوي، اللغة والحجاج، ط1، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، 2006.
6. أحمد المتوكّل، آفاق جديدة في نظريّة النّحو الوظيفي، منشورات كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، الرّباط، 1993.
7. أحمد المتوكّل، اللّسانيّات الوظيفيّة مدخل نظري، منشورات عكاظ، الرّباط، دط، 1989م.
8. أحمد حمدي، الخطاب الإعلامي العربي، دار هومة، الجزائر 2002.
9. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ط1، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، 1982.
10. إدوين إمري، فليب هـ. أولت، وإرين ك. آجي، الاتصال الجماهيري، ترجمة إبراهيم سلامة، ط2، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000.
11. أمبرو إيكو، التأويل بين السيميائية والتفكيكية، ترجمة وتقديم: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، 2004.
12. أوستين، نظريّة أفعال الكلام العامّة –كيف ننجز الاشياء بالكلام–، تر: عبد القادر قنيني، افريقيا الشّرق، المغرب، ط2، 2008.
13. بشير إبرير، اللسانيات والأدب ودراسات أخرى، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، 2020
14. البشير اليعكوبي، القراءة المنهجية للنص الأدبي (النصّان الحكائي والحجاجي أنموذجا)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 2006.
15. الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، ج، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د.ت.
16. جميل حمداوي، التداوليات بين النظرية والتطبيق، دار الريف للنشر والتوزيع، تطوان، المغرب، ط1 / 2019
17. جواد ختّام ، التداولية أصولها واتجاهاتها ، دار كنوز المعرفة، عمان – الأردن ، 2016.
18. جورج يول، التداوليّة، تر: قصيّ العتّابي، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت/لبنان، ط1، 2010.
19. الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد يحياتين، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 1992.
20. حافظ إسماعيلي علوي، التدوليات – علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، 2011.
21. حسام أحمد فرج، نظرية علم النص (رؤية منهجية في بناء النص النثري.
22. حسن بدوح، المحاورة: مقاربة تداولية، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، 2012.

23. دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحاتين، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.
24. رضا الطيّب الكشّو، لسانيّات التعليميّة.
25. رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، ترجمة محمد الولي، ومبارك حنون.
26. الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله)، البرهان في علوم القرآن، ج 1، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1988.
27. الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر)، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج 1، شرحه وضبطه وراجعه يوسف الحمّادي، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت.
28. سعيد بنكراد، السيميائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها، ط2، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاّذقية، سورية، 2005.
29. سعيد بنكراد، سيميائيات الصورة الإشهارية.
30. السيد بهنسي، ابتكار الأفكار الإعلانية، ط1، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007.
31. سيرل، العقل واللّغة والمجتمع، تر: سعيد الغانمي، الجزائر، منشورات الاختلاف، والدّار البيضاء المركز الثقافي العربي، وبيروت الدّار العربي للعلوم، ط1، 2006.
32. شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغويّة –مراجعات ومقترحات–، دار الكتاب الجديد المتّحدة، لبنان، ط1، 2010.
33. الشهري، استراتيجيّات الخطاب.
34. شوقي المصطفى، المجاز والحجاج في درس الفلسفة (بين الكلمة والصورة)، ط 1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 2003.
35. صابر الحبّاشة التداولية والحجاج (مداخل ونصوص)، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2008.
36. صالح اسماعيل عبد الحقّ، التحليل اللّغوي عند مدرسة أوكسفورد.
37. صلاح إسماعيل، نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، الدار المصرية السعودية للنشر والتوزيع، القاهرة – جمهورية مصر العربية، 2005
38. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص.
39. طالب سيّد هاشم الطبطبائي، نظريّة الأفعال الكلاميّة بين فلاسفة اللّغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، د.ط، 1994.
40. طاهر عبد مسلم، عبقرية الصورة والمكان (التعبير–التأويل –النقد)، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2002.
41. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–المغرب، 1998.
42. عبد السلام إسماعيلي علوي، حدود الفهم: دراسات سيميو لسانية في تدبير الاختلاف، الدار التونسية للكتاب تونس، 2019.
43. عبد السّلام عشير، الكفايات التواصليّة، منشورات Top éducation، ط1، 2007.
44. عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، ط1، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2002.
45. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيّات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة، دار الكتاب الجديد، (دط).
46. فان دابك، النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، ترجمة: عبد القادر قيني.
47. فايز الدّاية، علم الدلالة العربي (النظرية والتطبيق).

48. فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداوليّة، تر: سعيد علّوش، مركز الإنماء القومي، سوريا، دت.
49. فريد عوض حيدر، علم الدلالة "دراسة نظرية وتطبيقية"، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2005.
50. فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، 1980.
51. فيليب بلانشيه، التداوليّة من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنّشر والتوزيع، اللاذقيّة/سوريا، ط1، 2007.
52. كاترين كيربرات أوركيوني، المضمر، ترجمة ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت–لبنان ط1/ كانون الأول–ديسمبر 2008
53. كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، تر: سعيد حسن بحيري.
54. محمد العبد، النصّ والخطاب والاتّصال، الأكاديميّة الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط1، 2005.
55. محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ط1، دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2005.
56. محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيّة، الاسكندريّة/مصر، 2002م.
57. محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، دار الفكر العربي، القاهرة، (د. ت).
58. مسعود صحراوي، الأفعال المتضمّنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة/الجزائر، إشراف: عبد الله العشّي، 2003.
59. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، تموز (يوليو) 2005
60. مسعود صحراوي، في الجهاز المفاهيمي للدّرس التداولي المعاصر.
61. منقور عبد الجليل، علم لدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.
62. منى سعيد الحديدي، وسلوى إمام علي، الإعلان: أسسه، وسائله، فنونه.
63. ميشال فوكو، جينيولوجيا المعرفة، ترجمة أحمد السطاني وعبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال، المغرب، 2008.
64. نادية رمضان مختار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، مؤسسة حورس الدولية للنشر، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 2013.
65. النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2000.
66. وهيبة عقاقليّة، الفعل الكلامي وسلطّة التلفّظ...، ص: 180.

مقالات:

67. جونيفييف شوفو، نظرية التواصل، ترجمة إبراهيم أولحيان، مجلة فكر ونقد، العدد 36، المغرب، فبراير 2001.
68. لوبيز ألنسو وأسيردي ألموس، لسانيّات الخطاب، حوار مع باتريك شارودو، تر: محمد يحياتين، مجلّة اللغة العربيّة الصّادرة عن المجلس الأعلى للّغة العربيّة، ع2، 1999.

محاضرات:

69.خديجة بوخشّة، محاضرات في اللّسانيّات التداوليّة، ليسانس lmd، لسانيّات عامّة، المحاضرة 05 بعنوان: نظريّة الأفعال الكلاميّة.

أطروحات جامعية:

70. بن عبادة فتيحة، مصطلحات التداوليّة بين المعجم والاستعمال، مذكّرة ماجستير في المعجميّة وصناعة المعاجم، سنة 2015.

71.سامية بن يامنة، سياق الحال في الفعل الكلامي –مقاربة تداوليّة–، أطروحة دكتوراه بإشراف: أحمد عزّوز، جامعة وهران، 2012.

72. عيسى بربار، البعد التداولي في العمليّة التواصليّة –شعر الأمير عبد القادر الجزائري نموذجًا–، رسالة دكتوراه علوم اللّسان، بإشراف: محمد مليابي، جامعة وهران 01، الجزائر، 2016.

المراجع الأجنبية:

73.Armengaud Françoise, La pragmatique que – sais – je ? Puf / 1985

74.- Austin, I.L, Quand dire, c'est faire, Traduction Gille Lane, Editions du seuil, Paris, 1970

75. Benveniste Emile, Problèmes de linguistique générale, T.2, Gallimard, Paris, 1974.

76.Chomsky Noam : Le langage et la pensée, traduit par Louis Jean Clavet , petite bibliothèque, Payot , Paris , 1986

77.Ducrot. O, Anscombre. J.C, L'argumentation dans la langue, Mardaga coll, Philosophie et langage, Bruxelles, 1983

78.Ducrot, O, *Dire et ne pas dire , Principes de sémantique linguistique , Hermann.* Coggection Savoir , (1972).

79.Gilles Siouffi et Van Raemdonk , 100 fiches pour comprendre la linguistique, Bréal , Rosny , Novembre , 1999.

80.Hymes Dell : Vers la compétence de communication, traduit par Louis Jean Clavet, petite bibliothèque, Payot, Paris, 15 /11/ 1984.

81.Jean Dubois, Mathée Giacomo et autres, Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage

82.Le Hall, H: Psychologie des adolescents, Presse universitaire, Dunad, Paris, 1998

83.Orecchioni, K.C, L'implicite, Armand Collin, Paris,

84.- Searle, G.R, Les actes de langage, Essai de philosophie du langage, Traduction Pauchard, H, Préface : Ducrot, O, Hermann, Paris, 2008

85.Sealer, J, *Sens et expression , trad Joellel Pruste.* Paris: Edition de Mimiuit

86.Siouffi G, Van Raemdonck D, 100 fiches pour comprendre la linguistique, Bréal éditions, Paris 1999.